



صَدَى الْقُرْآنِ

مجلة قرآنية . ثقافية . اجتماعية . فصلية

تصدر عن

دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة



دار القرآن الكريم
في العتبة الحسينية المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الهيئة الاستشارية

السيد رياض الحكيم
السيد محمد علي الحلو
أ.د بلاسم عزيز شبيب
د. الشيخ عماد الكاظمي

المقوم العلمي

السيد مرتضى جمال الدين
م. مركز البحوث والدراسات القرآنية
دار القرآن الكريم

التدقيق اللغوي

د. مجيب سعد / جامعة كربلاء

التسيق والعلاقات العامة

د. حميد جاسم الغرابي / جامعة كربلاء
الحافظ منتظر حسن المنصوري
م. مركز التبليغ القرآني الدولي

التصميم والإخراج الفني

أسامة جبار

الإشراف العام

سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي
المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة

الإشراف الإداري

الشيخ حسن المنصوري
م. دار القرآن الكريم

رئيس التحرير

أ.م. د. ضرغام كريم كاظم الموسوي
جامعة كربلاء

مدير التحرير

الشيخ ضياء بلاسم سعدون
دار القرآن الكريم / قم المقدسة

سكرتير التحرير

الشيخ علاء حسين النعماني
دار القرآن الكريم

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٨٢٧ لسنة ٢٠١٣م





ضوابط النشر

- ١- تُنشر المجلّة الأبحاث العلمية التي تعنى بالشأن القرآني، والملتزمة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها علمياً.
- ٢- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (٢٠) صفحة A4، وأن لا يقل عن (١٥) صفحة.
- ٣- تقديم ملخص للبحث في صفحة مستقلة، على أن يحتوي كل ملخص على عنوان البحث واسم الباحث، ورقم الهاتف، والبريد الإلكتروني).
- ٤- تكون هوامش البحث في أسفل كل صفحة بالطريقة التالية: (اسم الكتاب، المؤلف، اللقب: ج...، ص...)، ويزود البحث بقائمة المصادر مستوفاة التفاصيل في آخره.
- ٥- أن لا يكون البحث قد نُشر في أيّ كتابٍ أو مجلّةٍ أو موقعٍ إلكتروني.
- ٦- الأفكار التي ترد في الأبحاث تعبّر عن رأي كاتبها.
- ٧- تُرسل الأبحاث على البريد الإلكتروني أدناه، أو تُسلّم إلى أسرة المجلّة.
كربلاء المقدسة (sadaalqurandq@gmail.com)
قم المشرفة (im.hu.qu@gmail.com)





الافتتاحية

توظيف النص القرآني في الخطاب الحسيني

د. ضرغام كريم الموسوي

مفهوم الأزمة في النص القرآني (دراسة تحليلية في سورة النمل)

هاشم سرحان العوادي / باحث إسلامي

الإرهاب في ميزان القرآن الكريم

أم مصطفى محمد / حافظة للقرآن وباحثة إسلامية (صنعاء - اليمن)

منهج التفسير البنائي عند الدكتور البستاني

د. نعمة النجار - جامعة المصطفى العالمية

٩٩

٥

منظومة القرآن الكريم في علاج المفاسد الاجتماعية

د. السيد محمد الغريفي

١٢٥

٦

اليتيم في رياض القرآن الكريم

الشيخ حسن الكندي / باحث إسلامي ومدرّس في جامعة المصطفى العالمية

١٥٩

٧

المعالجات القرآنية للتطرّف في المجال التربوي

الشيخ سلام عبد الحسن / باحث إسلامي

١٨٧

٨

أساسيات المواجهة الفكرية والعملية بين الإسلام والكفر

سميرة علي محمد / باحثة إسلامية

٢١٣

٩

الشواهد القرآنية للبصيرة في السيرة النبوية

الشيخ الدكتور اسكندرو / عضو هيئة التدريس في جامعة المصطفى العالمية
وحجة الإسلام السيد بهادر علي الزيدي / طالب في جامعة المصطفى العالمية

٢٤٥

١٠

موقف الذكر الحكيم من رؤية الله تعالى / ق ٣

الشيخ أحمد المحمداوي / باحث إسلامي

٢٧١

١١



الافتتاحية

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين
وصحبه الغرّ الميامين .

بمنّة من الله تتواصل معكم مجلّة (صدي القرآن) في عددها الثاني عشر
النافذة الثقافية على كلام الله تعالى، إذ عودتكم من خلال الأعداد السابقة على نشر
الأبحاث والوقفات التدبرية في كتاب الله عزّ وجلّ الذي (لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا
يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ...). تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ج ١، ص ٤٥.

فمن خلال هذه البحوث والدراسات نحاول الوقوف على عظمة القرآن
الكريم، ومراتب الإعجاز فيه، والوصول بها إلى الأهداف المبتغاة في
إنزاله، والوقوف على تعاليم السماء التي ترتقي بالإنسان إلى أوج الكمال
والمعرفة، فكلّما تطوّر البحث القرآني يعود بالفائدة على الأمة؛ لأن القرآن
الكريم منهجٌ للحياة والدين، وأنه قادرٌ على النهوض بالأمة إذا تحمّلت
الأمة تلك التعاليم وعملت على نهجه، فاليوم جادت أنامل مجموعة من
العلماء والمفكرين والأساتذة في إمداد ورفد مجلّة (صدي القرآن) ببحوث قرآنية
تعالج مجموعة من الأمور التي نظن بأن الساحة الإسلامية في أمسّ الحاجة إليها؛
لأن القرآن الكريم جاء من لدنّ عليمٍ حكيمٍ، قادرٌ على مسايرة الواقع بمستجداته
ويمانحي مقتضيات العصر ويلبّي متطلباته، ومن خلال هذه البحوث نجد
الحلول - ولو على نحو الإجمال - لمسائل تمخض عنها هذا العصر،





وخير مرجع لحلّ هذه الأزمات هو القرآن الكريم، وقد تنوّعت هذه البحوث على مستويات عدّة؛ فمنها ما كان على المستوى العقدي، ومنها ما كان على المستوى الأخلاقي، ومنها ما كان على المستوى التاريخي، وغيرها من المستويات التي سيطلّع عليها القارئ، إذ يجد الباحث والمتبّع للشأن القرآني ضالته في تلك الأبحاث، حيث تفتح آفاقاً واسعة للبحث، بل قد تصل هذه الإشارات إلى الخروج ببحوث معمّقة على مستوى الرسائل والأطاريح الجامعية، لأن الفكر الإنساني فكرٌ متنامي يستثمر كل نتاج سابق. وأخيراً نقول: سيدي يا رسول الله ﷺ هذه بضاعتنا مزجاة فتقبّلها منّا. وفق الله العاملين في دار القرآن الكريم لخدمة القرآن، و الحمد لله من قبلُ ومن بعدُ، وصلى الله على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين وصحبه الغرّ الميامين.

رئيس التحرير



١
توظيف النص القرآني
في الخطاب الحسيني

د. ضرعام كريم الموسوي

المقدمة

المتابع للثورة الحسينية والمدقق في حيثياتها يجد أن قوام هذه الثورة وكيانها قائم على النص القرآني، فمن الخطوة الأولى للحسين عليه السلام، بل في وجوده لم يكن إلا وليداً لهذا النص الذي يُعدُّ دستوراً للحياة ومنهاجاً للسعادة الأبدية. فمن خلال تتبع هذه الثورة نجد أن النص القرآني كان حليفاً لها، سائراً كالظل معها، ولا عجب، فقائد هذه الثورة ربيب القرآن.

فشرع هذا البحث - وهو مشروع مصغر لمن يريد أن يتمه من الباحثين - في تقفي الآيات والنصوص التي استعملت من قبل الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام في مشروع الجهاد الأعظم الذي به بقى الدين، وكيف صيغ على نهجها الخطاب الحسيني من الحسين عليه السلام إلى أصغر شخص في الركب الحسيني، فهذا البحث ما هو إلا خطوة في سبيل بيان حقيقة أهل هذه الفكرة الإلهية التي رسمت بالدماء الطاهرة.

وجاء البحث بمطالب، إذ تناولت في المطلب الأول أسلوب توظيف المفردة القرآنية، وما انبرى عنه من معانٍ تهدف إلى بيان أهداف أهل البيت عليهم السلام.

وعرّجت في المطلب الثاني إلى ذكر الأساليب القرآنية وكيف وظّفها الإمام في قضيته من خلال الأساليب القرآنية المتمثلة بالتوكيد، والقسم، والمدح، والنداء، والدُّعاء، وغيرها من الأساليب، وكان نصيب المطلب الثالث توظيف المثل القرآني. وفي المطلب الرابع: تناولت توظيف الآية القرآنية على

نحو الاقتباس، أو المعنى، أو غيرها من الصور التي تحاكي الآيات القرآنية. أما المطلب الخامس، فقد تعرّضت فيه إلى وظيفة القصص القرآني وما فيه من حكمة بالغّة من الاعتبار بالأمم السالفة.

وكان المطلب السادس عبارة عن إظهار الجانب العملي والتطبيقي للصور من المنهج القرآني في تربية المؤمن.

المطلب الأول: توظيف المفردة القرآنية

من أساليب توظيف النص القرآني هو توظيف المفردة، إذ وظّف الإمام الحسين عليه السلام المفردة القرآنية في خطابه لهداية الناس، وهذا يتجلى في كثير من خطبه ورسائله، ونحن هنا نذكر بعض الأمثلة، التي برع - تجوّزاً - الإمام الحسين عليه السلام في استعمالها، كيف لا وهو عليه السلام ربيب الوحي، وترجمانه، والناطق به، والحامل له.

فمن توظيفه للمفردة القرآنية: استعمال لفظة (أشر) و(بطر) في كتاب له يبيّن فيه سبب خروجه من المدينة؛ إذ قال عليه السلام: «ما خرجتُ أشرّاً ولا بطراً ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جدي، لأمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر»^(١). وهاتان المفردتان مستقتان من قوله تعالى: ﴿الْقِيَامَ الَّذِي كَرِهَ مِنْ بَيْنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(٣)، وقد وقع اختلاف في معنى الأشر والبطر

(١) بحار الأنوار، العلامة

المجلسي: ج ٨١، ص ١٩.

(٢) سورة القمر: ٢٥.

(٣) سورة الأنفال: ٤٧.

فقد جاء في (الصحاح): «البَطْرُ: الأَشْرُ، وهو شدة المرح. وقد بَطِرَ بالكسر يَبْطِرُ. وأَبْطَرَهُ المألُ. يقال: بَطِرْتَ عِشْتَكَ، كما قالوا: رَشِدْتَ أَمْرَكَ.

والبَطْرُ أيضاً: الحَيْرَةُ والدَهْشُ. وأَبْطَرَهُ، أي أدهشه»^(٤).

وفي (اللسان) المعنى نفسه، وأضاف إليه الدهشة، وقلة احتمال النعمة؛ قال: «.. قلة احتمال النعمة. وقيل: الدَهْشُ والحَيْرَةُ، وأَبْطَرَهُ، أي: أدهشه... والبَطْرُ: الأَشْرُ. وهو شدة المَرَحِ»^(٥).

وفي (تاج العروس): «البَطْرُ محرَّكةٌ: النَّشَاطُ. وقيل: التَّبَخُّرُ. وقيل: الأَشْرُ والمَرَحُ، والبَطْرُ في الأصل: الطُّغْيَانُ بالِنِعْمَةِ أو عند النِّعْمَةِ، واستُعْمِلَ بمعنى الكِبَرِ، وفي بعض النَّسَخِ: أو بدل الواو، قيل: هو كَرَاهِيَةُ الشَّيْءِ من غيرِ أن يَسْتَحِقَّ الكَرَاهَةَ. وفِعْلُ الكَلِّ بَطِرَ كَفَرِحَ فهو بَطِرٌ»^(٦).

وجاء في (الفروق اللغوية): «أصل البطر: الشق، ومنه قيل: للبطار بيطار، وقد بطرت الشيء: أي شققته، وأهل اللغة يقولون: البطر سوء استعمال النعمة، وفسر على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿بَطِرْتُ مَعِيشَتَهَا﴾»^{(٧)(٨)}.

فذهب أكثر أصحاب المعاجم إلى أن البطر هو الأشر نفسه، أي: أنهما مترادفان، ونعلم من أهل اللغة أنه لا يجوز عطف الشيء على نفسه؛ لأن ظاهر العطف يقتضي المغايرة بين المتعاطفين^(٩)، لأن عطف الشيء على نفسه يحتاج إلى دليل خاص يجب الرجوع إليه، مع بيان المسوغ لذلك، فكيف عطف الإمام عليه السلام (أشر) على (بطر)؟ وإلى ذلك ذهب الشيخ الطوسي،

(٤) (الصحاح، الجوهري:

ج ٢، ص ٥٩٢.

(٥) لسان العرب، ابن

منظور: ج ٤، ص ٦٩.

(٦) تاج العروس،

الزبيدي: ج ٦، ص ٩٧.

(٧) سورة القصص: ٥٨.

(٨) الفروق اللغوية - أبو

هلال: ص ١٠٣.

(٩) انظر: الإيضاح في

علوم البلاغة، جلال

الدين القزويني: ص ٥٠.

فقد جاء في (التبيان): «أشر، أي: بطر، فالأشر البطر الذي لا يبالي ما قال، وقيل: هو المرح الطالب للفخر وعظم الشأن»^(١٠).
ولكن صاحب (المفردات) بيّن هذا الفرق بقوله: «الأشر شدة البطر... فالأشر أبلغ من البطر، والبطر أبلغ من الفرح»^(١١).

فلاحظ: إن اختيار هاتين المفردتين تبين - بدقة وعمق - سبب خروج الإمام الحسين عليه السلام لما فيهما من معانٍ دقيقة تحتاج إلى الوقوف على كلِّ واحدةٍ منها، فتعدّد المعاني لمفردة البطر التي منها: الطغيان، والتبختر، والكبر، والشق، والذي لا يبالي ما قال، وطالب الفخر، وعظم الشأن، كلّها لا تصلح لمراد الإمام الحسين عليه السلام فلم يخرج الإمام عليه السلام طغياناً، ولا تبخترًا، ولا كبراً، ولا شاقاً لوحدة الأمة الإسلامية، ولا مَرَحاً، أو أنه عليه السلام لا يبالي ما قال، ولا طالباً للفخر أو عظم... من المعاني التي تحتملها.

ومن توظيفاته عليه السلام للمفردة القرآنية قوله: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الدليل، ولا أقرُّ إقرار العبيد»^(١٢)، وقوله «ألا وأن الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين؛ بين السِّلة والدِّلة، وهيهات من الدِّلة...»^(١٣).

ونجد مفردات الإعطاء، والدليل، والإقرار، وهيهات مستوحاة من نصوص قرآنية.

فالإعطاء مستوحى من قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١٤).

وإن السبب في اختيار الإعطاء لما لها من دليل على التملك.

(١٠) التبيان في تفسير

القرآن، الطوسي: ج ٩، ص ٤٥٣.

(١١) المفردات، الراغب الاصفهاني: ص ١٨.

(١٢) الإرشاد، الشيخ المفيد: ج ٢، ص ٩٨.

(١٣) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس:

ص ٥٩.

(١٤) سورة آل عمران:

٢٦.

ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(١٥) فإنه كان له منع من شاء منه. وأما الإيتاء لا يدلُّ على التملك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(١٦)، فالقرآن ليس ملكاً للنبي محمد ﷺ فإن أمته مشاركون له في فوائده، فلم يكن له ﷺ منهم منه^(١٧).

فأبى الإمام أن يسلم نفسه ويملكها لهم، لأنه يرى العبودية لله وحده، فلا يشرك بعبادة ربه أحداً، وإلا كان بمقدوره المهادنة والتورية وغيرها، إلا أن الإمام ﷺ لا يخلط في منهجه ما ليس منه.

واستعمل المفردة ذاتها في كربلاء حينما خيروه بين الحرب والبيعة، قال ﷺ: «ألا وإن الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين؛ بين السلة والذلة، وهيهات من الذلة... إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم...»^(١٨). والذلُّ في اللغة: «ضدُّ العزِّ، ورجلٌ ذليلٌ بينَ الذلِّ والذلةِ والمدلةِ، من قومٍ أذلاءً وأذلةٍ»^(١٩).

ونجد أن الإمام ﷺ استعمل كلمة الذلة في إيصال فكرته الثورية على الواقع الفاسد، وأن الخضوع لا يكون إلا لله عزّ وجلّ؛ لأن الغرض من طلب البيعة من شخص الإمام كان مقصوداً لا اعتباطاً، وهذا ما جاهدت بنو أمية في سبيل كسبه، لما للحسين من موقع في نفوس الناس والعالم الإسلامي آنذاك. واستعمال الإمام لهذه المفردة مع ما لها من دلالات مستوحى من قوله تعالى: ﴿ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ

(١٥) سورة الكوثر: ١.

(١٦) سورة الحجر: ٨٧.

(١٧) الفروق اللغوية، أبو

هلال: ص ٨٦.

(١٨) اللهوف في قتلى

الطفوف، ابن طاووس:

ص ٥٩ و ٧١.

(١٩) الصحاح في اللغة،

مصدر سابق: ج ١، ص

٢٢٨.

وَحَبَلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٢٠﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَأَفْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا
أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٢١).

جاء في (الفروق): «إن أصل الإقرار من التقرير، وهو تحصيل ما لم يصرح به القول، ولهذا اختار أصحاب الشروط أقرّ به ولم يختاروا اعترف به، قال الشيخ أبو هلال أيده الله تعالى: يجوز أن يقرّ بالشيء وهو لا يعرف أنه أقرّ به، ويجوز أن يقرّ بالباطل الذي لا أصل له، ولا يقال لذلك: اعتراف، إنما الاعتراف هو الإقرار الذي صحبته المعرفة بما أقرّ به مع الالتزام له، ولهذا يقال: الشكر اعتراف بالنعمة، ولا يقال إقرار بها؛ لأنه لا يجوز أن يكون شكراً إلا إذا قارنت المعرفة موقع المشكور وبالمشكور له» (٢٢).

ويزيد حاول أخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام بكلّ طريقة، فكان ردُّ الإمام عليه السلام موافقاً للحال، وأنه لا يعطي البيعة بأي نحو من الأنحاء؛ لأن الإقرار كما تقدّم يقتضي المعرفة وإن المعرفة بحال يزيد لا يتفق مع مراتب العصمة التي منها عدم طاعة الظالم، وإظهار دور الإمام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أضف إلى ذلك موقع الإمام عليه السلام من الخلافة والعهد التي تمت في عهد معاوية.

ومن المفردات القرآنية التي وظفها الإمام في خطابه: (وجف) في خطبته: «تباً لكم أيّها الجماعة وترحاً حين استصرختمونا

(٢٠) سورة آل عمران:

١١٢.

(٢١) سورة آل عمران:

٨١.

(٢٢) الفروق اللغوية،

أبو هلال: ص ٦٤.

والهين فأصرخناكم موجفين»^(٢٣)، وهو مستوحى من قوله: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾^(٢٤)، هو من الإيجاف، وهو: السير الشديد، والمعنى فما أوجفتم على تحصيله وتغنيمه خيلاً ولا ركاباً، وإنما مشيتم إليه على أرجلكم فلم تحصلوا أموالهم بالغلبة والقتال، ولكن الله سلط رسله عليهم وخوله أموالهم. فإن منهج أهل البيت عليهم السلام لا ينفك عن نصرة المظلوم، ومد يد العون لكل محتاج، فإن الإمام يذكّرهم بمبدأ إسلامي عظيم ألا وهو: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٢٥).

(٢٣) اللهوف في قتلى

الطفوف، ابن طاووس:

ص ٥٨.

(٢٤) سورة الحشر: ٦.

(٢٥) سورة الرحمن: ٦٠.

(٢٦) الإرشاد، الشيخ

المفيد: ج ٢، ص ١٠٨.

(٢٧) المصباح المنير،

أحمد الفيومي: ج ١،

ص ٥٣.

(٢٨) اللهوف في قتلى

الطفوف، ابن طاووس:

ص ١٤٦.

(٢٩) المفردات، الراغب

الاصفهاني: ص ١٠٠.

ومن المفردات التي استعملها الإمام الحسين عليه السلام: كلمة: (بُعْدًا)، وقد استعملت في القرآن في أربعة مواطن: في سورة هود، آية ٤٤، و ٦٠، و ٦٨، و ٩٥، واستعملها الإمام عندما سقط القاسم بن الحسن عليه السلام، إذ قال: «بُعْدًا لِقَوْمٍ قَتَلُوكَ، وَمِنْ خَصْمِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيكَ جُدُّكَ»^(٢٦)، «وَبَعْدَ بَعْدًا مِنْ بَابِ تَعَبَ هَلَكَ»^(٢٧).
ومن المفردات القرآنية التي وظّفها الإمام الحسين عليه السلام هي: «الجناح والعتو والطاغية» في قوله لعسكر بني زياد: «أنا الذي أقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم وجهالكم وطغاتكم من التعرّض لحرمي ما دمتُ حيًّا»^(٢٨).
فلفظة «جناح» وردت خمسا وعشرين مرة، وهي «تفيد الميل عن الشيء، من قولهم: جنحت السفينة، أي: مالت إلى أحد جانبيها، وسمّى الإثم المائل بالإنسان عن الحق جناحا، أي: أن النساء ليس عليهن إثم حتى يستحقن القتل»^(٢٩).

والعتو: أصله النبو عن الطاعة، يقال: عتا يعتو عتواً وعتياً، وهم من لا طاعة لهم لاستكبارهم وعدم طاعة مواليهم. وآياتها في التنزيل: قال ﴿وَعَتُوا عَتُواً كَبِيراً﴾^(٣٠)، و﴿فَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾^(٣١)، و﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾^(٣٢)، و﴿بَل لَّجُوا فِي عُتُوِّ وَنُفُورٍ﴾^(٣٣)، و﴿مَنْ الْكَبْرَ عِتِيّاً﴾^(٣٤).

طغى: طغوت وطمغيت طغواناً وطمغياناً وأطغاه كذا حملة على الطغيان، وذلك تجاوز الحد في العصيان.
والطاغوت هو: كلُّ معتدٍ وكلُّ معبودٍ من دون الله، ويستعمل في الواحد والجمع.

والإمام عليه السلام أراد كلَّ معتدٍ على حرم رسول الله. ومواردها في القرآن كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِمْ لَكَنُفٍ﴾، وقال: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾، و﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾، وقال تعالى: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيراً﴾ ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ﴾ ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتَهُ﴾.

(٣٠) سورة الفرقان: ٢١.

(٣١) سورة الذاريات: ٤٤.

(٣٢) سورة الطلاق: ٨.

(٣٣) سورة الملك: ٢١.

(٣٤) سورة مريم: ٨.

المطلب الثاني: توظيف الأساليب القرآنية

نلاحظ أن الإمام الحسين عليه السلام استعمل الأساليب القرآنية في إيضاح منهجه، ومن تلك الأساليب التي استعملها:

١ - القسم: يُعدُّ القسم من الأساليب المألوفة والرائجة عند العرب، وعليه التنزيل، فكثير من الآيات اشتملت على القسم، كالقسم بالموجودات، وقد نهج الإمام الحسين عليه السلام منهج القرآن في

استعمال أسلوب القسم، قال عليه السلام: «والله، لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العَلَقَةَ من جوفي»^(٣٥).

وقوله عليه السلام: «والله لأن اقتل خارجاً منها بشيرٍ أحبَّ إليَّ من أن أقتل داخلاً منها بشير»^(٣٦).

وعندما خطب في القوم وبين مكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعت بناته وأخته زينب كلامه بكين وندبن ولطمن وارتفعت أصواتهن. فوجه إليهن أخاه العباس، وعلياً ابنه وقال لهما: «اسكتاهن فلعمري ليكثرن بكاؤهن»^(٣٧). فأسلوب القسم مستوحى من قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٣٨).

ومن أساليب القسم «تالله»، وقد ورد في ثمانى مواضع في القرآن الكريم، وقد استعمل هذا الأسلوب شبيه رسول الله خلقاً ومنطقاً علي الأكبر لما نزل إلى القتال وقد تمثل بهذه الأبيات:

أنا علي بن حسين بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبى

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي أضرب بالسيف أحامي عن أبي^(٣٩)

٢ - أسلوب النفي: المتبع لآيات القرآن يجد وقفات مع

النفي. وذلك لما لهذا الأسلوب من دلالات بيانية كبيرة نرى كثيراً من الآيات القرآنية قد تعرّضت له.

وجرياً على النهج القرآني فإن الإمام عليه السلام قد تكلم بأسلوبه وبمنطقه، ففي النص الآتي استعمل الإمام أسلوب النفي، عندما خاطب الوليد بن عتبة والي المدينة، وقال له: «ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينأ أحق بالخلافة والبيعة»^(٤٠)، وفي قوله: «لا يدعوني حتى يستخرجوا...»^(٤١).

(٣٥) الإرشاد، الشيخ

المفيد: ج ٢، ص ٧٦.

(٣٦) تاريخ الطبري،

محمد بن جرير: ج ٤،

ص ٢٨٩.

(٣٧) اللهوف في قتلى

الطفوف، ابن طاووس:

ص ١١٢.

(٣٨) سورة الحجر: ٧٢.

(٣٩) الإرشاد، الشيخ

المفيد: ج ٢، ص ١٠٦.

(٤٠) اللهوف في قتلى

الطفوف، ابن طاووس:

ص ١٧.

(٤١) مصدر سابق.

وإن المدقق للنص الذي خاطب به الإمام عليه السلام بني أمية بقوله:
«يا شيعة آل أبي سفيان: إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون
يوم المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إن
كنتم عرباً...»^(٤٢).

٣ - أسلوب الدعاء: إن الدعاء الذي يمثل الرأس من الجسد
للدين، وطالما علم القرآن الناس الإتصال بالله عز وجل في كثير
من المواطن، وصور لنا كيف أن الأنبياء كانوا يهرعون إلى هذا
السلاح في الشدائد، فإن ربيب الوحي لم يفارق هذا السلاح، بل
ظل حليفه في كل موطن.

وإن أسلوب الدعاء أظهر عزم الإمام عليه السلام وثقته وثباته في
قضيته، وهو ما جعله في معية الله التي هونت عليه كل رزايا
الطف. إذ تلون دعاؤه عليه السلام بأطياف عدة، ففي صباح يوم العاشر
من المحرم دعا بدعاء الرسول صلى الله عليه وآله في يوم بدر بقوله:

«اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت
لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من كرب يضعف عنه
الفؤاد وتقل في الحيلة، ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو،
أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمّن سواك، ففرجته،
وكشفته، فأنت ولي كل نعمة؛ وصاحب كل حسنة ومنتهى كل
رغبة»^(٤٣).

فهذا تجرّد تام أمام عظمة الله عز وجل والوقوف الحق بين
يدي المولى - وتجسد فيه مقام التوحيد الحقيقي المنتزع من
القرآن ومبادئه.

(٤٢) اللهوف في قتلى

الطفوف، ابن طاووس:

ص ٧١.

(٤٣) بحار الأنوار،

العلامة المجلسي:

ج ٤٥، ص ٤.

وفي موطن آخر من مواطن كربلاء دعاء عليه السلام ليزيد بن زياد وهو أبو الشعثاء الكندي من بني بهدلة بقوله: «اللهم سدّد رميته، واجعل ثوابه الجنة»^(٤٤). وهي بألفاظها وأنفاسها ومعانيها تمثل القرآن.

ومن أسلوب الدعاء على الأعداء قوله عليه السلام: «اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف يستقيهم كاساً مصبرة»^(٤٥). وهي صور متزعة من النص القرآني إذ تمثل بها الأنبياء عليهم السلام.

ومن أساليب الدعاء التي استعملها الإمام هو: الفعل، كما في دعائه للحرّ عندما خرج للحرب، وأنه قال للإمام إني فارس خيراً من راجل؛ فقال عليه السلام: «فاصنع يرحمك الله ما بدا لك...»^(٤٦).

٤ - التوكيد: وكان يحتذي عليه السلام أثر القرآن في استعماله التوكيد باستعمال أحد أدواته، وقد استعمل الإمام (إنّ) للتوكيد، وأسلوب التوكيد من أروع الأساليب في التأثير في المخاطب وكلّ حسب حاله، فقول الإمام عليه السلام: «فإنهم كذبونا وخذلونا وأنت ربّنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير»^(٤٧) لما علّمه من تكالب الناس على نقض بيعته والالتحاق بجيش بني أمية، وقتلهم رسله إلى الكوفة، وأتباع الحسين عليه السلام في الكوفة.

وفي النص نفسه أسلوب آخر من أساليب التوكيد ألا وهو التخصيص؛ بقوله: «أنت ربّنا»، فخصّ الربوبية بالله عزّ وجلّ. وهنا أسلوب ثالث وهو التقديم والتأخير، حيث قال عليه السلام: «عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير»، فقدّم الجار والمجرور لاختصاص التوكّل على الله والإنابة إليه وانتهاء المصير إليه.

(٤٤) المصدر السابق:

ج ٤٥، ص ٣٠.

(٤٥) المصدر السابق:

ج ٤٥، ص ١٠.

(٤٦) المصدر السابق:

ج ٤٥، ص ١١.

(٤٧) اللهوف في قتلى

الطفوف، ابن طاووس:

ص ٦٠.

واستعمل الإمام التوكيد اللفظي في قوله «هيهات هيهات منّا الذَّلَّة»^(٤٨). وهو نظير قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾^(٤٩).

وفي حادثة أخرى عرض الإمام الحسين عليه السلام النصره على جماعة، فمضى معه قوم وامتنع آخرون: فقال لهم عليه السلام: «ونحن والله أقدر عليهم منكم، ولكن ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة»^(٥٠). فإنه استعمل أسلوب التوكيد باللام، وهو مستوحى من قوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٥١).

ولما خرج عليه السلام إلى ذات عرق^(٥٢)، لقي بشر بن غالب وارداً من العراق، فسأله عن أهلها. فقال: خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية. فقال عليه السلام: «صدق أخو بني أسد، إن الله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد»^(٥٣).

٥ - أسلوب النداء: وهو أسلوب من الأساليب القرآنية التي استعملها الإمام عليه السلام قال الإمام: «أيها الناس إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى ما أمني من الأرض»^(٥٤)، وقد ورد هذا الأسلوب في أكثر من موضع من مواضع القرآن الكريم، ومثال آخر على أسلوب النداء قوله عليه السلام: «فقال: يا بن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً»^(٥٥).

وخرج الإمام الحسين عليه السلام من أسلوب النداء إلى الدعاء، كما في التنزيل عندما بلغه عليه السلام موت قيس بن مصهر الصيداوي^(٥٦)، فاستعبر باكياً، ثم قال: «اللهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً

(٤٨) الاحتجاج، الطبرسي:

ج ٢، ص ٢٥.

(٤٩) سورة المؤمنون:

٣٦.

(٥٠) اللهوف في قتلى

الطفوف، ابن طاووس:

ص ٤٢.

(٥١) سورة الأنفال: ٤٢.

(٥٢) ذات عرق: مهل

أهل العراق، وهو الحد

بين نجد وتهامة. وقيل:

عرق جبل بطريق مكة

ومنه ذات عرق. معجم

البلدان، الحموي: ج ٤،

ص ١٠٧-١٠٨.

(٥٣) بحار الأنوار،

العلامة المجلسي: ج ٤٤،

ص ٣٦٧.

(٥٤) مقتل الحسين عليه السلام

أبو مخنف الأزدي: ص

١١٨.

(٥٥) الإرشاد، الشيخ

المفيد: ج ٢، ص ٩٦.

(٥٦) أحد حملة الرسائل

من قبل الكوفيين إلى

الحسين عليه السلام بعد إعلان

الحسين رفضه لبيعة يزيد.

وخروجه إلى مكة،
 صحب مسلم بن عقيل
 حين قدم من مكة
 مبعوثاً من قبل الحسين
 إلى الكوفة، حمل
 رسالة من مسلم إلى
 الحسين عليه السلام يخبره فيها
 ببيعة من بايع ويدعوه
 إلى القدوم. انظر: تاريخ
 الطبري، الطبري: ج ٥،
 ص ٣٩٤ - ٣٩٥، رجال
 الشيخ الطوسي: ص ٧٩،
 أنصار الحسين، الشيخ
 محمد شمس الدين:
 ص ١٢٣ - ١٢٤.

بحار الأنوار،
 العلامة المجلسي: ج ٤٤،
 ص ٣٧٤.
 (٥٨) الأمالي، الشيخ
 الصدوق: ص ٢٢٣.
 (٥٩) بحار الأنوار،
 العلامة المجلسي: ج
 ٤٥، ص ٥.

(٦٠) مقتل الحسين عليه السلام،
 أبو مخنف الأزدي:
 ص ١١٧.
 (٦١) بحار الأنوار،
 العلامة المجلسي: ج ٤٥،
 ص ٨.
 (٦٢) سورة القارعة: ٤.

واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك إنك على كل شيء
 قدير» (٥٧).

٦ - أسلوب المدح والذم: ومثال أسلوب المدح يتجلى في
 قول الإمام الحسين عليه السلام للحرّ عندما سقط في سبيل الله: «بخ بخ يا
 حرّ أنت حرّ كما سُميت في الدنيا والآخرة، ثم أنشأ الحسين عليه السلام
 يقول:

لنعم الحرُّ حرُّ بني رياح ونعم الحرُّ مختلف الرِّماح
 ونعم الحرُّ إذ نادى حسيناً فجاد بنفسه عند الصباح (٥٨)

ومثال توظيف الذمّ قوله عليه السلام للناكرين حقه: «بئس ما خلقتم
 نبيكم في عترته، ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة، فبئس القوم
 أنتم» (٥٩).

٨ - أسلوب الاستفهام: إذ قال عليه السلام: «ألست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله
 وابن وصيه، وابن عمه، وأول المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله بما
 جاء به من عند ربه؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عمُّ أبي؟ أو ليس
 جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمِّي؟» (٦٠). وهذا الاستفهام
 خرج إلى معنى التوبيخ؛ لأن أكثر قادة جيش بني أمية كانوا
 يعرفون من هو الحسين عليه السلام.

المطلب الثالث: توظيف المثل القرآني

١ - «وتداعيتم إليها كتداعي الفراش» (٦١)، وهذه الصورة قد
 استوحاها الإمام الحسين عليه السلام من المثل القرآني في قوله تعالى:
 ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ (٦٢) الذي يصف خروج

الناس يوم القيامة، وهو كناية عند كثرة عدد الجيش، وكناية أخرى عن الفساد الذي يحققه الجراد، وهذه صورة من توظيف المثل القرآن في المنهج الحسيني.

٢ - لما دخلت السيدة زينب بنت علي عليها السلام خطبت بخطبة تحاكي لسان أمير المؤمنين عليه السلام، وبعد أن حمدت الله وأثنت عليه استعملت المثل القرآن بتشبيه حال أهل الكوفة بهذا المثل قالت:

«أما بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟! فلا رقات الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم»^(٦٣).

وهذا المثل مستوحى من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٦٤).

أي: إن حالكم «كالمراة التي غزلت ثم نقضت غزلها من بعد إمرار وفتل للغزل، وهي امرأة حمقاء من قريش كانت تغزل مع جواربها إلى انتصاف النهار، ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن ولا يزال ذلك دأبها واسمها (ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة)، وكانت تسمى خرقاء مكة، عن الكلبي، وأنه مثل ضربه الله تعالى شبهه فيه حال ناقض العهد بمن كان كذلك»^(٦٥).

(٦٣) بحار الأنوار،

العلامة المجلسي: ج ٤٥، ص ١٠٩.

(٦٤) سورة النحل: ٩٢.

(٦٥) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج ٦، ص ١٩٤.

المطلب الرابع: توظيف الآية القرآنية

ومن التوظيفات للنص القرآني توظيف الآية نصّاً، لما يقتضيه المقام من بيان الحجة على الأعداء وجهلهم بحق الإمام الحسين عليه السلام، وهي كثيرة اخترنا منها:

١. قال عليه السلام واصفاً بني أمية: «وملحقي العهرة بالنسب، وأسف المؤمنين، ومزاح المستهزئين **﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾**»^(٦٦)، و**﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾**^(٦٧).

٢. ومرة أخرى يتمثل الإمام بآية من القرآن عندما قال مروان بن الحكم: «إني أمرت ببيعة يزيد أمير المؤمنين، فإنه خير لك في دينك وديناك. فقال الحسين عليه السلام: **﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾**، وعلى الإسلام السلام، إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان»^(٦٨). فقوله: «انا لله...» هو نص من آية قرآنية من سورة البقرة نصّها: **﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾**^(٦٩).

٣. ومن توظيفاته أيضاً قوله عليه السلام: «ثم لا تلبثوا إلا ريث ما يركب فرس تُدار بكم دور الرّحا، ويفلق بكم فلق المحور، عهداً عهداً إليّ أبي عن جدي: **﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾**^(٧٠)، و**﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ...﴾** **﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**^(٧١).

(٦٦) سورة الحجر: ٩١.

(٦٧) سورة المائدة: ٨٠.

(٦٨) بحار الأنوار،

العلامة المجلسي:

ج ٤٤، ص ٣٢٦.

(٦٩) سورة البقرة: ١٥٦.

(٧٠) سورة يونس: ٧١.

(٧١) سورة هود: ٥٦.

٤. ونص آخر اقتضاه المقام، «إذ أقبل رجلٌ من عسكر عمر بن سعد يقال له: محمّد بن الأشعث بن قيس الكندي، فقال: يا حسين بن فاطمة! أيّة حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك؟! قال الحسين عليه السلام: هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٧٢)؛ ثم قال: إنّ محمّداً لمن آل إبراهيم. ثم قال: إنّ محمّداً لمن آل إبراهيم، وإنّ العترة الهادية لمن آل محمّد»^(٧٣).
٥. ومن توظيفاته عليه السلام للنصّ القرآني في تهديد من اتبع سبيل الغيّ وترك سبيل الرّشاد، بعد قوله: فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيّعتم، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ..﴾^(٧٤)، وسيغني الله عنكم والسلام»^(٧٥).
٦. ثم إن الحسين عليه السلام كما استعمل النصّ القرآني مع أعدائه في قضيته، فقد استعمله مع أصحابه رضوان الله عليهم، فكان عندما يخرج أحدهم إلى المعركة يتلوا الإمام قوله تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^{(٧٦)(٧٧)}.
٧. لمّا خرج الحسين عليه السلام من مكّة اعترضته رسل عمرو بن سعيد بن العاص عليهم يحيى بن سعيد ليردّوه، فأبى عليهم فنادوه يا حسين: ألا تتقى الله تخرج من الجماعة وتفرّق بين هذه الأمة؟ فتأول الحسين قول الله عزّ وجلّ: ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^{(٧٨)(٧٩)}.

(٧٢) سورة آل عمران: ٣٤.

(٧٣) بحار الأنوار،

العلامة المجلسي: ج ٤٤،

ص ٣١٧.

(٧٤) سورة الفتح: ١٠.

(٧٥) بحار الأنوار،

العلامة المجلسي: ج ٤٤،

ص ٣٨٢.

(٧٦) سورة الأحزاب: ٢٣.

(٧٧) انظر: بحار الأنوار،

العلامة المجلسي: ج ٤٥،

ص ١٥.

(٧٨) سورة يونس: ٤١.

(٧٩) انظر: تاريخ الطبري،

الطبري: ج ٤، ص ٢٩٠.

ومن العجب أن يملي هؤلاء على الحسين عليه السلام وهو ابن رسول الله النصح ومعالم الدين التي لولاه لما اهتموا. وأنهم يصفوه بأنه مفرق للجماعة، وكان رد الإمام حاسماً وموضحاً لما هم عليه من الفهم للدين.

٨. لم يغادر النصح الإمام عليه السلام طرفة عين، بل قام بالنصح في كل حالٍ أمكنه مستعملاً الرصيد القرآني الذي لا يفارقه، فقال عليه السلام: «اسمعوا مقالتي وكتبوا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، فمن أمنتم من الناس ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا. فإني أتخوف أن يُدرسَ هذا الأمر، ويذهب الحق ويُغلب **﴿وَاللَّهُ مَتِّمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** ^{(٨٠)(٨١)}.

٩. ومما تمثل به الإمام في الطف هذه الآيات التي تبين كيف يتعامل مع مدلهمات الأمور، إذ يتلو قوله تعالى: **﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** ^(٨٢). فهو صورة رائعة من صور التسليم لأمر الله عز وجل والقبول به واعتباره مغماً ليوم القيامة.

(٨٠) سورة التوبة: ٣٢.

(٨١) بحار الأنوار،

العلامة المجلسي: ج ٤٤،

ص ١٢٧.

(٨٢) سورة هود: ٥٦.

(٨٣) سورة القصص: ٢١.

المطلب الخامس: توظيف القصص القرآني

١- لما خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة قرأ بعض الآيات المتعلقة بقصة موسى عليه السلام، ولما دخل مكة قرأ قوله تعالى: **﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** ^(٨٣). وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على علاقة الإمام عليه السلام بالقرآن التي لا تنفك عنه بحال، بل يعدّها منهجاً يسير وفقه.

٢- ولما دخل الإمام الحسين عليه السلام مكة قال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٨٤)، ومن هذه الآية من سورة القصص تظهر علاقة الإمام مع الله والأنبياء وأنه ينبئه ضمناً إلى أن خطه وخط الأنبياء واحد، وهو الوقوف في وجوه الطواغيت.

٣- قال الحسين عليه السلام: «والله لأن أقتل خارجاً منها بشير أحب إليّ من أن أقتل داخلاً منها بشير، وأيم الله لو كنت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم، والله ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود في يوم السبت»^(٨٥). فهنا يبيّن حال هؤلاء القوم، وجرأتهم على أولياء الله وحدوده، وأنه شبهه عتوهم وطغيانهم باليهود الذين خالفوا أمر الله باصطيادهم يوم السبت وقد نهو عنه.

٤- قال الحسين عليه السلام لما اشتدّت الحرب: «اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً، واشتد غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة، واشتد غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه، واشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم»^(٨٦).

٥- ولقد تمثّل الإمام الحسين عليه السلام في مواطن عديدة بآيات من القصص القرآني، فهنا تمثّل بنص قرآني على لسان النبي موسى عليه السلام إذ يقول: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾^(٨٧). وفي موطن آخر من القرآن تمثّل بقول سيدنا موسى عليه السلام بعد اتمام النصح لبني إسرائيل، فقال تعالى على لسانه: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾^(٨٨).

(٨٤) سورة القصص: ٢٢.

(٨٥) الكامل في التاريخ،

ابن الأثير: ج ٣، ص ٤٠٠.

(٨٦) بحار الأنوار،

العلامة المجلسي:

ج ٤٥، ص ١٢.

(٨٧) سورة غافر: ٢٧.

(٨٨) سورة الدخان: ٢٠.

٦- ومن مظاهر التمثّل بالقرآن دعاؤه عليه السلام على الظالمين بقوله: «اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف»^(٨٩)، أي: سنين القحط التي أصابت مصر.

٧- لما تقدّم الإمام عليه السلام بطفله الرضيع يطلب له قليلاً من الماء قام القتلة بسقيه بنبله عوض الماء، فكان دعاء الإمام مستوحى من نص قصصي من القرآن؛ إذ يقول: «اللهم لا يكوننّ طفلي هذا أهون عليك من فصيل»^(٩٠)، أي: فصيل ناقة صالح عليه السلام.

٨- خرج الإمام زين العابدين عليه السلام يوماً يمشي في أسواق دمشق، فاستقبله المنهال بن عمرو، فقال: كيف أمسيت يا بن رسول الله؟ قال: «أمسنا كمثل بني اسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم»^(٩١).

فإن الإمام شبه حالهم من الوتر والقتل بحال قوم موسى عليه السلام، وليس التشبيه مقصوراً على حالة القتل والسبي وإنما أراد الإمام شيئاً أبعد من هذا وهو المعتقد، وهذا ضربٌ من ضروب المقابلة، فإن النبي موسى كان يمثّل جهة الحق وفرعون كان يمثّل جهة الباطل، وإن الإمام أراد هذا المعنى من التشبيه، وإلا القتل لهم، عادة وكرامتهم من الله الشهادة.

المطلب السادس: تطبيق صورة من المنهج القرآني

في تربية المؤمن

وهذا يتجلّى في صور كثيرة؛ منها:

١. عن كشف الغمّة عن أنس: قال: «كنت عند الحسين عليه السلام

(٨٩) بحار الأنوار،

العلامة المجلسي:

ج ٤٥، ص ١٢.

(٩٠) بحار الأنوار،

العلامة المجلسي:

ج ٤٥، ص ٤٧.

(٩١) المصدر السابق:

ج ٤٥، ص ١٤٣.

فدخلت عليه جارية فحيتته بطاقة ريحان، فقال لها: أنت حرّة لوجه الله، فقلت له: تحييك بطاقة ريحان لا خطر لها فعتقتها؟ قال: كذا أدبنا الله، قال الله: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (٩٢)(٩٣).

٢. عند بدء المعركة مع بني أمية وبدأت رسل القوم تأتيهم، فقال أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام نبادرهم بالقتال، فقال عليه السلام: «أكره أن أبدأهم بالقتال» (٩٤). وهو مصداق قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٩٥).

٣. موقفه عليه السلام مع العبيد في ضوء المنهج القرآني، وهذا يتجلى عندما «خرج غلام تركي كان للحسين عليه السلام، وكان قارئاً للقرآن، فجعل يقاتل ويرتجز، ويقول:

البحر من طعني وضربي يصطلي والجو من سهمي ونبلي يمتلي
إذا حسامي في يميني ينجلي ينشق قلب الحاسد المبجل
فقتل جماعة، ثم سقط صريعاً، فجاء الحسين عليه السلام فبكي،
ووضع خده على خده، ففتح عينه، فرأى الحسين فتبسّم، ثم صار
إلى ربه رضي الله عنه» (٩٦).

٤. ومن الصور التي جسّدها الإمام عليه السلام في كربلاء لما أقبل شمر بن ذي الجوشن لعنه الله فنادى: أين بنو أخي عبد الله، وجعفر، والعباس، وعثمان، فلم يجيبوه. فقال الحسين عليه السلام: «أجيبوه وإن كان فاسقاً، فإنه بعض أحوالكم» (٩٧). وبهذا فإن الإمام يحثّ على بقاء علاقة صلة الرّحم وإنه لا يقبل بقطعها، ثم يبيّن جانباً أخلاقياً آخرًا ألا وهو حسن الاستماع إلى الآخر وإن كان على خطأ.

(٩٢) سورة النساء: ٨٦.

(٩٣) كشف الغمة،

الأربلي: ج ٢، ص ٢٤٠.

(٩٤) بحار الأنوار،

العلامة المجلسي: ج

٤٥، ص ٥.

(٩٥) سورة البقرة: ١٩٠.

(٩٦) بحار الأنوار،

العلامة المجلسي:

ج ٤٥، ص ٣٠.

(٩٧) اللهوف في قتلى

الطفوف، ابن طاووس:

ص ٥٤.

النتائج

- ١- براعة توظيف المفردة القرآنية مع ما يتلاءم مع الحدث، وما لها من خصائص ذاتية لأنها من جعل الله عزّ وجلّ، وإن هذا الاستعمال بدوره يدلّ على أنهم حملة الكتاب، وأهله.
- ٢- توظيف الأساليب القرآنية من قبل الإمام الحسين عليه السلام في ايضاح منهجه دليلاً على أنه على بصيرة من أمره، وأنه يسير وفق علم وهدى لأن من كان عالماً بأساليب القرآن ومبادئه الحقيقية يكون أقرب إلى امثالها.
- ٣- بيان الحجة على الأعداء بتوظيف الآية القرآنية، لأن القرآن لا خلاف فيه بين المسلمين، فكان الإمام عليه السلام يجعله ميزاناً لتمييز الحق من الباطل.
- ٤- أظهر أهل البيت عليهم السلام من خلال القصص القرآني السُنن الإلهية في أوليائه من أنبياء وصالحين، وجاء عقد المقارن بين الفريقين إنما جاء للمشابهة، واختلاف المنهج، ولم يسق عليه السلام الآيات اعتباطاً.
- ٥- إن خير من طبّق المنهج القرآني في تربية المؤمن وفي أشد الأحوال هم أهل البيت عليهم السلام وهذا يتجلّى في صور كثيرة حصلت يوم عاشور، وقبله.
- ٦- إن القرآن لم يقتصر على قيم عقديّة وإنما يشمل منهج وسلوك أراد الإمام عليه السلام إيصاله إلى الناس من خلاله.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، الطبعة: الثانية المصححة، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية المصححة، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.
- ٢ - ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف، الناشر: أنوار الهدى - قم - إيران، ط الأولى ١٤١٧.
- ٣- الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م.
- ٤ - الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء، الطبعة: الرابعة، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، ٣ - ١٩٨٣ م.
- ٥ - الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، رمضان المبارك ١٤١٥ هـ.
- ٦ - الكوفي، فضيل بن رسان، تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام، تحقيق: عقيقي بخشايشي، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٦ هـ.
- ٧ - الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.
- ٨ - الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة: الرابعة، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - لبنان، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م.

- ٩- الإفريقي المصري، محمد بن مكرم، لسان العرب، الناشر: نشر أدب الحوزة، محرم ١٤٠٥ هـ.
- ١٠- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، الناشر والمطبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٤١٤ - ١٩٩٤م.
- ١١- أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، شوال المكرم ١٤١٢ هـ.
- ١٢- القزويني، محمد بن سعد، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، المطبعة: مطبعة أمير - قم، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ربيع الأول ١٤١١ هـ.
- ١٣- الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر والمطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة: الأولى، رمضان المبارك ١٤٠٩ هـ.
- ١٤- الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، الطبعة: الثانية، الناشر: دفتر نشر الكتاب، ١٤٠٤ هـ.
- ١٥- العكبري البغدادي (المفيد)، محمد بن محمد بن النعمان، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، الطبعة: الثانية، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ١٤١٤ - ١٩٩٣م.
- ١٦- الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١٧- الطبري، أحمد بن علي، الاحتجاج، تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، ١٩٦٦م.

- ١٨ - الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، الطبعة: الأولى، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٧ هـ.
- ١٩ - الأزدي، لوط بن يحيى (أبو مخنف)، الإمام الحسين عليه السلام، تحقيق: حسين الغفاري، المطبعة: العلمية - قم.
- ٢٠ - ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، الناشر والمطبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ.
- ٢١ - الإرزبلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الأضواء - بيروت - لبنان، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م.

٢

مفهوم الأزمة في النص القرآني
دراسة تحليلية في سورة النمل

هاشم سرحان العوادي
باحث إسلامي

المقدمة

تعدُّ الأزمة بأنواعها السياسية جميعاً، والاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية، وغيرها، سواء أكانت محلية، أو إقليمية، أو دولية، حقيقية كانت أم مفتعلة، إحدى الإشكاليات التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية منذ عهد التكوين، فالصراعات العسكريَّة التي اندلعت على مرِّ التاريخ إنما تمثل انعكاساً لهذه الأزمات، وكذلك ارتفاع الأسعار، وفقدان السلع من الأسواق أيضاً تشكل إحدى انعكاسات الأزمة الاقتصادية، وظهور الحركات الفكرية المتطرِّفة كانعكاس للأزمة الفكرية، وارتفاع نسب الطلاق، وجرائم القتل، والسرقات هي الأخرى تكشف عن أزمة اجتماعية وأمنية، وهكذا. فالحرب العالمية الثانية مثلاً كانت نتيجة طبيعية للأزمة الاقتصادية لعام ١٩٢٩م، فضلاً عن الضغوطات الاقتصادية التي واجهتها ألمانيا بعد فرض التعويضات بسبب هزيمتها في الحرب العالمية الأولى. وربما تكون أزمة الصواريخ الروسية في كوبا عام ١٩٦٢م من أخطر الأزمات خلال النصف الثاني من القرن العشرين، والتي كادت أن تصل إلى حرب نووية بين قطبي الصراع خلال الحرب الباردة، وهي الأزمة التي أسهمت في بلورة حقل معرفي جديد في العلوم السياسية يهتم بدراسة الأزمات وإدارتها.

ونظراً لضخامة حجم التهديد الذي تشكِّله الأزمة، فقد تمكَّن هذا الحقل المعرفي ومن خلال البحوث والدراسات من إنتاج العديد من الأفكار والنظريات التي تحاول دراسة الأزمة وتحليلها لتشخيص الأسباب الكامنة وراء ظهورها، والظروف التي تفرضها

على صاحب القرار، فضلاً عن تحديد الأبعاد التي يمكن أن تصل إليها، والنتائج التي تفرزها. تمهيداً لإدارتها والخروج منها بأقل الخسائر أو تحويلها إلى نقطة للتحوّل الإيجابي.

والمنظومة الإسلامية ممثلة بالنص القرآني والروائي لم تتجاوز هذا المفهوم من حيث الدراسة والتحليل بطرق وأساليب متعدّدة، ولعل من أبرز هذه الأساليب هو أسلوب القصص القرآنية، قال تعالى: ﴿كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١) إذ أشار القرآن الكريم إلى أن وراء هذا الأسلوب تكمن العديد من الأسس والقواعد التي يمكن أن تسهم في بناء رؤية إسلامية حول مفاهيم عدّة، منها: مفهوم الأزمة، وإدارتها، وكيفية التعامل معها.

ففي جانب من قصة لقمان يشير النص القرآني إلى أزمة تربوية، وفي سورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ يستعرض النص القرآني الأزمة الاقتصادية، وفي قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ نجد الأزمة الفكرية والعقائدية، وفي سورة النمل ومن خلال قصة النبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ملكة سبأ (بلقيس) يستعرض النص القرآني إحدى الأزمات السياسية التي تعرّض لها مملكة سبأ، والكيفية التي تمّت فيها إدارة هذه الأزمة من قبل أطرافها بالمستوى الذي تم تحويلها من نقطة تحوّل سلبية في طبيعة العلاقة بين أطرافها وتهدّد باندلاع صراع مسلّح بينهما إلى نقطة تحوّل إيجابية شكّلت بداية إلى إقامة علاقات تكامل بين الطرفين. نحاول من خلال هذا البحث تشخيص المنهج القرآني في التعاطي مع الأزمة، مقارنة مع النظريات العلمية، وذلك من خلال محاور متعدّد نستنبط من خلالها المنهج القرآني في دراسة الأزمة وتحليلها.

(١) سورة يوسف: ١١١.

مفهوم الأزمة

أولاً: السياق التاريخي لظهور المفهوم

يُعدُّ مفهوم الأزمة أحد المفاهيم التي ظهرت في حقل العلوم السياسية كحقل معرفي مستقل في النصف الثاني من القرن العشرين، وتحديدًا بعد أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢م. ويشير الأصل التاريخي لهذا المفهوم إلى استعماله من قبل الإغريق في مجال الطب للدلالة على التغيير الفسيولوجي الذي يطرأ على جسم الإنسان، ولذلك ورد المفهوم في المعاجم الطبيّة الغربية منذ القرن السادس عشر^(٢).

وفي القرن السابع عشر تم استعمال مفهوم الأزمة في خارج الميدان الطبيّ للدلالة على حالة الصراع السياسي في الغرب بين السلطة الدّينية (الكنيسة) والسياسيّة.

ومع بدايات القرن التاسع عشر، وظهور الدّولة الحديثة، توسعت دائرة استعمال المفهوم ليشمل العديد من جوانب الحياة السياسيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة في الدّولة. وبذلك يكون مفهوم الأزمة قد تحوّل من مفهوم ومصطلح خاص لمجال علمي محدّد (الطب) إلى مصطلح عام يتداوله العديد من المتخصّصين في المجالات العلميّة^(٣).

وفي القرن العشرين بدأ مفهوم الأزمة يأخذ سياقه العلمي الواضح والمحدّد من خلال تحديد منظومة المفاهيم والقواعد والنظريات المختصة به كأحد العلوم، فظهرت العديد من المدارس المتخصّصة في الأزمة وإدراتها، كالمدرسة النظميّة

(٢) للمزيد: الأزمة

العالمية، عدنان السيد

حسين: ص ١٥.

(٣) انظر: دور القيادة

في إدارة الأزمة، سلسلة

كتاب الأمة: العدد ١٦٦،

سلوى حامد الملا:

ص ٤١.

التي من أبرز مفكرها (ديفيد ايستون)، و(كليمان) وغيرهم، ومدرسة صنع القرار التي من أبرز روادها (تشارلز هيرمان) و(كولين) وغيرهم، فضلاً عن المدرسة التوفيقية^(٤).

ثانياً: مفاهيم ذات علاقة

قبل الدخول في تحديد مفهوم الأزمة، وتعريفه لابد من التمييز بينه وبين مجموعة من المفاهيم التي يمكن أن توجد فيما بينها نوع من الاشتراك في بعض الجوانب الدلالية، مما يستدعي البحث حول هذه المفاهيم المشتركة بالمستوى المناسب، كما يأتي^(٥):

١ - مفهوم الحدث

وهو عبارة عن الأمر المفاجئ، وغير المتوقع والذي يتصف بسرعة الحدوث والانقضاء، سواء من حيث الأسباب أو الآثار الناتجة عنه، ومفهوم الحدث عادة ما يخلو عن الاستمرارية إلا في حالة وجود مؤثرات خارجية تعمل على استمراره، ومن أبرز الأمثلة على ذلك تحطّم الطائرات مثلاً^(٦)، بينما مفهوم الأزمة بالرغم من اتصافه بضيق الوقت إلا أن إمكانية استغراقه لزمان طويل وارد جداً نتيجة سوء الإدارة، أو الإهمال، أو توظيفها من قبل أطراف خارج الأزمة لتحقيق بعض المكاسب.

٢ - مفهوم الصدمة

الصدمة مفهوم يرتبط مع مفهوم الحادث بعلاقة السببية، فالحادث سبباً، والصدمة نتيجة تترتب على الحادث، وتكون الصدمة حالة مركبة من انفعالات نفسية عدّة أبرزها الغضب، والذهول، والخوف^(٧).

(٤) للمزيد: إدارة الأزمة الدولية، حسن بكر أحمد: ص ٧٠.

(٥) للمزيد: مهارات إدارة الأزمات والكوارث والمواقف الصعبة، محمد أحمد الطيب: ص ٢٢.

(٦) للمزيد: ٧٦٦ مصطلح إداري، محمد فتحي: ص ١٩١.

(٧) دور القيادة في إدارة الأزمة، سلسلة كتاب الأمة، سلوى حامد الملا: العدد ١٦٦، ص ٥٢.

ويمتاز مفهوم الصدمة عن الأزمة بأنه يمثل مرحلة من مراحل الأزمة يعمل صاحب القرار على تجاوزها من خلال عملية الإحاطة بالأزمة ومعالجتها، كما سيأتي إن شاء الله.

٣ - مفهوم الصراع

الصراع أيضاً من المفاهيم القريبة من مفهوم الأزمة، ويعرّفه بعضهم بأنه: «سلوك عدواني يهدف لتحطيم الآخر».

وبحسب موسوعة (اكسفورد) هو: «اختلاف بين البشر حول الأفكار والمعتقدات، أو نتيجة أمر طارئ ومفاجئ يتسبب في عملية التحوّل في طبيعة النظام من الهدوء والاستقرار والنمطية إلى حالة العنف الذي قد يصل إلى المواجهة المسلحة»^(٨).

ومن هذا التعريف ندرك بأن الصراع يمثل حالة الانفجار في الأزمة وخروجها عن السيطرة، بل هو في حقيقته انتهاء الأزمة والخروج منها إلى وضع جديد في طبيعة النظام.

ثالثاً: تعريف مفهوم الأزمة^(٩):

الأزمة في اللغة:

يشير المعنى الدلالي لمفهوم الأزمة في اللغة العربية إلى الشدة^(١٠)، والضيق، وتطلق على فترات القحط وشحة الموارد، وأيضاً يطلق مفهوم الأزمة على المصائب والابتلاءات التي تحصل للفرد والمجتمع على حدّ سواء.

وفي اللغة اللاتينية يشير معجم (Webster) إلى أن مفهوم الأزمة (Crisis) مشتق من الأصل اللاتيني (krineir) والتي تعني: «النقطة الحاسمة التي يحصل فيها عملية التحوّل والانعطاف

(٨) انظر: إتصالات الأزمة وإدارة الأزمات، قدري علي عبد المجيد: ص ٧٨.

(٩) انظر: إدارة الأزمات الاستراتيجية، علي هلهول الرويلي: ص ٥.
(١٠) انظر: لسان العرب، ابن منظور: ج ١، ص ٢١٣.

من وضع إلى آخر، سواء أكان هذا التحول من الأفضل إلى السيء أم بالعكس»^(١١).

الأزمة في الاصطلاح القرآني:

بالرغم من عدم ورود مفهوم الأزمة بصياغته اللفظية (أزمة) في القرآن الكريم، إلا أنه يمكن إدراك معنى الأزمة في صورتين:

الصورة الأولى: المفردات القرآنية

يشير المعنى الدلالي لبعض المفردات القرآنية إلى تضمينه لمعنى مفهوم الأزمة، ومن أبرز هذه المفردات:

١ - الفتنة: قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا

مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(١٢)، إذ أن مفهوم الفتنة يمكن أن يتضمن معنى مفهوم الأزمة، لأن الفتنة تتوفر فيها بعض خصائص الأزمة من الشدة والضييق.

٢ - المصيبة: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا

لِللَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١٣)، هذه المفردة القرآنية أيضاً هي الأخرى تتضمن بعض خصائص الأزمة، وهو عنصر المفاجأة، والضغط النفسي.

٣ - البلاء: قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكم بِالشَّرِّ

وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(١٤)، مفردة البلاء قريبة جداً من

المفردة الأولى (الفتنة)، فالعلاقة بينهما تكاد تكون علاقة السبب والنتيجة في بعض الحالات (البلاء سبب والفتنة نتيجة)، وبالتالي فإن مفردة البلاء هي الأخرى تشترك في بعض دلالاتها مع جملة من خصائص لمفهوم الأزمة.

(١١) انظر: العلاقة بين خصائص القيادة الجامعية العراقية وإدارة الأزمات: رسالة دكتوراه، مريم مصطفى سلمان: ص ٦٨.

(١٢) سورة الأنفال: ٢٥.

(١٣) سورة البقرة: ١٥٦.

(١٤) سورة الأنبياء: ٣٥.

الصورة الثانية: السياق العام لبعض الآيات القرآنية.

وأما على مستوى السياق العام للآيات الشريفة يمكن أن

نشخص أكثر من سياق يتضمن معنى الأزمة، ومنها:

١ - قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾^(١٥)، يشير السياق العام لهذه الآية الشريفة إلى أزمة الفساد التي يعاني منها أهل إحدى القرى بسبب أفعال يأجوج ومأجوج، إذ اضطروا إلى الاستعانة بذي القرنين لمساعدتهم في إدارة هذه الأزمة ومعالجتها.

٢ - قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(١٦)، هذه الآية أشارت إلى أزمة النبي يوسف عليه السلام مع سيدة المنزل التي كان يعمل عندها، وهي إحدى الأزمات الاجتماعية، وقد صاغها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ لَيُسْجَنَ وَلَيَكُونَ مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾^(١٧).

٣ - قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾^(١٨)، يشير السياق العام لهذه الآية إلى الأزمة التي يواجهها الإنسان عند الوفاة عندما يحصل له حالة الكشف والمعاناة ويطلع على ما انتهت إليه أعماله، لذا تجده يحاول الخروج من هذه الأزمة من خلال طلب إيقاف الزمن والرجوع إلى نقطة زمنية سابقة للتدارك.

(١٥) سورة الكهف: ٩٤.

(١٦) سورة يوسف: ٣٣.

(١٧) سورة يوسف: ٣٢.

(١٨) سورة المؤمنون: ٩٩.

٤ - قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾^(١٩)، السياق العام لهذه الآية أيضاً يشير إلى حالة الاستشعار التي تلقاها فرعون مصر حول الأزمة الاقتصادية التي ستواجهها الدولة، وفي هذه الآية معنى كبير ودقيق يشير إلى إحدى الإجراءات المهمة في معالجة الأزمات، وهي تشكيل فرق الاستشعار للأزمات، لغرض الاستعداد إليها قبل حصولها، وهذا ما حصل بالنسبة إلى هذه الأزمة التي وردت في الآية الشريفة، قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سُبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾^(٢٠).

الأزمة في الاصطلاح:

وأما في الاصطلاح العلمي، فإن مدلول مفهوم الأزمة لم يختلف كثيراً عن المدلول اللغوي، وإنما جاء قريباً منه أو مشابهاً، كما يتضح من خلال التعريفات التالية لهذا المفهوم:

* من التعريفات التي يتفق عليها العلماء والباحثون من ذوي الاختصاص في مجال إدارة الأزمة هو تعريف المفكر (تشارلز هيرمان) والذي يُعدُّ أحد أعضاء مدرسة صنع القرار، وهو التعريف الذي أطلق عليه اسم (مثلث الأزمة)؛ لأنه تعريف يحدّد خصائص الأزمة بدقة، وقد جاء تعريف الأزمة بأنها: «موقف مفاجئ ينطوي على درجة عالية من التهديد للأهداف والقيم والمصالح للأطراف، ويدرك فيه صانع القرار أن الوقت المتاح لصنع القرار واتخاذة محدود وغير كافٍ لاتخاذ التدابير اللازمة لهذا الموقف»^(٢١).

(١٩) سورة يوسف: ٤٣.

(٢٠) سورة يوسف: ٤٧.

(٢١) انظر: إدارة الأزمة

مقاربة التراث والآخر،

سلسلة كتاب الأمة،

عبد الله إبراهيم

الكيلاوي: العدد ١٣١،

ص ٣٧.

دراسة الأزمة:

إن إهمال الأزمة، وعدم التعاطي معها وفق ما تستحقه من الاهتمام، يمكن أن يسهم في توسيع دائرتها إلى خارج محيطها المحلي، أو الإقليمي (أقلمة الأزمة، أو عولمتها)، ومن ثمّ تفقد أطراف الأزمة الحقيقية السيطرة عليها، وفي حالة انسجام هذه الأزمة مع بعض المصالح الإقليمية، أو العالمية، فإن من المتوقع تصدّي هذه الأطراف لإدارتها بالمستوى الذي يسهم في إطالة أمدها، فضلاً عن إن دراسة الأزمة يسهم في التشخيص الدقيق لواقع الأزمة وتحديد كونها أزمة حقيقية، أو مفتعلة، من هنا تأتي أهمية دراسة هذا المحور في النقاط الآتية:

أولاً: شروط الأزمة:

ذكرنا بأن هناك جملة من المفاهيم التي تشارك مفهوم الأزمة في كونها تمثّل خلافاً في النظام العام، وقد كان الغرض الأساس من التعرّض لهذه المفاهيم هو التمهيد إلى أن ليس كلُّ خلل يمكن أن نصفه بالأزمة، بل لابد أن يتوفر في هذا الخلل شرطان أساسيان، هما:

١- أن يشكّل الخلل تهديداً لوجود بيئة الأزمة «الفرد، أو الأسرة، أو المجتمع، أو الدولة، أو أيّ بيئة أخرى»، أو مصالحها الحيوية.

٢- أن يترتب على الخلل الحاصل آثار وأضرار ماديّة ومعنويّة كبيرة بالمستوى الذي تكون فيه هذه الأضرار سبباً لتحقيق الشرط الأول.

مما يؤكد أن مفهوم الخلل له مستويات ومراتب متعددة، فقد يكون مستوى الخلل بسيطاً ومنخفضاً إلى درجة أنه يفتقد إلى أحد أو كلا الشرطين المتقدمين ومن ثم لا يمكن وصفه بالأزمة، أو يكون مستوى الخلل كبيراً وعالياً بالمستوى الذي يمكن أن تترتب عليه الشروط المتقدمة^(٢٢).

ثانياً: خصائص الأزمة

هنالك جملة من الصفات والخصائص التي يمكن ملاحظتها في الأزمة، ومن المهم جداً تحديد هذه الصفات والخصائص لدراسة الأزمة وتحليلها من قبل فريق المعالجة؛ لأنه يشكل المرحلة الأولى من مراحل رسم استراتيجية التعاطي معها وفق الأسس الصحيحة والمنطقية مما يساعد على عملية التوازن في تحديد مسارات المعالجة المنطقية المتوازنة بين حالتها المفرط والتفريط فيها، ومن أبرز هذه الصفات والخصائص^(٢٣):

١ - المفاجأة: تشكل المفاجأة أحد الخصائص الأساس والرئيسة للأزمة، إذ كثيراً ما تحصل الأزمات في ظل ظروف طبيعية، إلا أنه سرعان ما يحصل تغيير أو تبدل في هذه الظروف يجعل صاحب القرار أمام حالة من الدهشة، والتي كثيراً ما يترتب عليها الشعور بالصدمة، ونجد في قوله تعالى: ﴿هَنَالِكَ ابْتُلِيَ **الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾^(٢٤) إشارة واضحة إلى عنصر المفاجأة الذي عبّرت عنه الآية الشريفة بالزلزال الذي عادة ما يشكل نقطة التحول في المسار الطبيعي للنظام العام^(٢٥).

(٢٢) للمزيد: مصدر سابق، حسن بكر أحمد: ص ٦٧.

(٢٣) للمزيد: مصدر سابق، حسن بكر أحمد: ص ٦٩.

(٢٤) سورة الأحزاب: ١٠.
http://www.hrdiscussion.com

وعلى مستوى الأحداث المعاصرة يمكن تشخيص عنصر المفاجأة في أزمة احتلال داعش لمدينة الموصل، والذي شكّل صدمة للسلطة السياسية والمجتمع العراقي على حدّ سواء، إذ أن حجم القوات الأمنية الموجودة في المحافظة، فضلاً عن حجم الترسانة العسكريّة الموجودة فيها، فضلاً عن حالة التحسّن التي شهدها الوضع الأمني في تلك الفترة جعل من عملية الاحتلال أزمة ومفاجأة ظهرت بوضوح على وسائل الإعلام المحليّة وغير المحليّة.

٢- التطوّر والتسارع في الأحداث: إن حصول الأزمة في ظل الظروف الطبيعية، وتحقّق عنصر المفاجأة فيها يكشف عن عدم الاستعداد لها، بل ربما يصل إلى مستوى غير المتوقع لحصولها، ومن ثمّ فإن الأطراف التي تدير الأزمة تحاول استثمار عنصر المفاجأة وما ترتب عليه من حالة الصدمة التي أصابت مركز القرار، فضلاً عن انكشاف عدم الاستعداد لمواجهة الأزمة كنتيجة طبيعية لغياب أدوات استشعار الأزمات، والفرق الخاصة لمثل هذه الظروف، كل هذا يجعل عنصر المبادرة بالفعل بيد الأطراف التي افتعلت الأزمة، ومن ثمّ تسعى هذه الأطراف إلى تحقيق أقصى الأهداف قبل استعادة السلطة لزام الأمور والمبادرة في التصديّ للأزمة، وربما نجد في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾^(٢٦) دلالة واضحة على التسارع، إذ تشير الآية الشريفة إلى استمكان أطراف الأزمة

(٢٦) سورة الأحزاب: ١٠.

ومحاولة فرض سيطرتها على الجهات جميعها من خلال عملية الإسراع في تحقيق الأهداف، وهذا أيضاً ما حققته العصابات الإجرامية لداعش التي تمكنت من التوسع والتمدد والانتشار إلى خارج حدود مدينة الموصل وسيطرتها على أكثر من مدخل للمدينة وإعلانها التمدد باتجاه العاصمة العراقية بغداد.

٣ - ضيق الوقت: أحد الخصائص المهمة للأزمة هي ضيق الوقت ومحدوديته، فعامل ضيق الوقت يكون ضاغطاً على كلِّ من صاحب القرار والأطراف التي تدير الأزمة، فالأول يشعر بأن ضيق الوقت يدعو إلى الإسراع في اتخاذ التدابير اللازمة لتحديد الأزمة ومحاصرتها تمهيداً لمواجهتها ومعالجتها^(٢٧)، بينما يرى الثاني بأن ضيق الوقت وإن كان عامل ضغط على صاحب القرار ومن ثمَّ يمكن أن يجعله هذا الوضع تحت العشوائية في تحديد الخيار المناسب مما يمكن أن يجعل من أخطاء صاحب القرار فرصاً إضافية لتحقيق المكاسب تسهم في تحقيق حالة التفوق في المواجهة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية عامل الوقت في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾^(٢٨)، إذ أشارت الآية الشريفة في بعض جوانبها إلى أهمية بيان التفوق من خلال سرعة الإنجاز وتوظيف عامل الوقت.

٤ - نقص المعلومات: غياب أجهزة الاستشعار للأزمات يؤثر تأثيراً مباشراً على حجم المعلومات المتوفرة لدى صاحب القرار،

(٢٧) للمزيد: مصدر سابق، حسن بكر أحمد: ص ٧٠.
(٢٨) سورة النمل: ٣٨.

ومن ثمَّ يجعله في حالة من العجز عن رسم استراتيجية واضحة الخطوط لمواجهة الأزمة، وإن نقص المعلومات فضلاً عن ما تقدّم من الخصائص السابقة يمكن أن يسهم في حالة من التشويش أمام تدفق المعلومات بعد الأزمة، وصعوبة التمييز بين المعلومة والإشاعة مما قد يؤثر سلباً في تشكيل الصورة الحقيقية لواقع الأزمة وتداعياتها^(٢٩).

٥ - محدودية الخيارات: مع ما تقدّم من خصائص الأزمة فإن صاحب القرار لا يكون في هذه المواجهة أمام حالة من المحدودية في عامل الوقت والمعلومات فحسب، بل إن حالة المحدودية هذه ستوسع أكثر لتشمل الخيارات المتوفرة لديه، وهي المحدودية التي ربما تجعله يفقد البدائل، ومن ثمَّ خطورة القرار الذي يمكن أن يتخذه، وقد أشار القرآن الكريم إلى محدودية الخيارات في العديد من الأزمات التي تعرّض لها القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِتَقْتُلَكَ فَأَخْرِجْ إِنَّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٣٠)، إذ أشارت الآية الشريفة إلى أن الأزمة التي تعرّض لها موسى عليه السلام تجعله أمام خيار الخروج من المدينة حصراً للنجاة من القتل، وإن في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾^(٣١)، إشارة أخرى واضحة إلى محدودية الخيارات عند أهل القرية الذين طلبوا من ذي القرنين مساعدتهم أيضاً كانوا في حالة فقدان الخيارات، لأنه

(٢٩) مصدر سابق،

عبد الله إبراهيم الكيلاني:

ص ٤٨.

(٣٠) سورة القصص: ٢٠.

(٣١) سورة الكهف: ٩٤.

مع وجودها لا معنى لطلبهم منه مساعدتهم مع تحمل نفقات هذه المساعدة، وفي مشهد آخر نجد أن يوسف عليه السلام لم يجد غير السجن خياراً للتخلص من الأزمة التي أوقعته فيها المرأة التي هو في بيتها، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٢).

وفي أزمة الموصل أيضاً كان فقدان الخيارات لدى السلطة السياسية واضحاً وبالمستوى الذي استدعى من المرجعية الدينية الإسراع إلى تدارك الأمر واتخاذ قرار التصدي للأزمة من خلال فتوى الجهاد الكفائي.

ثالثاً: مراحل الأزمة:

اختلف الباحثون في تقسيم مراحل الأزمة إلى أكثر من رأي، فبعض ذكر لها سبع ^(٣٣) مراحل، وآخر ذكر لها خمس، وبعض ثالث ذكر أن لها أربع مراحل، وانسجاماً مع المساحة البحثية المراد لها في هذا البحث سوف يتم تبني تقسيم ثلاثي للأزمة (التخطيط، والتنفيذ، والمتابعة)، وهو تقسيم ينسجم مع منهجية الإدارة الاستراتيجية.

المرحلة الأولى: التخطيط:

إن التعاطي مع الأزمة على أنها خلل مفاجئ يتضمن تهديداً لمصالح الدولة ووجودها، ويمكن وقوعه في أي لحظة من اللحظات، يستدعي من صانع القرار ضرورة اتخاذ الإجراءات الوقائية قبل العلاجية للأزمة بالمستوى الذي يسهم في تقليل

(٣٢) سورة يوسف: ٣٣.

(٣٣) انظر: مصدر سابق،

سلوى حامد الملا:

ص ٦٥.

الأضرار الناجمة عنها، مع التنبؤ بالمسار الذي يمكن أن تتخذه الأزمة وتدابيرها. ولعل من أبرز ما يمكن أن تتضمنه مرحلة التخطيط في الأزمة:

- ١ - بناء منظومة استشعارية تعمل على استشراف الأزمة والتنبؤ بها قبل وقوعها.
- ٢ - إعداد وتأهيل الكوادر المتخصصة في عملية إدارة الأزمة من خلال إقامة الدورات وافتعال الأزمات الافتراضية.
- ٣ - تشكيل الفرق الخاصة بمعالجة الأزمة (فرق الطوارئ مثلاً).

المرحلة الثانية: التنفيذ:

في هذه المرحلة يتم التعامل مع الأزمة على أنها أمر واقع، ومن ثمَّ لا بد من العمل على:

- ١ - استيعاب الأزمة: إنَّ استيعاب الأزمة والاهتمام بها يشكل الحلقة الأولى من حلقات مرحلة التنفيذ، إذ أن استيعاب الأزمة يكشف عن مدى الاستعداد الذي يمتلكه صاحب القرار، وجاهزية الأجهزة والفرق الأزمويّة للتعاطي مع الخلل الذي أحدثته الأزمة في مجالها (السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو الفكري، أو غيرها)^(٣٤).

- ٢ - تطويق الأزمة: في هذه النقطة يتم العمل على اتخاذ الإجراءات الاحترازية اللازمة لتطويق الأزمة ومنع تمارد الأزمة في عملية النضج، والنمو، والانتعاش، تقليلاً للأضرار الناتجة عنها^(٣٥).

(٣٤) انظر: مصدر سابق،

عبد الله ابراهيم الكيلاني:

ص ٧٣.

(٣٥) انظر: مصدر سابق،

عبد الله ابراهيم الكيلاني:

ص ٩٠.

٣ - معالجة الأزمة: بعد تجاوز الإجراءات الاحترازية للأزمة يتم العمل على اتخاذ الإجراءات العلاجية التي تتضمن اتخاذ القرارات، وتأمين الإمكانات اللازمة لمعالجة الأضرار الناجمة عن الأزمة من أجل معالجة الخلل الذي أحدثته الأزمة في النظام والرجوع به إلى حالة الاستقرار.

إنَّ مرحلة التنفيذ تمثل نقطة تحوُّل في النظام، وتكون مقابلة لنقطة التحوُّل التي أحدثتها الأزمة في بداية ظهورها، ومن ثمَّ الرجوع بحالة النظام إلى نسقه الطبيعي الذي كان عليه قبل حصول الأزمة (استعادة النشاط)^(٣٦).

المرحلة الثالثة: التقييم والتعلم:

تشكّل مرحلة التقييم والتعلم آخر مرحلة من مراحل الأزمة، التي يمكن أن نصفها بمرحلة تجاوز الأزمة وما بعدها (نهاية الأزمة)، إذ أنّ الأزمة في هذه المرحلة تكون قد انتهت ومن ثمَّ يكون صاحب القرار أمام جملة من الاستحقاقات التي فرضتها وتفرضها الأزمة، ولعل من أبرز هذه الاستحقاقات:

١ - تقييم جاهزية أجهزة الاستشعار الأزمومية، سواء أكانت الماديّة، أم البشرية بالمستوى الذي يكشف عن مدى الاستعداد الاستشراقي للتنبؤ بالأزمة قبل وقوعها وتحوُّل الأزمة من الأزمة المفاجئة إلى الأزمة المتوقعة، ومن المفتعلة إلى الحقيقية.

٢ - اكتشاف الخلل في الخطط الاستراتيجية الموضوعة لمواجهة الأزمة، والعمل على معالجتها وعدم تكرارها في الأزمات اللاحقة.

(٣٦) انظر: المصدر السابق: ص ٩٢.

٣ - تقييم الأضرار الناجمة عن الأزمة.

٤ - إضافة الخبرة العلميّة والعملية لفرق الاستشعار بالمستوى الذي يجعل من الأزمة الحالية تجربة عملية يمكن أن تشكل رصيдаً معرفياً لهذه الفرق^(٣٧).

الأزمة في التطبيقات القرآنية

يستقرأ هذا المحور مجموعة من النصوص القرآنية التي تتناول التطبيقات العملية لمفهوم الأزمة مضافاً لما مرّ ذكره، وتحليل هذه النصوص الأزومية بالمستوى الذي يضعنا أمام المنهجية القرآنية في دراسة الأزمة وتحديد مراحلها، وكيفية إدارتها. وانسجاماً مع محدودية البحث سنقتصر على الأزمة السياسية في سورة النمل كمورد تطبيقي ومحورها أزمة مملكة سبأ مع النبي سليمان عليه السلام، وهو يدعوها إلى عبادة الله الواحد الأحد، ومن خلال دراسة وتحليل هذه الأزمة يمكن اكتشاف المنهجية العلميّة لإدارتها من قبل صنّاع القرار فيها، كما يلي:

أولاً: أسباب الأزمة:

هذه الأزمة يمكن وصفها بالأزمة المركّبة، أو المتعدّدة، فإنه بالرغم من أن ظاهرها أزمة سياسية تشير إلى صراع بين نبيّ ومملكة إلا أن بذور الأزمة كانت عقائديّة، إذ أنّ عبادة أبناء مملكة سبأ للشمس دون عبادة الله سبحانه وتعالى كانت سبباً في اندلاع الأزمة، قال تعالى: ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ

(٣٧) للمزيد: مصدر سابق، سلوى حامد الملا: ص ٦١.

لَا يَهْتَدُونَ * إِلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْعَظِيمِ ﴿٣٨﴾، وبعد وصول كتاب سليمان ﷺ إليهم ودعوتهم إلى
التخلي عن عبادة الشمس تحوّلت هذه الأزمة من عقائدية إلى أمنية،
وحاولت الملكة بلقيس تحويلها إلى أزمة سياسية من خلال
الخطوات التي اقترحتها لمعالجة الأزمة^(٣٩)، كما في قوله تعالى:
﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٤٠).

ثانياً: مراحل الأزمة:

الأولى: مرحلة اكتشاف الأزمة من قبل أطرافها التي يندرج
فيها عنصر المفاجأة كعنصر أساس من عناصر الأزمة
وخصائصها، إذ اكتشف النبي سليمان ﷺ الأزمة العقائدية من
خلال نقل الهدهد لما شاهده من عبادة هذه المملكة، وأما
الملكة بلقيس، فإنها اكتشفت الأزمة بعد وصول الكتاب إليها
بطريقة غير معهودة في التعامل الدبلوماسي بين الملوك، والذي
كان بدوره سبباً في تحقق عنصر المفاجأة في الأزمة^(٤١).

الثانية: نضج الأزمة ونموها. تتمثل هذه المرحلة بسلسلة
الإجراءات التي اتخذها النبي سليمان ﷺ والمتمثلة باستعراضه
للإمكانيات المتوفرة لديه بعد وصول وفد الملكة وهو يحمل
هدايا بلقيس. وإرساله لرسالة التهديد بالهجوم العسكري، كما في
قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ
خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ
بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدْلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ *

(٣٨) سورة النمل: ٢٤

٢٥، ٢٦.

(٣٩) الفتوحات الإلهية،

سليمان بن عمر: ص

٤٣٩.

(٤٠) سورة النمل: ٣٥.

(٤١) انظر: من وحي

القرآن، محمد حسين

فضل الله: ج ٧، ص

٢٠٤.

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عَفْرَيْتُ مَنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِي أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٢﴾.

الثالثة: مرحلة الاحتواء والمعالجة: تشتمل هذه المرحلة على مجموعة الإجراءات الاحترازية والعلاجية التي اتخذها طرفي الأزمة من أجل عدم انفجارها وفقدان السيطرة عليها، مما يترتب عليه الدخول في صراع مسلح.

(٤٢) سورة النمل: ٣٦ - ٤٠.

فالمملكة بلمقيس قامت بدراسة أوضاع مملكتها والإمكانيات المتوفرة لديها قبل اتخاذها للقرار، فابتدأت باستشارة وزراءها لمعرفة آراءهم في الأزمة، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونُ * قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأَسِّ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (٤٣).

(٤٣) سورة النمل: ٣٢، ٣٣، ٤٤) انظر: التداول الحضاري في القرآن الكريم، فرج علام: ص ١٠٧.

وبعد استماعها لآراء مستشاريها وتأكيدهم أمر إمكانية المواجهة في حالة اندلاع الصراع المسلح (٤٤) إلا أنها اتخذت قراراً حاولت من خلاله تجاوز الضغط النفسي الذي تشكله الأزمة بسبب ضيق الوقت (٤٥)، لذا اقترحت أن تقوم بعملية اختبار لنوايا الطرف الثاني من الأزمة لمعرفة مدى جدّيته في تنفيذ تهديده، وكسباً للوقت، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي

(٤٥) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي: ج ١٥، ص ٣٦١.

مُرْسِلَةً إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَازِرَةً بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٤٦﴾.

الرابعة: مرحلة الانفراج: وهي المرحلة الأخيرة التي وصلت إليها الأزمة والتي يصورها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتِنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ * قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾.

إذ أشارت الآيات الكريمة إلى أنه بعد وصول القرار الذي اتخذته الملكة بلقيس بزيارة النبي سليمان عليه السلام في مملكته - فلسطين - والاطلاع على واقع الأمر بنفسها، ومشاهدتها للإمكانيات والقدرات التي يمتلكها لا سيما بعد أن قام بتصوير وتجسيم لعرشها على الماء والذي أدهشها إلى المستوى الذي تصوّرت بأن القصر قائم على الماء، فرفعت ثوبها لولا تنبيهها على أن العرش مبني على حجر شفاف غير حاجب لرؤية الماء الذي يسير من تحته، فكان هذا الموقف بمثابة الصدمة لها والذي جعلها في حالة من الذُّهول، لذا استسلمت للواقع الجديد ^(٤٨) الذي فرضته الأزمة واكتشفت بأنها أزمة عقائدية فعلاً وليس أزمة مُلك لتكون سياسية، أو أمّنيّة، فأعلنت عن اعتبار هذه اللحظة نقطة تحوّل في النظام العقائدي لمملكة سبأ والانتقال من العقيدة الخاطئة المتمثلة بعبادة الشمس إلى العقيدة الصحيحة والمتمثلة بعبادة الله الواحد الأحد.

(٤٦) سورة النمل: ٣٤،

٣٥.

(٤٧) سورة النمل: ٤١

- ٤٤.

(٤٨) الرؤية القرآنية

لدور المرأة في عهد

الأنبياء، خبير كرجة:

ص ٤٨.

الخاتمة

خلاصة ما يمكن أن ينتهي إليه البحث في خاتمه جملة من النقاط، منها:

١- إن الأزمة هي إحدى الأمور التي رافقت المجتمع الإنساني منذ بداية تكوينه ونشأته وحتى هذا اليوم، وأنها مستمرة مع هذا المجتمع إلى آخره.

٢- ضرورة دراسة الأزمة دراسة علمية ومنهجية بالمستوى الذي يجعل أطرافها على وعي تام بنوعها، ومدى خطورتها، والتداعيات التي يمكن أن تصل إليها في حالة إهمالها.

٣- مع تنامي الأزمات وخطورتها أصبح من المهم جداً العمل على تشكيل فرق بحثية متخصصة تقوم على وضع برامج الاستشعار للأزمة قبل وقوعها، ومن ثم تحقيق السبق الزمني وتجاوز حالة الصدمة والمفاجأة وضيق الوقت الناشئ من اندلاع الأزمة.

٤- بالرغم من تحوّل الأزمة إلى حقل علمي متخصص يقوم بدراسة الأزمة وفق منهجية علمية، إلا أن هذا لا يمنع من الاستفادة من النصوص الدينية المتعلقة بموضوع الأزمات والاطلاع على المنهجية القرآنية في دراسة الأزمات وتحليلها ومعالجتها.

٥- يتضمن القرآن الكريم العديد من القصص القرآنية التي تتناول في مضمونها عدداً من الأزمات السياسية والاقتصادية، كما في سورة يوسف عليه السلام حيث أزمة المياه التي تعرّضت إليها مصر في تلك المرحلة، وفي سورة الشعراء تتحدّث عن أزمة الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون، فضلاً عن الأزمة التي كانت مورد تطبيق البحث.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١- ابن منظور: لسان العرب (دار صادر. بيروت).
- ٢- حسن بكر أحمد: إدارة الأزمة الدولية (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية. القاهرة ٢٠٠٥م).
- ٣- كرجة خير، الرؤية القرآنية لدور المرأة في عهد الأنبياء: ترجمة: عبد الغني البستاني (مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع الدولي، طهران ١٤٢٩هـ).
- ٤- الملا سلوى حامد، دور القيادة في إدارة الأزمة: سلسلة كتاب الأمة، العدد ١٦٦ (إدارة البحوث والدراسات الإسلامية. الدوحة. ١٤٣٦هـ).
- ٥- سليمان بن عمر: الفتوحات الإلهية، عبد الله إبراهيم الكيلاني: إدارة الأزمة مقارنة التراث والآخر: سلسلة كتاب الامة: العدد ١٣١ (إدارة البحوث والدراسات الإسلامية. الدوحة (دار الكتب العلمية، بيروت). ١٤٣٠هـ).
- ٦- عدنان السيد حسين: الأزمة العالمية (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. ٢٠١٠م).
- ٧- الرويلي علي هلهول، إدارة الأزمات الاستراتيجية (جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية الرياض ٢٠١١م).
- ٨- علام فرج، التداول الحضاري في القرآن الكريم (روابط للنشر، القاهرة ٢٠١٦م).
- ٩- قدرى علي عبد المجيد: إتصالات الأزمة وإدارة الأزمات (دار الجامعة الجديدة. بيروت. ٢٠٠٨م).
- ١٠- الطيب محمد أحمد، مهارات إدارة الأزمات للكوارث والمواقف الصعبة (الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ٢٠٠٦م).

- ١١- فتحي محمد، ٧٦٦ مصطلح إداري (دار التوزيع والنشر الإسلامية. القاهرة. ٢٠٠٢م).
- ١٢- سلمان مريم مصطفى، العلاقة بين خصائص القيادة الجامعية العراقية وإدارة الأزمات: رسالة دكتوراه (جامعة الموصل. ٢٠٠٤م).
- ١٣- الطباطبائي محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن (مؤسسة الأعلمي، بيروت. ١٩٩٧م).
- ١٤- فضل الله محمد حسين، من وحي القرآن (دار الملاك، بيروت ٢٠٠٧م).
- ١٥- <http://www.hrdiscussion.com>

الإرهاب في ميزان القرآن الكريم

دراسة حول
آليات القرآن الكريم في محاربة الإرهاب
والتيارات التكفيرية المتطرّفة

أم مصطفى محمد

(حافضة للقرآن وباحثة إسلامية)

(اليمن - صنعاء)

تمهيد:

إن ظاهرة الإرهاب بدأت مع بداية البشر إذ توارثوها جيلاً بعد جيل، فمنذ بدء الخليقة والإنسان يعيش في الأرض فساداً وسفكاً للدماء تبعاً لمصالحه وأهوائه، حتى أننا نجد أن المجتمع الذي عاش فيه رسول الله ﷺ لم يكن بأحسن حالاً، فمشكلة العنف والإرهاب كانت متجذرة فيه بشكل رهيب وتُمارَس هذه الظاهرة وكأنها حقٌّ من الحقوق، فهذا هو ذا جعفر بن أبي طالب (رضى الله عنه) يصف للنجاشي حال المجتمع غير المسلم في قريش قائلاً: «أيها الملك، كُنَّا قومًا على الشرك؛ نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونُسيءُ الجوار، يستحلُّ المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نُحلُّ شيئاً ولا نُحرِّمه...»^(١).

إن ظاهرة وأد البنات كانت من الظواهر الدالة على عمق مشكلة العنف والقسوة والإرهاب، لذلك قال عنها الله ﷻ: «إن الله حرّم ثلاثاً ونهى عن ثلاث: حرّم عقوق الوالد، ووأد البنات...»^(٢). لذلك اعتنى الإسلام بعناية كبيرة بنشر الأمن والأمان في المجتمع الإنساني كله، واعتنى كذلك بمحاربة كل أشكال العنف والإرهاب كونها تتنافى مع المعاني السامية والأخلاقيات الرفيعة التي حثَّ عليها الإسلام في التعامل بين البشر جميعاً - مسلمين وغير مسلمين - ولقد كانت سيرة الرسول الأعظم ﷺ خير تطبيق لهذه المعاني والقيم، حيث نبذ الإسلام العنف والتطرّف وأمر بالسلم والتعايش السلمي.

ولكن نجد التاريخ العربي الإسلامي قد انتشرت فيه بعض

(١) السيرة النبوية، ابن هشام: ج ١، ص ٣٣٥. الروض الأنف، السهيلي: ج ٢، ص ١١١، السيرة النبوية، ابن كثير: ج ٢، ص ٢٠.

(٢) صحيح مسلم، النيسابوري: ج ٥، ص ١٣١. السنن الكبرى، البيهقي: ج ٦، ص ٦٣.

ظواهر العنف المنظم والذي برز من خلال الاغتيالات السياسية، فقد اغتيل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على يد عبد الرحمن بن ملجم بأمر من معاوية بن أبي سفيان، وكذا اغتيل الإمام الحسن بن علي عليه السلام على يد الخوارج، وهي جماعة إرهابية منظمة كانت تهدف الى تحقيق غايات سياسية.

وانتشر في بعض مراحل التاريخ العربي ما يمكن أن نطلق عليه إرهاب الدولة والذي تجلّى بأعمال القتل والسبي إبان الحكم الأموي. وفي عصرنا الحالي تُعدّ ظاهرة الإرهاب من أخطر الظواهر التي أثرت بشكل سلبي على واقع المجتمعات في العالم كله، ولاسيما في جانبها الإنساني، وقد تفاقمت خطورة هذه الظاهرة في عالمنا المعاصر بعد أن تحوّل الإرهاب إلى ظاهرة عالمية تمسّ جميع نواحي الحياة لشعوب العالم وتؤثر فيها، فالإرهاب لم يعد يخصّ طرفاً أو شعباً أو دولة دون أخرى، وإنما شمل الناس جميعاً بغض النظر عن أسبابه وأشكاله وأهدافه وحتى طبيعة الجهات التي تقف وراءه.

وقد سعى الإسلام المحمدي الأصيل إلى القضاء على ظاهرة الإرهاب من خلال بيان كيفية تعامله مع مشكلات المجتمع بمنطق واقعي متدرّج، بدءاً بغرس المراقبة في النفس الإنسانية، ثم سدّ كلّ المنافذ التي تؤدي إلى حدوث المشكلة، وانتهاءً بالجانب العلاجي عبر القوانين والتشريعات الصارمة التي توقف كلّ من تسوّّل له نفسه النيل من المجتمع وأمنه؛ ليعيش أفراده بالأمن والسلام والاستقرار.

الأمن ومكانته في الإسلام

يُعدُّ الأمن من أهم الأسس وأبرز القواعد التي يقيم عليها صرح الحضارات، وهو اللغة الرسمية التي يميّز بها الفرد المتحضّر، والمجتمع المتقدّم، والأمة الواعدة التي تدرك ما ينطوي عليه المناخ الآمن من عوامل حضارية فتيّة، وعناصر ديناميكية فاعلة تقود إلى صنع مجتمع حضاري متقدّم يحظى بالاستقرار، وينعم بالسكينة، ويتفياً ظلال الأمن، وحياة الرفاهية. لذلك نجد أن الإسلام المحمدي الأصيل اعتنى عناية كبيرة بنشر الأمن والأمان في المجتمع الإنساني كلّ، وحارب كلّ أشكال العنف والإرهاب؛ لأن الإسلام هو دين ودولة، فهو نظام شامل وكامل ينظّم تصرّفات الإنسان في كلّ حالاته، في نفسه، وفي علاقته مع ربه، وفي صلته بأسرته، وفي علاقاته بالمجتمع الذي يعيش فيه، وفي علاقات الدّول الإسلامية بالدّول الأخرى، فهو ينظّم كلّ هذه الأحوال والعلاقات، وذلك ببيان الأصول والمبادئ العامة التي تقوم عليهم والقواعد والقوانين والنّظم التي تحكمها على اختلاف أنواعها، فأهمية الأمن في الإسلام تتجاوز مجرد الحق الاجتماعي والإنساني لتجعله فريضة إلهية وواجباً شرعياً وضرورة واقعية لاستقامة العمران الإنساني. لذلك نجد أن الله تعالى قد وعد المؤمنين بالأمن في حياتهم إذا آثروا الهدى على الضلال، والتقوى على المعصية، والحق على الباطل، والعدل على الظلم، والتوحيد على الشرك، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٣).

(٣) سورة الأنعام: ٨٢.

فالأمن نعمة من أكبر نعم الله عزَّ وجلَّ على عباده، وهي مطلب كل أمة، وغاية كل دولة، ومن أجلها جُنِّدَت الجنود، ورسدت الأموال، وفي سبيل تحقيقها قامت الثورات والصراعات.

لذلك كانت نعمة الأمن هي أول دعوة دعا بها أبونا إبراهيم عليه السلام إذ قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٤)، فقدّم إبراهيم عليه السلام نعمة الأمن على نعمة الطعام والغذاء.

وإن الله تعالى قد امتنَّ على عباده بهذه النعمة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٥).

وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾^(٦).

لقد ربط الإسلام المحمدي الأصيل بين الأمن والإيمان فجعل الإيمان وسيلة فعالة لتحقيق الأمن والاستقرار والسلم الاجتماعي من خلال تحريم القتل ومعاقبة من يُرهب الأبرياء في الدنيا والآخرة، فحيثما كان الإسلام حلَّ السلم والأمن، وإذا انعدم الإسلام الحقيقي ظهرت الفتن الناشئة من أسباب شتى، كالحسد، والظلم، والتمييز العنصري، والفتنة الطائفية، والصراع الطبقي، وغيرها من الأمراض الاجتماعية التي حرّمها الإسلام.

(٤) سورة إبراهيم: ٣٥.

(٥) سورة الأنفال: ٢٦.

(٦) سورة العنكبوت: ٧٦.

ومن أبرز تلك الأسس التي أكدها الإسلام التي تحقق الأمن والسكينة تربية الإسلام أتباعه العقيدة الصحيحة التي توجه الفرد والمجتمع إلى الخير، وتمنعهم من الشر، وتجعل منهم أ نموذجاً للإنسان الصالح الذي يستثمر مواهبه في الخير الذي يعود نفعه على الإنسان والبشرية جمعاء، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٧).

وأقام الإسلام المحمدي الأصيل قواعد وأسس للتفاهم والتعايش والاستقرار في المجتمع وهي كثيرة: كتحرим الظلم، والبغي، والأمر بالعدل، والأمر بالمعروف والنهي عن الفحشاء والمنكر، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٨).

وأمر بإقامة الحدود التي تصون كيان المجتمع وتحميه من التفكك والتشرد والضياع.

ونجده يعمل على إقامة العدالة الاجتماعية التي تعمل على توزيع الثروات ومكافحة الجوع والفقر، ونصرة المظلوم، والتعاون على الحق، ونبذ الفرقة، والقضاء على عبودية الإنسان ومراعاة حقوق الأقليات، والتحرر من الخوف، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٩).

(٧) سورة المائدة: ٢.

(٨) سورة النحل: ٩٠.

(٩) سورة الحجرات: ١١.

لقد رفع الإسلام المحمدي الأصيل راية السلام منذ اللحظة الأولى لميلاده ولم يعلن حرباً إلا إذا كان قد دُفع إليها دفْعاً، فظل ثلاث عشرة سنة بين ربوع مكة يحاول نشر دعوته في ظل السلام، واضطهد أتباعه اضطهاداً لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية، ومع هذا كله كان يأمر أتباعه بالجنوح إلى السلم والأخذ بالعتق والإعراض عن الجاهلين.

فليس هناك دين دعا إلى السلام وإلى نبذ الإرهاب كما دعا إليه الإسلام، فحرّم كل أسباب العنف والإرهاب والاعتداء على دماء الناس وأعراضهم وأموالهم، وحثّ على العفو والتسامح والإحسان إلى المسيء، وأمر بمراعاة حقوق الآخرين في الحياة كتوفير الأمن، وحرية التعبير عن الرأي، والتمتع بنعيم الدنيا، وما إلى ذلك من الحقوق، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١٠).

(١٠) سورة آل عمران:

.١٠٢

إن الاعتداء والإرهاب من أكبر أنواع الظلم؛ لأن ما ينتج عنهما من أضرار مادية ومعنوية للفرد وللأمة يؤدي إلى زعزعة الأمن وفقدان الاستقرار ووقوع الخسائر الفادحة في الأموال والأنفس، ومن ثم يقع هذا الإرهاب في دائرة الأفعال الإجرامية

التي يحارب بها الإرهابي الله ورسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١١).

ورغم دعوة الإسلام المحمدي الأصيل لمحاربة الإرهاب إلا أننا نجد بعض المسلمين قد حولوا بلدانهم إلى خراب ونشروا الفوضى في كل مكان واتخذوا لهم مدارس للقتال بحجة أنهم يريدون إقامة دولة الله في أرضه، فقاموا بجرائم مروعة تقشعر لها الأبدان بدعوى إعلاء كلمة الله وبناء الدولة الإسلامية الحققة، لكنها في الحقيقة تبني مجتمعاً يحمل روحاً استبدادية منتهكة لأبسط معاني حقوق الإنسان، فأفرادها قد مروا بخطوات شيطانية طوال فترة حياتهم، فترى الفرد منهم يبدأ متديناً عادياً، ثم يواصل مسيرته متجهاً نحو التشدد مع نفسه ومع الناس، فيتجاوز ذلك إلى إصدار أحكام قاطعة بالإدانة على من لا يتابعه في مسيرته، فيبدأ بالعزلة والمقاطعة المبنية على إصدار حكم فردي على ذلك المجتمع بالرّدة والكفر! فعند ذلك تتحوّل العزلة والمقاطعة إلى موقفٍ عدواني لكل من حوله، فيرى أن هدم المجتمع ومؤسساته عمل يتقرب به إلى الله وجهاداً يجاهد به في سبيله؛ لأنه يرى المجتمع من وجهة نظره مجتمعاً جاهلياً لا يحكم بما أنزل الله. لقد ابتليت الأمة بأفة الإرهاب الذي عدّ في فكر بعضهم من

(١١) سورة المائدة: ٣٣.

ذاتيات الدين الإسلامي، وقد برز هذا النهج نتيجة عوامل عديدة، منها: غياب الوعي الحقيقي بالرسالة المحمّدية الأصيلة، وعدم الانقطاع التام عن الجاهلية وعادات ما قبل الإسلام.

ومن هنا: عزل أهل البيت عليهم السلام الذين يُمثّلون الامتداد الطبيعي للرسول صلى الله عليه وآله والذين يحملون روح الإسلام وجوهره كان من أهم الأسباب لظهور ظاهرة الإرهاب، فتفسير نصوص القرآن وتأويلها بغير المأثور والمنسجم مع فكر أهل البيت عليهم السلام أدى إلى إصاق تهمة الإرهاب بالدين الإسلامي وتشويه منظومته الفكرية. وممّا لا شكّ فيه أنّ الإرهاب الفكري من أخطر أنواع الإرهاب كونه يستهدف العقل الذي يُعدّ قيمة الإنسان والمميّز له عن سائر المخلوقات، ويستهدف الإبداع الفكري في مختلف جوانب الحياة، وقيّد أفق الإبداع، فهو يستهدف بهذا الأسلوب الفكر والعقيدة.

ولا تختلف أساليب الإرهاب الفكري عن غيره في سبيل تحقيق أهدافه، فهذه الأساليب قد تتطوّر لتصل إلى حدّ التصفية الجسدية، أو الحبس، أو غير ذلك من الأساليب التي من شأنها تغييب الآخرين عن ساحة الاختلاف إن لم يكن باستطاعته أن يُكمّم الأفواه.

ولعل من أوضح المصايق وأتمّها للإرهاب الفكري - بكل خصائصه وصوره - المعسكر الأموي في واقعة الطف الذي استنفذ كل طاقاته العدوانية وأساليبه الإجرامية في سبيل تحقيق غرضه المتمثّل بالقضاء على الإسلام المحمدي الأصيل، وعلى

صوت الحق الرافض للاضطهاد والظلم وتحريف الدين وتغييب مبادئه وقيمه الإنسانية التي دافع الإمام الحسين عليه السلام عنها بمهجته وأهل بيته معلناً بذلك رفضه للظلم بألوانه كافة، فكانت النتيجة أن واجهه المعسكر الأموي بأبشع صور العنف والقتل والسلوك الهمجي، فكانت بذلك أجلى صورة للإرهاب في تاريخ الإنسانية أجمع. ولا زال الصراع الأموي الحسيني مستمراً إلى زماننا هذا وسيبقى؛ لأنه صراع بين الحق والباطل، ولا يوجد برزخ بين الحق والباطل إلى أن يمكن الله الذين آمنوا الأرض ويعلموا دين الله الذي ارتضاه لعباده الصالحين.

الإرهاب بين المفهوم والإشكال

يرجع الباحثون أول إطلاق لفظة الإرهاب إلى أيام الثورة الفرنسية إذ استخدمت كلمة (إرهاب) في فرنسا لوصف نظام حكومي جديد امتدّ منذ عام (١٧٩٣م) إلى (١٧٩٤م) حسب موسوعة المورد، إذ حكمت فرنسا خلاله حكماً إرهابياً أصبح مضرب المثل في التاريخ كله، فقد اعتقل خلال هذا العهد ثلاثمائة ألف مشبوه على الأقل، وأعدم على المقصلة رسمياً نحو سبعة عشر ألف، في حين مات كثير في السجون من غير محاكمة^(١٢).

وكان المقصود من هذا النظام أن تنشأ ديمقراطية وحكومة شعبية بتخليص الثورة من أعدائها لكن هذه الأعمال العنيفة والاضطهادات صارت آلة مخوفة في يد تلك الحكومة، فأصبحت كلمة الإرهاب تتضمن معاني سلبية راسخة في العقلية الغربية.

(١٢) موسوعة المورد،

منير البعلبكي: ج ٨،

ص ١٣٥.

ولم يكن المصطلح مشهوراً جداً حتى أوائل القرن التاسع عشر عندما اتخذه فريق من الثوريين الروس لوصف صراعاتهم مع الحكومة، ومن ثم صار الإرهاب علماً على المعنى المشتهر من كونه ضد الحكومات.

ولا يزال هذا المصطلح يطلق بحسب الأحداث وطبيعتها، فليس ثم مصطلح اختلف فيه بقدر الاختلاف في هذا المصطلح مع أن القضية لها صفة قانونية، ومن طبيعة القضايا القانونية أنها محدّدة ومعرفّة إلا أنها تحوّلت إلى أداة إعلامية وأضحى استخدام مصطلح الإرهاب نوعاً من الإرهاب الفكري لكل من يخالف الحكومات وإن كانت ظالمة.

تعريف الإرهاب

من المعلوم أن الألفاظ الشرعية لها معانٍ لغوية ومعانٍ شرعية اصطلاحية.

أما الألفاظ السياسية المتعلقة بالأديان والحضارات فإن دراستها مختلفة، فكل مصطلح له أصول وجذور.

فعند دراسة أيّ مصطلح من المصطلحات يجب أن نعرف الوسيلة التي نشأ في ظلها هذا المصطلح، فإن كان نشوء المصطلح عن طريق الاشتقاق كان المناسب العودة إلى جذور الكلمة وأصل اشتقاقها، وإن كان نشوء المصطلح راجعاً إلى ظروف مستجدة، فلا بدّ من دراسة تلك الظروف ومعرفة المناسبة في التسمية.

لذلك نجد أن تعريف الباحثين لمصطلح الإرهاب غير دقيق؛ إذ يرجعون المفردة إلى اشتقاق الكلمة لغة، وكأنه وضع هذا المصطلح بإزاء هذا المعنى اشتقاقاً من معناه اللغوي، فتراهم يملؤون دراساتهم بالنقل عن المعجمات وكتب المصطلحات، بينما جاء وضع هذا المصطلح بإزاء معناه نتيجة التعريب، لذا فإنه يحتاج إلى العودة إلى أصل الثقافة التي نقل عنها هذا المصطلح ومعرفة مدى تجانس المعنى مع اللفظ العربي الذي عُرب به، وعندها تكون معرفة الاشتقاق معيناً على تصوّر معنى اللفظ في أصل اللغة لمعرفة مدى سلامة التعريب للمصطلح الأجنبي.

إن المُعَرَّب لمصطلح (Terrorism) إلى الإرهاب كان أمام خيارات عدّة، فكان أمام ألفاظ، كالعنف، والجريمة، والإرهاب، وتم الاستقرار على اللفظ الأخير، وليس هذا الاستقرار مبنياً على أصول علمية، بل كان مبنياً على أمرين أو على أحدهما:

١ - أغراض المترجمين وأهدافهم ومن يقف وراءهم.

٢ - الإعلام العالمي الموجه.

ومن ذلك أيضاً مصطلح (secularism) حيث عُرب إلى (العلمانية) نسبة إلى العلم، وهو تعريب لا يخلو من غرض تسهيل قبول هذا الوصف بربطه بالعلم بدل تعريبه بمصطلح (لاتيني)، أو أقله أن التعريب بهذا اللفظ راعى الواقع الغربي لنشوء التيار (اللا ديني)، وهو تيار علمي في مقابل الكنيسة التي كانت تحارب العلم والتقدم العلمي.

إن الترجمة والتعريب لهذه المصطلحات الدينية والسياسية

المتعلّقة بأمور رئيسة في حياة الأمة تنشأ بطريقة غير علمية، فلا يمرُّ المصطلح - إلا القليل - عبر المجامع اللغوية والفقهيّة والعلمية.

إن من المهم عند ترجمة مصطلح عن لغة أجنبية أن يستوعب المصطلح الأجنبي استيعاباً تاماً، فيحتاج إلى معرفة التاريخ الديني، وتاريخ استعمال المصطلح وتطوره، للخروج بمعرفة المراد بدقة؛ إذ السياق الزمني يحدّده، فهو يوضح عين المراد.

لذا نجد فرقاً واسعاً بين استعمال المعاصرين لمادة (رهب) وما اشتق منها، وبين استعمالات الشارع المقدّس لهذه المادة وما اشتق منها في نصوصه، ففي ألفاظ الكتاب تجد أن المفردة واشتقاقاتها استعملت في الرّهبة من الله تعالى والخشية من عقابه، قال الله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾^(١٣).

(١٣) سورة البقرة: ٤٠.

(١٤) سورة الأنفال: ٦٠.

واستعملت في إعداد القوة لإرهاب أعداء الله وأعداء المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١٤)، أما المعاني السيئة من الإعتداء على الناس، والجرائم العامة والخاصة، فتدلُّ عليها ألفاظ شرعية دقيقة تبنى عليها أحكام في غاية الانضباط.

وينبغي لنا أن نرجع إلى كتب اللغة بعد معرفة هذه الحيشية في التعريب:

الإرهاب في اللغة:

كلمة (إرهاب) مشتقة من الفعل المزيد «أرهب»، فيقال:

أرهب فلاناً، أي: خوَّفه وفزَّعه، وهو المعنى نفسه الذي يدلُّ عليه الفعل المضعَّف «رَهَبَ»، أما الفعل المجرَّد من المادة نفسها، وهو «رَهَبَ» يَرْهَبُ رَهْبَةً وَرَهْبًا، وَرَهَبًا، فيعني خاف، فيقال: رَهَبَ الشيء رهباً ورهبةً، أي: خافه.

والرَّهبة: الخوف والفرع. وأما بالنسبة للفعل المزيد بالتاء وهو: «تَرَهَّبَ»، فيعني انقطع للعبادة في صومعته، ويشق منه الراهب والراهبة والرهينة والرهبانية... إلخ. وكذلك نجد أن الفعل تَرَهَّبَ يستعمل بمعنى توعد إذا كان متعدياً، فيقال: «تَرَهَّبَ فلاناً، أي: توعدّه وأرهبه ورهبه واسترهبه أخافه وفزَّعه، وتَرَهَّبَ الرجل: إذا صار راهباً يخشى الله والراهب: المتعبّد في الصومعة»^(١٥).

والإرهابيون في «المعجم الوسيط»: «وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية»^(١٦). تجدر الإشارة إلى أن المعجمات العربية القديمة قد خلت من كلمتي «الإرهاب» و «الإرهابي»؛ لأنهما من الكلمات حديثة الاستعمال ولم تعرفهما الأزمنة القديمة^(١٧).

وأما في القرآن الكريم، فقد ورد ما اشتق من كلمة «رهب» في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١٨)، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ﴾: «تخوفون»^(١٩). وقال القرطبي: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ يعني: تخيفون به عدو الله وعدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب»^(٢٠).

وقال الله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾^(٢١).

(١٥) لسان العرب، ابن منظور: ج ١، ص ٤٣٦-٤٣٩.

(١٦) المعجم الوسيط، د. إبراهيم وآخرون: ج ١، ص ٣٧٦.

(١٧) انظر: الإرهاب والعنف السياسي، أحمد جلال: العدد ١٠، ص ٢٠.

(١٨) سورة الأنفال: ٦٠.

(١٩) تفسير ابن كثير، ابن كثير: ج ٢، ص ٣٣٥.

(٢٠) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ج ٨، ص ٣٨.

(٢١) سورة الحشر: ١٣.

قال ابن كثير في تفسيره: «أي: يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله»، ويلحظ أن القرآن الكريم لم يستعمل مصطلح الإرهاب بهذه الصيغة، وإنما اقتصر على استعمال صيغ مختلفة الاشتقاق من المادة اللغوية نفسها بعضها يدلُّ على الإرهاب والخوف والفرع، مثل: ﴿يَرْهَبُونَ﴾^(٢٢)، ﴿فَارْهَبُونَ﴾^(٢٣)، ﴿تُرْهَبُونَ﴾^(٢٤)، ﴿اسْتَرْهَبُوهُمْ﴾^(٢٥)، ﴿رَهْبَةً﴾^(٢٦)، وبعضها الآخر يدلُّ على الرهبة والتعبّد^(٢٧).

الإرهاب في الاصطلاح:

من المعلوم أن الغرب قد تلاعب بمفهوم الإرهاب والعنف، فجعله مصطلحاً فضفاضاً يُلبسه لمن يشاء وينزعه عن من يشاء بحسب أهوائه ومصالحه من دون أن يضع مفهوماً محدداً له، أو يقنع من حوله بمنطقية مساراته، ونجد أن هناك بعض الفئات من الإسلاميين وغيرهم قد تلاعبت أيضاً بمصطلح الإرهاب فجعلته نضالاً وجهاداً، وهذا يعكس عمق التباين في المصالح والأهداف ما يجعل المقابل يسعى لتشويه الآخر وإن لم يسلك أسلوباً إرهابياً بالمعنى الاصطلاحي للكلمة.

لذا نجد أن هناك العديد من التعريفات المتباينة للإرهاب مفهوماً وتطبيقاً، فهناك العشرات من الكتب التي تحدثت عن الإرهاب، وهذه الكتب ملئت بالتعريفات المتناقضة، ونقتصر على أهم تعريفات الإرهاب:

- الإرهاب هو: «فعل منظم من أفعال العنف، أو التهديد به يسبب فرعاً أو رعباً من خلال أعمال القتل، أو الاغتيال، أو حجز

(٢٢) سورة الأعراف: ١٥٤.

(٢٣) سورة البقرة: ٤٠، سورة النحل: ٥١.

(٢٤) سورة الأنفال: ٦٠.

(٢٥) الأعراف: ١١٦.

(٢٦) سورة الحشر: ١٣.

(٢٧) «الرهبان» سورة

التوبة: ٣٤، سورة

المائدة: ٨٢، «رهبانهم»

سورة التوبة: ٣١،

«رهبانية» سورة

الحديد: ٢٧.

الرهائن، أو اختطاف الطائرات، أو تفجير المفرقات، وغيرها مما يخلق حالة من الرعب والفوضى والاضطراب، بغية تحقيق أهداف سياسية، سواء قام به دولة، أو مجموعة من الأفراد ضدّ دولة أخرى، أو ضدّ مجموعة أخرى من الأفراد»^(٢٨).

- الإرهاب هو: «ظاهرة عالمية لا ينسب لدين ولا يختص بقوم وهو ناتج عن التطرف الذي لا يكاد يخلو منه مجتمع من المجتمعات المعاصرة، وهو العدوان الذي يمارسه أفراد، أو جماعات، أو دول، بغياً على الإنسان: دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق...»^(٢٩).

- الإرهاب هو: «كلُّ فعل من أفعال العنف أو التهديد به أياً كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي، أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم للخطر...»^(٣٠).

- الإرهاب يعني: «العنف المتعمد ذا الدوافع السياسية والذي يرتكب ضد غير المقاتلين وعادة بغية التأثير في الجمهور حيث أن غير المقاتلين هم المدنيون إلى جانب العسكريين غير المسلحين أو الذين هم في غير مهماتهم...»^(٣١).

الإرهاب بين الأسباب والدوافع

لا شك أن البيئة تشكل عنصراً مفصلياً في نشأة التطرف والإرهاب، فليس هناك ما يؤكد أن الإنسان يولد إرهابياً بالفطرة،

(٢٨) الإرهاب مظهره وأشكاله وفقاً للاتفاقية العربية، موقع الإسلام، ٢٠١٥م: ص ٦.

(٢٩) قرارات المجمع الفقهي الإسلامي المكرمة من عام ١٣٩٨ هـ - ١٤٢٤ هـ: ص ٣٥٥ - ٣٥٦.

(٣٠) الإرهاب مظهره وأشكاله، مصدر سابق.

(٣١) الإرهاب والعنف والتطرف في الشرع: محمد لطفي: ٣.

وإنما السلوك الذي تصنعه البيئة الثقافية والاجتماعية التي يعيش فيها هي من تجعله إرهابياً.

ولعل الشباب من أكثر الفئات انخراطاً في العنف بحكم التكوين النفسي والفسولوجي، فهم أكثر حساسية إزاء المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، وبالتالي أكثر استعداداً للاستجابة العنيفة.

ومن هنا يتّسم سلوكهم السياسي بالخيالية والمثالية ورفض الواقع والسعي إلى تغييره، وتشكّل بعض مظاهر الأزمة المجتمعية التي تعانيها المجتمعات، مثل أزمة الهوية، وغياب القدوة السلوكية، واهتزاز القيم والمعايير، وتزعزع الثقة في النظم والحكّام، وتزايد الإحساس بالفراغ الفكري والثقافي، وتشكّل هذه العوامل قوةً دافعةً لانخراط الشباب في الجماعات والتنظيمات الإسلامية التي تقدّم بديلاً للإحساس بالأمن، والهوية، ولرفع راية الرفض والاحتجاج ضد النظم والأوضاع القائمة^(٣٢).

ثم إن تردّي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية يزيد من إحباط الفئات الدّنيا والمتوسطة في المجتمع، إذ تعاني بشدة من تدهور ظروفها المعيشية بفعل انتشار البطالة، وتدهور الخدمات، وظهور طبقة من الأثرياء الذين يسلكون سلوكاً استفزازياً بالنسبة للفقراء، الأمر الذي يزيد من حدّة التفاوت الطبقي بين أفراد المجتمع فتنعكس آثار هذا الخلل الخطير على الشباب وتنشأ بذلك تربة صالحة للتطرّف تزوّد الجماعات المتطرّفة بأعضاء

(٣٢) انظر: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، د. حسنين توفيق إبراهيم: ص ١٠٩.

يعانون من الإحباط ويفتقدون الشعور بالأمان والأمل في المستقبل، فالفقر الذي يوجد داخل بعض الدول يؤدي إلى استغلال بعض هذه الفئات الاجتماعية الفقيرة ذات المستوى الاقتصادي المتردي من قبل جماعات إرهابية لتنفيذ أعمالها فتصبح هذه الفئات جزءاً من تنظيم إرهابي، أو تمثل الرصيد الاحتياطي لهذا التنظيم أو ذلك، أو تبقى رصيماً تائهاً لكل من أراد القيام بأعمال إرهابية.

ولعل أخطر الأسباب المؤدية للإرهاب الجهل بحقيقة الدين، وتفسير ما أتى به القرآن الكريم بحسب الأهواء والمصالح، وهذا ما دأب عليه حكام الجور في ترسيخه على مدى الأزمان.

إن الفهم الخاطئ لمفاهيم الدين ومبادئه يجعل الفرد فريسة سهلة للتلاعب بعقله، ومن ثم دفعه إلى مستنقع التطرف والإرهاب، ولقد نقل إلينا التاريخ صوراً كثيرة تبين كيف أن أصحاب المصالح والأهداف قد تلاعبوا بعقول الجهلة من الناس، فدفعوهم لارتكاب أشنع صور الإرهاب بسبب جهلهم وبعدهم عن الدين المتمثل في أهل بيت رسول الله ﷺ، ولعل وقعة كربلاء كانت من أبرز تلك الصور، فلا نظن أن عاقلاً لديه مسكة من عقل يشك في أن حصار معسكر فيه نساء وأطفال، وتحشيد الجيوش عليهم، وقرع طبول الحرب حولهم، ومنع الماء عنهم لعدة أيام، وحرق خيامهم إلى قطع رؤوس الشهداء من ذويهم، وسحق جثثهم بالخيل، وقتل أطفال لم يصلوا حد البلوغ، وسلب أجساد القتلى، وتجريدها حتى من الثياب التي

عليها، وسوق الأسارى بذلة وقسوة وضربهم وشتيمهم... إلى غير ذلك من الموارد الكثيرة كانت كلها نابعة من فئة حاقدة على أهل البيت، أو جاهلة، لعب بعقولها أصحاب المطامع والمصالح. ولعل الظاهرة الأخطر والتي ظهرت نتيجة الجهل بالدين ظاهرة استناد فكر الإرهاب النظري إلى الشرع والتقاط شرعيته من وحي التشريع الإسلامي ومصادره الرئيسة المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة واعتبار العنف والإرهاب نظرية مشروعة في المنظار الإسلامي تحت عنوان الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن النفس، ومقارعة الطغاة والمستكبرين، لذا نجد بعضهم يدعو إلى القتل وإباحة الدماء لمن يعده - من وجهة نظره - كافراً أو فاسقاً ويزعم أن الله تعالى أمر بذلك في كتابه العزيز، ويستدل على ذلك ببعض الآيات القرآنية والتي منها:

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا فَاتَّبِعُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٣).

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٣٤).

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ﴾ (٣٥).

﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (٣٦).

(٣٣) سورة التوبة: ٥.

(٣٤) سورة التوبة: ٢٩.

(٣٥) سورة البقرة: ١٩١.

(٣٦) سورة البقرة: ١٩٤.

وجعلت هذه الفئة أن كتاب الله العزيز يتميّز بقدرته العالية على طرح المفاهيم والتعبير عنها بوضوح وكفاية علمية قد لا يدركها العوام من الناس، بل ومن يدعي العلم أحياناً. ففي كتاب الله نجد الأحكام والثواب، ونجد المتغيرات والمنسوخات، وكذا السنن والرؤى المتجددة، فيما يضم بين دفتيه الأصول، والعموم، والمستثنيات، وهذه الآيات التي استدلّت بها هذه الفئة وصفها المفسّرون بأنها ليست من آيات العموم، بمعنى: أنها مرتبطة بجو الحدث وظرف الزمان، حيث كان غبار المعارك مشتتاً على أوجه بين المسلمين والمشركين، فكانت نداءات إشعال فتيل الحماس مطلوبة، لذلك نجد أن أصول التعامل مع الآخر المختلف قد أرساها القرآن ضمن قاعدة الأصول والسُنن العامة التي لا تتغيّر.

ومنها: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٣٧).

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٣٨).

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٣٩).

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٤٠).

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٤١).

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٤٢).

فهذه الآيات تبين موقف الإسلام المحمدي الأصيل من

(٣٧) سورة البقرة: ١٩٠،

سورة المائدة: ٨٧.

(٣٨) سورة الأعراف: ٥٥.

(٣٩) سورة المائدة: ٢.

(٤٠) سورة الكهف: ٢٠.

(٤١) سورة يونس: ٩.

(٤٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

المخالفين له، إذ أكد ترسيخ السلم والمسالمة والحماية وطلب النصح له والرُّشد وأنه لا إكراه في أيِّ أمرٍ من أمور الحياة، وإن جملة الآيات الحربية الأخرى إنما هي بمثابة ردِّ الظلم، ودفع الأخطار، ووقف نزيف الإعتداء على حقوق البشر، وإن الحروب الدفاعية لم يكن غرضها فرض الدِّين عليهم بقدر ما كانت دفاعاً عن النفس، وتقوية شوكة الإسلام، واستظهار القوة والعزيمة، والعمل على الدفاع عن المقدَّسات الإسلامية، ومن غير المعقول أن يأمر القرآن الكريم بقتلهم حيثما ثقفتموهم وهو يحببهم بالإسلام؟ أو يقول: لا إكراه في الدين، ثم يعلن أن السبيل لذلك هو القتل حيثما كانوا!! أليس في ذلك تناقض!

وإن الآيات المذكورة آنفاً التي وجَّهت بقتل المشركين كانت ردود أفعال كونها ارتبطت بأحداث سياسية وعسكرية محدَّدة، ولم تكن من نصوص الثواب والسُّنن التي تكون عادة مغتربة عن أجواء الحدث الذي وقعت في حينه، مما يؤكد لنا أن هذه النصوص من المتغيِّرات.

أما آيات السلم، فمن الثواب الدينية، والمتغيِّرات لها أحكامها المناسبة.

إن الفهم الخاطئ للدِّين الإسلامي المحمدي الأصيل ومبادئه وأحكامه والإحباط الذي يلقاه الشباب نتيجة عدم تقديم قراءة معاصرة لنصوص الدِّين بحيث تحاكي المرحلة وتسدُّ الفراغ وتلبي المتطلبات أدّى إلى إعطاء الفرصة للجماعات المتطرِّفة إلى الترويج عن أفكارها، ومن ثمَّ العمل على ترسيخها في عقول الشباب.

آليات تعامل القرآن مع الإرهاب

من المعلوم أن القرآن الكريم قد عمل على إيجاد آليات لمشكلة الإرهاب والعنف.

والغرض منها: تفعيل مبدأ السلم، ونبذ العنف والتطرف، وترجمة هذا المبدأ على أرض الواقع حتى يكون أقدر على إثراء التفكير البشري نحو مزيد من النمو والوعي؛ ليكون هذا المبدأ مفتاحاً لتعزيز المفاهيم التكاملية من أجل صيانة حقوق الإنسان، ولكيلا يكون للعنف مجالاً يغذي الفئات والقوى الراكدة في حضيض المستنقعات المعرفية والغارقة في هوس التقليدية، ومن تلك الآليات:

١- الدّعوة إلى الحوار:

يمثل الحوار ركيزة أساس في تكريس اللاعنف والنظم الديمقراطية من خلال الإيمان به والاعتراف بحق الآخر في الوجود، والتعبير عن آراءه وأفكاره، وإلا فإن إلغاء الآخر والتفكير بإقصائه يؤدي إلى احتكار الحقيقة ووضعها في نطاق الملكية الخاصة.

إن استبداد رجل العلم في احتكار الحقيقة وعدم السماح للآخرين في مناقشة القضايا تقضي هذه الأجواء وتغتال كلّ أدبيات الحوار وتساهم في رفع وتيرة التطرف والغاء الآخر، فلا سبيل لفرض الرأي للآخر إلا العنف واستخدام القوة المفرطة. وإذا كان العقل والمنطق والواقع يقضي بالاختلاف كظاهرة طبيعية في الحياة الإنسانية، فإنه ليس مستغرباً اختلاف البشر في

الأفكار والتصورات، والمعتقدات، والعادات والتقاليد، والغريب حقاً هو العمل على جعل الناس ضمن منظومة فكرية واحدة وثقافة أحادية ومعتقد واحد لا غير.

وقد خصّص القرآن الكريم مساحة وافية في التحوار مع الرأي الآخر حتى المخالفين والمنكرين لرسالاته ووجوده، حيث يتجاذب الله جلّ شأنه الحديث مع منكريه في حوار هادئ مقنع يحاول ردّ الشبهات بعقلانية متناهية، فيقول في كتابه العزيز: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٤٣)، ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلَٰهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾^(٤٤)، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾^(٤٥)، إلى غير ذلك من الآيات التي لا تحمل التهكم ولا الاستثثار والمصادرة بالحقيقة.

وكان الإمام عليّ عليه السلام يقول عن الخوارج: «إن سكتوا تركناهم، وأن تكلموا حاجبناهم، وإن أفسدوا قاتلناهم»^(٤٦). لذا تجد المتحاربين فكرياً وسياسياً والمتحصّنين خلف الجدر ليقذفوا خصمهم بالمنجنيق من على بُعد، أولئك الضاربون في عروق الفتن أو أولئك المتمترسون بالسلطة والذين يمارسون هتكاً للقيم والأعراف والأعراض، فلو التزم هؤلاء أدب الحوار، وتجردوا عن الأهواء والعواطف والمصالح الضيقة والتحرّروا من التعصّب والتحزّب لأصبح الاختلاف في الرأي يثري الساحة الفكرية بالمزيد من الأفكار الحضارية وينمي الثقافات بمزيد من النهوض والانطلاق.

(٤٣) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٤٤) سورة الأنبياء: ٢٤.

(٤٥) سورة المؤمنون: ٩١.

(٤٦) في ظلال نهج

البلاغة، الشيخ محمد

جواد مغنية: ج ١،

ص ٢٥٢.

٢- الدّعوة إلى التسامح مع الآخرين:

إن منطلقات العمل مع الآخرين لا بد أن تتميز بالتسامح، وسعة الصدر، واجتناب ممارسة العنف بشتى صورته، سواءً داخل الأطر التنظيمية في الحركات، أم خارجها مع الأطراف المحيطة بالعمل، يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾^(٤٧)، ويقول الإمام علي عليه السلام: «آلة الرياسة سعة الصدر»^(٤٨).

ونجده عليه السلام يكتب لعمّاله: «انطلقوا على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلماً، ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله... ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخذج (تبخل) بالتحية لهم»^(٤٩)، وقال عليه السلام أيضاً: «إياك وأن تضرب مسلماً، أو يهودياً، أو نصرانياً في درهم خراج، أو تبيع دابة عمل في درهم، فإنما أمرنا أن نأخذ منهم بالعفو»^(٥٠).

ونرى كيف وجّه سبحانه وتعالى المؤمن للتعامل مع الآخرين؛ إذ يقول: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٥١).

وقوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(٥٢).

وقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٥٣) وقوله: ﴿وَالْكَافِرِينَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥٤).

(٤٧) سورة هود: ٨٨.

(٤٨) نهج البلاغة،

خطب الإمام علي عليه السلام:

ج ٢، ص ١١١.

(٤٩) نهج البلاغة،

خطب الإمام علي عليه السلام:

ج ٣، ص ٢٣.

(٥٠) فروع الكافي،

الشيخ الكليني: ج ٣،

ص ٥٤٠.

(٥١) سورة الفرقان: ٦٣.

(٥٢) سورة لقمان: ١٨.

(٥٣) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٥٤) سورة آل عمران: ١٣٤.

٣- الدّعوة إلى حفظ اللسان:

يظن كثير أن العنف مجرد ممارسة قاسية ولا تشمل الأخلاقيات العامة، وهذا خطأ فاحش، فالمنهج الإسلامي يعتمد على رفض عنف اللسان أو التجراً بالسباب والشتم والنميمة أو التشهير واستغلال الدّين غطاءً لممارسات غير مشروعة، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٥٥) ويقول أيضاً: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٥٦).

ومن الضوابط الشرعية عدم جواز الطعن والتجريح بالمخالف، فقد نهى الإمام علي عليه السلام أصحابه عن سب أهل الشام أيام حرب صفين قائلاً لهم: «إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقتلتم مكان سبّكم إياهم: اللهم احقن دماننا ودمائهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوى عن الغي والعدوان من لهج به»^(٥٧).

ويحرّم استخدام الغيبة، والنميمة، وقول الزور، والبهتان ضد المخالف لك في المنهج، أو الموقف السياسي، أو الرأي العلمي والفقهية، حيث يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِمَّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا...﴾^(٥٨).

- (٥٥) سورة الأنعام: ١٠٨.
- (٥٦) سورة فصلت: ٣٤.
- (٥٧) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ج ٢، ص ٤٦٩.
- (٥٨) سورة الحجرات: ١١-١٢.

«ومن الضوابط الشرعية عدم جواز تكفير من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وإن اختلفت وإياه في رأي، أو موقف، أو منهج، أو تصوّر، أو معتقد، أو مذهب»^(٥٩).

إن عنف اللسان لا يقلُّ خطورة عن عنف الأفعال والأعمال، فهو يصادر أيّ حوار عقلائي ويشوّه أي تبادل فكري، فإتهامات التخوين والتكفير التي تطلق جزافاً لا تحرمنا فقط من فوائد الاجتهاد والاختلاف، ولكنها تكون عادة مقدمة نفسية وذهنية للّجوء إلى العنف الجسدي والمادي، فعنف اللسان تعبير صارخ عن نفي الآخر وعدم الاعتراف بأحقّيته في التعبير الحر والتفكير، ومن ثمّ عدم أحقيته في الوجود والحياة.

٤- الدّعوة إلى التفكير:

من الضروري أن ننطلق في أفكارنا ومتبنياتنا ومواقفنا من أساس التسامح، والعدالة، واللاعنف، ونرتكز على حسن الظن، والهداية، وتمنّي الخير للجميع، وهذا يتطلّب قدراً كبيراً من الوعي، والحنكة، والحكمة، يقول الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشر: «وأشعر قلبك الرّحمة للرّعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سباعاً ضارياً تغتمم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدّين، وإما نظيرٌ لك في الخلق...»^(٦٠).

إن التفكير المنطلق من القلب والعقل لا بد أن يتجسّب أيّ انتحاء نحو الظاهرة الشاذة للعنف، ومن الضروري التعوّد على التفكير السلمي، ففي القرآن الكريم يستبق الباري الرسول صلى الله عليه وآله لكي يثير فيه نوازع الرّحمة والتسامح ونبد العنف ويجعلها مقدمة

(٥٩) شرعية الاختلاف، عبد الله اليوسف: ص ٦٠. (٦٠) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج ٣، ص ٨٤.

لنجاح الدعوة الإسلامية من خلال التفكير بعدم العنف فيقول:
﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٦١).

إن التطرف يبدأ بالعقل، ثم ينتقل إلى السلوك، والحروب
تنطلق من أدمغة البشر قبل أن تتحول إلى ميدان المعارك، لذا جاء
في رسالة الميثاق التأسيسي لليونسكو: «الحرب تتولد في عقول
البشر، وفي عقولهم يُبنى السلام»^(٦٢).

٥- اعتماد أسلوب الحوار والتعددية في الدعوة إلى الإيمان:
من المعلوم أنّ كلّ شخص يتمنى من أعماق قلبه أن يرى أمته
ومجتمعه وطائفته متوحدة متماسكة بعيدة عن الصراعات والنزاعات،
ولكن هذه الأمنية يشوبها سوء فهم لمعنى التعددية، فبعضهم
يعتقد أنّ الوحدة إنما تتحقق باتفاق الآراء، وتطابق المصالح،
ووحدة القيادة، وهي صورة مثالية لا يمكن على المدى القريب
تحقيقها، لأن الاختلاف بين البشر في أفكارهم وآرائهم ومواقفهم
وعاداتهم أمرٌ طبيعي تقتضيه ظروف نشأة البشر، حتى أن القرآن
الكريم يؤكد حتمية وجود الاختلاف والتفاوت بين أبناء آدم، إذ
يقول عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ

يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٦٣).
ويقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٦٤).
ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا
يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾^(٦٥).

(٦١) سورة آل عمران:

١٥٩.

(٦٢) انظر: موقع

اليونسكو، منظمة الأمم

المتحدة للتربية والعلم

والثقافة.

(٦٣) سورة الشورى: ٨.

(٦٤) سورة يونس: ١٩.

(٦٥) سورة هود:

١١٩-١١٨.

بل إننا نجد حتى في الأمور الواضحة والجليّة يطلُّ الاختلاف في الآراء والمعتقدات في خالق الكون: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٦٦)، ويمتدُّ الاختلاف بين الناس في درجات الإيمان ويمتدُّ لمستوى المعرفة والوعي، إذ تتباين مدارك الناس وقدراتهم على الاستيعاب وفهم الحقائق، ومتى تفاوتت درجات العلم والإدراك والوعي تفاوتت المواقف والممارسات والعقائد.

من هنا جاءت الأحكام لتقرّر حرية الفكر والمعتقد والرأي وتدحر أيّ شكل من أشكال التطرّف والتعصّب، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾^(٦٧)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٦٨)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «كلُّ قومٍ دانوا بشيءٍ يلزمهم حكمه»^(٦٩).

إن سيادة التعدّدية تخفض من درجة حدّة الصراعات والالتجاء للتطرّف والعنف في الممارسات، بينما تزايد حدّة الانتماءات العرقية وارتفاع وتيرة اضطهاد الأقليات يسبّب نشأة التوتر في ظل الحرمان وهدر الحقوق، ثم إن الاستبداد في الحكم والتفرّد بالقرارات يغلب رأي الأقلية وفكرهم ويحجّم من مساحة الحريات للأغلبية، وهو باعث على الكراهية والبغض والإقصاء والعنف.

إن كفالة مبدأ التعدّدية بني آدم كافة من دون اعتبار للعنصر أو المذهب أو الطائفة أو الفئة أو الدّين أو الجنس يُعدُّ باعثاً جينياً لإزالة التوتر.

(٦٦) سورة إبراهيم: ١٠.

(٦٧) سورة آل عمران:

٦٤.

(٦٨) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٦٩) تهذيب الأحكام،

الشيخ الطوسي: ج ٩،

ص ٣٦٥.

في الوقت ذاته علينا أن نقبل التعدد الحضاري وعلى الغرب أن يفسح المجال للحضارات الأخرى أن تقول كلمتها في شؤون البشرية ويقبل حضارات الآخرين بين حضارته وأن يدرك أن لا مصلحة ولا صواب في نماء العالم وفق نموذج حضاري أوحده، بل لابد أن يشترك الجميع لحماية العالم من الفساد والدمار والمشكلات المتلاحقة، وإن العولمة لا ينبغي لها أن تلغي خصوصيات الأقوام والأديان وتصادر الثقافات والأفكار الأخرى والمخزون الحضاري لسائر الأمم.

٦- الدعوة إلى التعايش:

لقد دعا الإسلام المحمدي الأصيل إلى ضرورة احترام أصحاب الديانات الأخرى، وذلك من خلال ترسيخ مبدأ التعاون لتحقيق السلام، حيث يقول سبحانه في محكم كتابه المجيد: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٧٠)، وقال تعالى: ﴿وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَا آمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٧١)، بل نهى الإسلام بشدة عن الإكراه وفرض الدين، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْفُرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٧٢).

(٧٠) سورة الممتحنة: ٨.

(٧١) سورة التوبة: ٦.

(٧٢) سورة يونس: ٩٩.

من جهة أخرى لابد أن نستقبل أي مقاربة معاصرة من قبل الديانات الأخرى والنظرات الناضجة ذات الفهم الواعي ونحملها على محمل من الترحيب والعمل الجاد على دعم هذه الطاقة

الباعثة على الاستقرار والتآلف، فكل ذلك يؤسس قاعدة قبول الآخر المختلف واحترام حقه في الوجود، ومشاركته الحياة والتعايش المشترك، والعمل على فتح قنوات الحوار والانفتاح بغية المزيد من إذابة الجليد والعمل سوياً لإحلال العدالة والحرية ونشر الأخلاق والفضيلة والتسامح بين الشعوب.

إن مبدأ التعايش من ركائز إقامة المجتمع الإنساني السليم والمستقر ومفتاح تحقيق الأمن الذاتي للفرد والمجموعات، فالتعايش يعني نبذ استخدام القوة والسلاح في العلاقة بين المجموعات المختلفة وهو أساس السلام الاجتماعي.

يذكر التاريخ: «لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقَمُوصَ حِصْنَ بَنِي أَبِي الْحَقِيقِ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حِي بنِ أَحْطَبٍ، وَبِأُخْرَى مَعَهَا، فَمَرَّ بِهِمَا بِلَالٌ، وَهُوَ الَّذِي جَاءَ بِهِمَا عَلَى قَتْلِي مِنْ قَتْلِ مَنْ يَهُودٍ، فَلَمَّا رَأَتْهُمَا الَّتِي مَعَ صَفِيَّةَ، صَاحَتْ، وَصَكَّتْ وَجْهَهَا، وَحَثَّتْ التَّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِبِلَالٍ لَمَّا رَأَى مِنْ تِلْكَ الْيَهُودِيَّةِ مَا رَأَى: «أَنْزَعْتَ مِنْكَ الرَّحْمَةَ يَا بِلَالُ حَيْثُ تَمَرَّ بِامْرَأَتَيْنِ عَلَى قَتْلِي رَجَالَهُمَا؟» (٧٣).

(٧٣) الكشف والبيان
عن تفسير القرآن
(تفسير الثعلبي)، الثعلبي:
ج ٩، ص ٥٢.

الخاتمة

إن فكر الإرهاب وفعالهم ينشأ من الاعتقاد الأوحى برجحان المنطق والفكر المتبنى وبطلان أي منطق أو فكر لغيرهم، الأمر الذي يعمل على تحويل الأفكار إلى بديهيات لا تقبل النقاش وتحويل الآخر المختلف إلى كافر فاسق ضال.

إن هذا الاستملاك القسري للحقيقة المطلقة يفضي إلى محاولة الهيمنة على فكر الآخرين وعقولهم وحياتهم وبيع التصرف بحقوقهم وإقصاء فكرهم وتصوراتهم، ويولد لدى الفرد الإعتقاد المفرط بأن الآخرين ينتهكون حقوقه المشروعة المصحوبة بأوهام وتخيلات مهولة، فتتحول ردة الفعل لديه إلى اندفاع متشنجة مفرطة.

من هنا ندرك أن الإرهاب ينهض على أسس مهترئة منشأها الفكري ينبري عادة طبقاً لظروف وقتية زمانية طارئة حتمت إطلالته في غفلة من الوعي والتعقل والفكر المتوازن الرصين، ولعل ما نعاينه اليوم من التعصب والتطرف والإرهاب بين صفوف المسلمين يرجع في جذوره إلى إقصاء المعسكر الأموي أهل بيت النبوة ﷺ، وإبعادهم عن الناس وإيجاد الناس عنهم ليتمكنوا من التلاعب بعقولهم وتوجيهها بما يخدم مصالحهم، ولا يخالنا أدنى شك في أن الروايات والأحداث التاريخية لو أخذت من مصدرها الحقيقي وهم أئمة آل البيت ﷺ لجبئنا ذلك كثيراً من المتاعب والمشاكل التي تشكل توليفة فكرية ثقافية حافلة بالأخطاء، ومن ثم تتحول إلى سلوك خاطئ يهدف إلى تغيير العالم حسب المصالح والأهداف.

إن معضلة التاريخ هي معضلة السلطة نفسها، تلك السلطة التي تتحكم في العقول من أجل مصالحها الدنيوية فتجعل ذلك الراوي يحوّل الرواية إلى قطعة أثاث في بلاط ذلك الحاكم ليتفادى بذلك بطش ذلك الحاكم وليتمكّن الحاكم من التلاعب في تلك الرواية بما يخدمه ويخدم كرسيه، لذلك ظهر في التاريخ نمط من الروايات التي لم تكن سوى مجرد تصفيق لسياسة الأمراء وتماهي وتواطؤ مع السلطة وتأييد لمنهجية حكمها، فكثر بذلك التلفيق، والدّس، والتدليس، في صفحات التاريخ، وخلطت بذلك الأوراق فلم يعرف الحق من الباطل، وأصبح قتل العزّل جهاداً في سبيل الله، والإفساد في الأرض إحياء لشرع الله.

وختاماً ندرك أن الأمة لو تمسّكت بالثقلين: القرآن الكريم، وعترته الله ﷺ لجنّبت نفسها الوقوع في مستنقع الإرهاب والتطرّف، ولعاشت الحياة الكريمة التي ارتضاها الله لها.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١- الحر العاملي، محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الناشر: آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط ٢، المطبعة: مهر - قم المقدسة، ١٤١٤ هـ.
- ٢- خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، ط بيروت، سنة ١٨٨٥ م.
- ٣- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، الناشر: دار التعارف للمطبوعات - سوريا.
- ٤- ابن أبي الحديد المعتزلي، نهج البلاغة، الناشر: دار الكتب العلمية. ط مصورة على طبعة دار إحياء الكتب العربية.
- ٥- ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ٦- ابن كثير، إسماعيل، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ١٣٩٦ - ١٩٧٦ م.
- ٧- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، ط ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٨- مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، ط ٢، الناشر: دار الدعوة - القاهرة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م.
- ٨- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الناشر: دار صادر ودار بيروت، ١٩٥٥ م / ١٣٧٤ هـ.
- ١٠- أحمد جلال، الإرهاب والعنف السياسي، كتاب الحرية، العدد ١٠، الناشر: دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر، رجب ١٤٠٦ هـ - مارس ١٩٨٦ م.

- ١١- اليوسف، عبد الله، شرعية الاختلاف، الناشر: دار الصفوة - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١٢- جورج جرادق، كتاب الإمام علي عليه السلام وحقوق الإنسان، الناشر: الدار العربية للموسوعات، ط ١، ٢٠٠٦م.
- ١٣- الصفار، الشيخ حسن، التعددية والحرية في الإسلام، ط ٢، بيروت، ١٩٩٦م.
- ١٤- حسنين إبراهيم توفيق، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢م.
- ١٥- المصيلحي، الحسيني، محمد، الإرهاب مظاهره وأشكاله وفقاً للاتفاقية العربية، موقع الإسلام، ٢٠١٥م.
- ١٦- المجمع الفقهي الإسلامي، قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة.
- ١٧- لطفي، محمد، الإرهاب والعنف والتطرف في الشرع، الناشر: دار بيروت، ٢٠١٥م.
- ١٨- فهمي هويدي، حقوق العائلة في الإسلام، مقالات المؤتمر السادس للفكر الإسلامي طهران، ١٤٠٨هـ.
- ١٩- العاملي، جعفر مرتضى، ميزان الحق شبهات وردود، الناشر: المركز الإسلامي للدراسات ط ١، ٢٠١٠م.
- ٢٠- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦م.
- ٢١- الحميري، ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المطبعة: المدني - القاهرة، الناشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - بمصر، ١٣٨٣ - ١٩٦٣م.

- ٢٢- السهيلي، عبد الرحمن، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م.
- ٢٣- النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان.
- ٢٤- البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، الناشر: دار الفكر.
- ٢٥- البعلبكي، منير، موسوعة المورد العربية، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٩٠ م.
- ٢٦- مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، ط ١، المطبعة: مطبعة ستار، الناشر: انتشارات كلمة الحق، ١٤٢٧ هـ.
- ٢٧- موقع اليونسكو، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.
- ٢٨- الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، ط ٣، المطبعة: خورشيد، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، ١٣٦٤ ش.

٤

منهج التفسير البنائي عند الدكتور البستاني

د. نعمة النجار
جامعة المصطفى العالمية

المقدمة

ينتمي البستاني إلى عائلة عريقة في العلم والأدب، ولم ينحصر تواجدها في العراق فحسب، بل لها وجود على صعيد العالم العربي والإسلامي والإقليمي، ونواة العائلة تأتي من حيّ البساتين في قرية (جبله) بالقرب من اللاذقية في سورية وبعد الاحتلال العثماني للشرق الأوسط انتقلت تلك العائلة إلى مختلف أصقاع العالم ومن ضمنها العراق^(١).

وولد الدكتور البستاني في النجف الأشرف عام ١٣٦٦هـ، وجمع بين الدراستين الحوزوية والأكاديمية، وتخرّج من كلية الفقه ثمّ واصل دراسته العليا في القاهرة، ونال شهادتها من خلال رسالته الموسومة «التّقد الأدبي في العراق في القرن العشرين» وبعدها أعدّ رسالته الدكتوراه بعنوان «المناهج النّقديّة في نقد المعاصرين»^(٢).

ويُعدُّ الأستاذ البستاني من العلماء والمفكرين الإسلاميين المجدّدين وقد أغنى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات القيّمة والمبتكرة في مختلف فروع المعرفة الإسلامية^(٣).

وقد أثرى «رحمه الله» قسم المعارف الإسلامية في إذاعة طهران وعلى مدى قرابة ثلاثين عاماً بكتاباته التخصّصية في التّفسير، والأدب الإسلامي، والأخلاق، وشرح أدعية أهل البيت عليهم السلام.

التحق بالرفيق الأعلى عن عمر يناهز السّادسة والسّبعين عاماً، إذ وافته المنية في مدينة قم يوم الإثنين في التّاسع من ربيع الثاني عام ١٤٣٢هـ، تاركاً ثروة علمية لا يستهان بها، متمثلة في مختلف الفنون والأصناف والمعارف الإسلامية المتعددة.

(١) جريدة الديار اللبنانية: ص ١٠، بتاريخ ٣-١-١٩٩٦.

(٢) الدكتور البستاني مفكراً إسلامياً، محمد الساعدي: ص ٧٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٢١٨.

يُعدُّ الدكتور البستاني من أصحاب الفكر والأدب الذين يتغون من وراء ما يقدمون من خدمات علمية إلى المجتمع وفي مختلف المجالات مرضاة الله سبحانه وتعالى، وكان في طليعة أولئك الذين نشروا العلم وسعوا في إيصاله إلى طبقات المجتمع جميعها، إذ بذل جهوداً مشكورة في مختلف الأنشطة العلمية بعد أن جمع بين كلا العلمين الأكاديمي والحوزوي وقد كتب ونشر ودرّس فيهما، وكانت من أهم الأهداف والطموحات التي يسعى لتحقيقها هو (أسلمة العلوم) بمنهجية جديدة وبمبادئ الإسلام الأصيل.

ويُعدُّ مشروعه في التفسير البنائي من أهم المشاريع العلمية التي كان يحرص على إيصاله إلى أبناء الواقع المعاصر؛ لما فيه من فائدة جمة وغزيرة، لذلك سعى إلى تطبيق منهجه الخاص، والذي يُعدُّ من ابتكاره على آيات الكتاب المبارك كافة.

وقد كان هذا الدافع من أهم الدوافع التي أدت بنا إلى أن نتبع هذا المنهج ونتطلع إلى الكتابة فيه، وبحمد الله تعالى فقد تطرّقنا فيه إلى نكات علمية عدّة، منها: أسباب ظهور التفسير البنائي، وفي النكته الثانية إلى منهج البستاني في التفسير، وفي الثالثة إلى بعض تطبيقات المنهج المشار إليه.

وقبل الولوج في ثنايا بحثنا لابد من التّعريف ببعض المصطلحات التي لها صلة في المقام وهي: (التفسير، المنهج، الاتجاه).

إنّ معنى التفسير في اللغة يدور حول البيان، والإظهار والكشف. وقد اختلف اللغويون في تحديد الأصل الذي اشتقت

منه كلمة (تفسير)، فمنهم من ذهب إلى الجذر (فسر) أي: بمعنى الإبانة وكشف المغطى ففسّر الشيء يفسّره فسراً، أي: أبانه وكشف عنه^(٤)، ومنهم من ذهب إلى أنه مقلوب الجذر عن (سفر) فيقال: سفرت المرأة سفراً، إذا أَلقت خمارها عن وجهها فهي سافرة^(٥).

أما معنى التفسير اصطلاحاً، فقد عُرِّف بتعريفات عدّة نذكر منها: إنه إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز^(٦)، وعُرِّف من قبل الزرقاني على أنه: العلم الذي يبحث فيه عن القرآن من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدرته الطاقة البشرية^(٧).

وعليه يمكن القول إنَّ المنهج التفسيري هو: الطريقة التي يسلكها مفسّر كتاب الله تعالى، وفق خطوات منظّمة يسير عليها لأجل الوصول إلى تفسير الكتاب العزيز طبقاً لمجموعة من الأفكار يعني بتطبيقها وإبرازها من خلال تفسيره^(٨).

وأما المفردة الثالثة وهي الاتجاه، فالمقصود منه: تأثير الاعتقادات الدّينية والكلامية والاتجاهات العصرية وأساليب كتابة التفسير، التي تتكوّن على أساس عقائد المفسّر واحتياجاته وذوقه وتخصّصه^(٩).

وأما مفردة المنهج، المقصود منها في اللغة هو: الطريق الواضح^(١٠)، وأما اصطلاحاً: فهو طريق يبحث فيه عن الحقيقة في أيّ علم من العلوم، أو في أيّ نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية^(١١).

مناهج المفسّرين: وهي عبارة الطرائق والخصائص التي يتمييز بها التفسير الخاص بالقرآن الكريم^(١٢).

(٤) لسان العرب، ابن منظور: ص ٥٥.

(٥) مجمع البحرين، الطريحي: ج ٣، ص ٣٣٣.

(٦) البيان في تفسير القرآن: الخوئي، ص ٤٢١.

(٧) مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني: ج ١، ص ٤٧١.

(٨) المنهج الأثري في تفسير القرآن، هدى أبو طبرى: ص ٢٣.

(٩) دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي رضائي: ص ١٨.

(١٠) لسان العرب، محمد بن مكرم، ابن منظور: ج ٢، ص ٣٨٣.

(١١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار: ج ٢، ص ٦.

(١٢) أبو طبرى، هدى جاسم، مصدر السابق: ص ٢٣.

وقد قُسمت هذه المناهج من قبل أصحابها وفق آلية خاصة، ويمكن أن نشير إلى أهم أنواعها: فالتقسيم الأول الذي يعطي استقلالية كاملة لكل نوع من أنواع المناهج المذكورة، التي انبثقت عن مجموعة من المدارس التفسيرية التي نمت وتطوّرت عبر العصور والأزمان، كالمناهج الأثري، ومنهج التفسير بالرأي، والمنهج اللغوي، والمنهج البياني، المنهج الصوفيّ أو الباطني، والمنهج العلمي، والمنهج الموضوعي، ومنهج التفسير البنائي.

وأما التّقسيم الثاني، وهو التّقسيم الذي طُرح من قبل الدكتور رضائي^(١٣)، إذ قسّم المناهج إلى قسمين رئيسيين، تحت مايسمى بالأقسام الناقصة والكاملة، على أساس كيفية استخراج معاني القرآن ومقاصده، وكذلك المصدر المستعمل في التفسير، كالآتي: المناهج التفسيرية الناقصة، منهج تفسير القرآن بالقرآن، منهج التفسير الروائي، منهج التفسير العلمي، منهج التفسير الإشاري، منهج التفسير العقلي، منهج التفسير بالرأي^(١٤)، والمقصود بالمنهج الذي يستفيد من هذه الطّرق جميعها، لكي يتبيّن مقصوده بصورة كاملة من الجوانب جميعها^(١٥).

وأما التّقسيم الثالث، فقد قسّم التّفسير الموجودة إلى ثلاث مجاميع وتمثّلت بما يأتي:

الأولى: التّفسير الروائية المحضّة: «الكتب التفسيرية الروائية المحضّة وهي المجموعة من كتب التفسير التي يقوم مؤلفوها بمجرد إثبات الروايات في ذيل الآيات ذات الصلة ويحجمون عن القيام بأيّ جهدٍ أو اجتهاد في معنى الآيات أو إبداء رأي ووجهة نظر فيها».

(١٣) رئيس قسم القرآن

والحديث في جامعة

المصطفى ﷺ.

(١٤) دروس في المناهج

والاتجاهات التفسيرية

للقرآن: ص ٢٥.

(١٥) المصدر السابق:

ص ٢٥.

الثانية: الباطنية المحضة: «وهي التي قام مؤلفوها بتفسير باطن القرآن فقط، فلا يذكرون من الآيات القرآنية إلا معانيها الباطنية الرمزية».

الثالثة: التفسير الاجتهادية: «هي المجموعة من الكتب التي بذل مؤلفوها جهداً علمياً مارسوا خلاله اجتهاداً علمياً في بيان مقاصد الآيات ومعانيها وسبب الاختلاف في طرق الاجتهاد الذي مارسه المفسرون، كالتفسير القرآنية الاجتهادية في القرآن، والروائية والأدبية والفلسفية والعلمية والتفسير الاجتهادية الجامعة، التفسير الاجتهادية الباطنة»^(١٦).

مَنْ كَتَبَ فِي التَّفْسِيرِ الْبِنَائِيِّ

بعد أن تتبعنا لما كُتِبَ حول منهج التفسير البنائي، لم نجد بصراحة إلا النزر اليسير من كُتَبَ عنه، وكان في طليعتهم الدكتور البستاني في موسوعته ذات الخمسة مجلدات والتي تحمل عنوان: (منهج التفسير البنائي للقرآن)، وكذلك كتاب: (الوحدة البنائية في القرآن المجيد) طه جابر العلواني، (الوحدة البنائية) لأحمد عبادي، (الوحدة البنائية في القرآن الكريم) لأحمد الغزوف.

أسباب ظهور المنهج البنائي:

هناك أسباب عدة أدت إلى ظهور المنهج البنائي يمكن ذكرها بما يأتي:

١ - إنَّ الدراسات التي تناولت القرآن الكريم لم تتوفر على دراسة من حيث البناء الذي تنتظم فيه السورة الكريمة، أي: لم تتناول السورة بصفاتها مجموعة من الآيات التي ترتبط إحداها

(١٦) المناهج التفسيرية،
علي أكبر بابي: ص ٤١.

مع الأخرى مع أنَّ المسوّغ لمثل هذه الدراسة يفرض ضرورته على المعنيين بشؤون القرآن الكريم نظراً لكون القرآن قد انتظم في (سور) لم يكن مجرد آيات أملتها مناسبات خاصة، وعندما تنتظم مجموعة من الآيات في سورة خاصة، فلا بد حينئذ من أن تكون لهذه الآيات المجتمعة في سورة دون غيرها من الآيات خصوصية من حيث تناسب بعضها مع الآخر، وإلا لم تكن هناك ضرورة بأن يأمر النبي ﷺ كتاب الوحي بأن يضعوا هذه الآية أو تلك في السورة الفلانية أو بجانب الآية الفلانية.

٢ - شمولية السورة وعدم انحصار آثارها على المتلقي في جزئياتها فحسب، بل إن الانطباع العام أو الأثر العام الذي تتركه القراءة للنص له أهميته أيضاً، فكما أن البحث العلمي أو الخطبة الجماهيرية أو التحليل النفسي يراعي طبيعة الشخص وطريقة إدراكه للأمور ويخضع لقوانين خاصة في الاستجابة للأشياء، مثل إدراكه للمجمل أولاً، ثمّ للمفصل، أو بالعكس، كل ذلك له أهميته من حيث الهدف الذي يرسمه النصّ، فإذا كان هدف هذه السورة القرآنية أو تلك هو: تعديل سلوك الإنسان وتحسين علاقته مع الآخرين مثلاً، فإنّ قراءة سورة كالحجرات سوف تترك أثراً عاماً بعد الانتهاء من قرائتها بنحو قد لا يتحسّسه القارئ ولكن النصّ نظراً لمعرفته بطرائق التأثير فإنّه يسلك أساليب خاصة من حيث التقديم والتأخير لهذه الآية أو تلك، أو لهذا الموضوع أو ذاك، ومن حيث طرحه وفق أسلوب الرغبة أو الرهبة أو... الخ، ليتحقق من خلال ذلك هدفه الفكري في النصّ^(١٧).

(١٧) التفسير البياني
للقرآن الكريم، محمود
البستاني: ج ١، ص ٧-٨.

منهج البستاني في التفسير

لقد تطرّق الدكتور البستاني إلى المنهج الذي سيّبعه وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه الموسوم بعنوان (التفسير البنائي في القرآن)، والذي يمكن إجماله بنقاط عدة، منها:

١ - إنّ تناول السورة القرآنية الكريمة من حيث عمارتها يتم وفق أسلوبين؛ إحداهما: الوقوف عند السمات الفكرية، أو الموضوعية التي تربط الآيات مع الآخر.

وثانيهما: الوقوف عند السمات الفنية، أي: ملاحظة مجموع السورة من ناحية بدايتها ووسطها ونهايتها من جانب، ثمّ علاقة كلّ آية بما سبقها ولحقها من جانب ثانٍ، ثمّ (هذا المائز الملحوظ بين الدراسة الفنية وغيرها) ملاحظة العناصر القصصية، واللفظية، والصورية، والإيقاعية، وغيرها من العناصر التي تنتظم في النصوص الأدبية وتميّزها عن النصّ العلمي الصرف، ثم ملاحظة هذه العناصر ومدى اسهامها في عملية الربط بين أجزاء السورة، ثمّ كيفية تنظيمها من أجل إنارة الفكرة التي يتضمنها النصّ.

٢ - الدراسة التي قام بها تعنى بالسمات الفنية إلى جانب السمات الفكرية، وإبراز الوحدة العامة التي تحكم السورة، ينظر إليها من أوجه متنوّعة، منها:

أ- من حيث الموضوعات أو الأهداف: فالسورة الكريمة تتخذ أحد الأبنية الآتية من حيث علاقة موضوعاتها في الأفكار المطروحة فيها: وحدة الفكر ووحدة الموضوع، ووحدة الفكرة وتعدّد الموضوع، ووحدة الموضوع وتعدّد الفكرة وتعدّد الموضوع.

ب- من حيث الأشكال: تتخذ السورة واحداً من الأبنية التالية:
- البناء الأفقي، وهو أن تبدأ السورة بموضوع، وتختتم
بالموضوع ذاته عبر سلسلة من الموضوعات المتنوعة.

- البناء الطولي، وهو أن تبدأ السورة بموضوع تدرّج في
عرضه بحيث يختم الموضوع مع نهاية السورة.

البناء المقطعي: وهو أن تطرح السورة جملة من الموضوعات
تنهي كلّ واحد منها بآية أو أكثر تتكرّر في المقاطع، مثل ﴿فَبَآئِيَ
آلَاءِ رَبِّكَمَا تُكذِّبَانِ﴾^(١٨).

ج- من حيث العلاقات: تتخذ السورة واحدة من العلاقات الآتية:
- السببيّة ويُقصد بها الموضوعات في السورة يترتب أحدها
على الآخر على نحو (السببيّة) بحيث يكون الموضوع (سبباً)
للاحقه، و(مسبباً) عن سابقه.

(١٨) سورة الرحمن: ١٣.

- النموّ: ويقصد به أن الموضوع ينتقل أو يتحوّل أو يتطوّر من
مرحلة إلى أخرى كما يتنامى النبات ويقطع مراحل متنوّعه حتى
يصل إلى نهاية نموّه.

- التّجانس: ويقصد به مجانسة كلّ عنصر من عناصر النّص مع
الآخر، أي: مجانسة الموضوعات مع الأفكار بالنسبة إلى الأدوات
الفنية المستخدمة، كعنصر القصّة، والصورة، والإيقاع و.. الخ.

٣- هذه المستويات من (الوحدة) التي تنتظم في عمارة السورة
الكريمة، حاول أن يقف عندها مفصّلاً حسب ما تقتضيه السورة
ذاتها، حيث إنّ كلّ سورة تتخذ لها شكلاً خاصاً من العمارة التي
تناسب خطوطها مع طبيعة الأفكار التي يستهدفها النّص.

٤ - هناك مستويات أخرى من الأبنية التي لا نجد ضرورة في الإشارة إليها في هذه المقدمة، بقدر ما يلحظها القارئ في حينه، ويكتشف ما تنطوي عليه من جمالية وإحكام وإمتاع فنيّ بخاصة ملاحظة تلك الأساليب التي سلكها النصّ القرآني الكريم في الانتقال من آية إلى أخرى، أو موضوع إلى آخر أو الأساليب التي سلكها في جعل القارئ يكتشف بنفسه كثيراً من الخطوط التي انتظمت عمارة السورة القرآنية الكريمة^(١٩).

سبب تسميته بالبنائي:

يكشف الدكتور البستاني عن سبب تسمية تفسيره بالبنائي، قائلاً: «قد أُسميت هذا النمط من الدراسة بـ (التفسير البنائي) بصفة أنها تتناول (بناء) السورة القرآنية الكريمة من حيث كونها هيكلًا عضويًا يتماثل في وظيفته مع العمارة الخاضعة لهندسة خاصة، أو الجهاز الجسمي في تواشج أعضائه بعضها مع بعضها الآخر»^(٢٠).

موقعية التفسير البنائي بين التفاسير الأخرى:

يرى الدكتور البستاني أنّ التفسير البنائي هو تفسير مستقل ومن نوع خاص يختلف عن التفسير الأخرى التجزيئية من جهة، وعن الموضوعية من جهة أخرى، ويرى أيضاً أنّ الدراسات الموروثة قد اقتصرّت على نوع واحد من التفاسير وهو الترتيبي منعزلة عن الهيكل الهندسي العام للسورة.....

والأمر نفسه بالنسبة إلى غالبية الدراسات الحديثة، عدا بعض الدراسات النادر منها، إذ نلحظ اقتصارها على بعض سور القرآن الكريم دون التوافر على السور جميعاً، أو دراسة المناخ العام

(١٩) التفسير البنائي
للقرآن الكريم، محمود
البستاني: ج ١، ص ٧-٩.
(٢٠) المصدر السابق:
ج ١، ص ٧-٩.

للسورة، وهي تختلف بطبيعة الحال عن دراسة البناء العضوي لها؛ لأن المناخ العام للسورة ينحصر في تبين المحور أو المحاور الفكرية التي تناولها للسورة، أما البناء العضوي، فيتناول الصلة العضوية بين المحاور المذكورة، أي: الرابطة (السببية) بين عناصر السورة جميعاً، سواء أكانت موضوعاً واحداً ذا جزئيات، أو موضوعات مختلفة أو عناصر ثانوية ... الخ.

وثمة دراسات أخرى هي: الدراسة أو التفسير الموضوعي، إذ يقتصر هذا النمط من الدراسة على المحور الدلالي الخاص بهذا الموضوع أو ذلك، ومن خلال اقتناصه من النصوص القرآنية بنحو عام، وهو بدوره يدرس الظاهرة منعزلة عن استقلالية الهيكل للسورة القرآنية.. وهذا يعني أن دراسة البناء العضوي للسورة تظلّ غائبة عن الساحة التفسيرية وهذا ما شكّل مسوّغاً للتوافر عليه.. وبعضهم يؤيده في ذلك ويذهب إلى أنّ التفسير البنائي هو مستقل وظهر في فترة متأخرة، ويُعدُّ الدكتور البستاني له قصب السبق في ذلك^(٢١).

وهناك من يذهب إلى خلاف ما تقدّم إذ يرى أنّ التفسير البنائي، هو أحد فروع التفسير الموضوعي، وكذلك يرى الدكتور (عويز) بأنّ البستاني لم يأت بشيء ويعدُّ نفسه مخترعاً لنظرية التفسير البنائي، بل على العكس كانت موجودة عند القدماء تحت ما يسمّى بعلم المناسبة، غاية ما يمكن أنّ السابقين لم يعرفوا هذا الاسم وأنّ البستاني استعان بالمنهج البنائي الغربي، في تطبيق ذلك على العلوم من أجل أسلمتها^(٢٢).

(٢١) المدخل إلى تاريخ التفسير والمفسرين، حسين علوي مهر: ص ٤٢٧.

(٢٢) قراءة نقدية في الرؤية البنائية للنص القرآني عند الدكتور محمود البستاني، أحمد عويز: ص ٤.

المنهج البنائي والتطبيق

يُعدُّ المنهج البنائي من المناهج التي لها أهميتها على الساحة الفكرية والعلمية، ونلاحظ الاهتمام بهذا المنهج من قبل بعض الدارسين نتيجة قيام الدكتور البستاني بتطبيقه على القرآن في خمسة مجلدات ، وإنزاله إلى أرض الواقع ، ومراعاة للإيجاز وعدم الاطناب سنذكر تطبيقاً يُعدُّ من أهم التطبيقات وأوضحها كما يشير إلى ذلك الدكتور البستاني في سورة الكهف .

إذ « طالما استشهدت بهذه السورة نظراً لوضوح دلالاتها وتضمّنها عنصراً قصصياً وابتنائها على محور واحد، وعدم طولها او قصرها» نموذج بين لأحد أنماط البناء العضوي «والأبنية العضوية متعدّدة المستويات والخطوط والأشكال مما لا مجال للحديث عنها الآن»، وهو بناء يقوم على (هدف مركزي) وأهداف ثانوية ..

فالهدف المركزي هو «زينة الحياة الدنيا وكيفية التعامل مع هذه الزينة»... والقارئ بمقدوره أن يستكشف هذا الهدف سريعاً حينما يضع في ذهنه أنّ السورة تتضمن نمطين من الصياغة اللغوية: النثر القصصي والنثر غير القصصي، وبالنسبة إلى النثر الأخير يواجه القارئ ثلاث آيات أو ثلاثة مواقع متفاوتة، أو

متباعدة تتحدّث عن (الزينة) في السورة المذكورة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ (٢٣) ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢٤)، ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ

(٢٣) الكهف: ٧.

(٢٤) الكهف: ٢٨.

الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٢٥)، ويواجه مجموعة من القصص أيضاً تتحدث عن زينة الحياة الدنيا ولكن بالنحو غير المباشر، وهو أحد أشكال (المنبهات) الإدراكية للشيء، حيث نجد حيناً أن تمرير الأهداف يتم من خلال الطرح المباشر، وحيناً من خلال الطرح غير المباشر..

وأول هذه القصص قصة أهل الكهف، إذ أوردها النص مباشرة، بعد آيتي الزينة **﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾** و**﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾** (٢٦)، إذ تأتي القصة مباشرة بهذا الافتتاح **﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾** (٢٧).

ومن البين أن إحلال القصة مباشرة بعد الحديث عن زينة الحياة الدنيا وتحول الزينة صعيداً جرزاً، له مغزاه الفني الخطير، إذ تدع القارئ بنحو لا واع يواجه تطبيقاً أو سلوكاً عملياً لنبذ زينة الحياة الدنيا دون أن تشير القصة إلى هذه الظاهرة لفظياً، وهذا النبذ لزينة الحياة الدنيا ليس نبذاً عادياً، بل النبذ للزينة بأقصى صورها ألا وهو اللجوء إلى الكهف، إذ تنطفئ الحياة تماماً، وإن أبطال الكهف ليسوا أشخاصاً عاديين، بل يحتلون مواقع اجتماعية، أو سياسية من الدرجة العليا، بمعنى أن الشخصية العادية من الممكن أن تنبذ زينة الحياة الدنيا العامة، ولكنها تشبث بامتعتها المباحة، كالحياة الزوجية، والأسرية، والقرايبية، والصداقية، أما أن تدلف إلى الكهف مع إنها شخصية ذات موقع اجتماعي رفيع، فأمر يجسد كما قلنا أقصى النبذ لزينة الحياة الدنيا، مما يترك أثره الاستجابي على المتلقي بنحو حاد كما هو واضح.

(٢٥) سورة الكهف: ٤٦.

(٢٦) سورة الكهف: ٨.

(٢٧) سورة الكهف: ٩.

وما أن يمضي القارئ في متابعة النص حتى يواجه الآية الثانية للزينة، ثم ما أن يدعها حتى يواجه القصة الثانية المجسدة بدورها لأحد أنماط التعامل مع زينة الحياة الدنيا، وهي قصة صاحب الجنتين (المزرعتين)، إذ يواجه القارئ موقفاً مضاداً تماماً للموقف السابق الذي لاحظته لدى أصحاب الكهف، فهذه الشخصية (صاحب المزرعتين) قد تشبّثت على عكس أصحاب الكهف بزينة الحياة الدنيا إذ قال لصاحبه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا﴾^(٢٨)، وقال عن مزرعته ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾^(٢٩)، بل شككت حتى بقيام الساعة ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾^(٣٠).

أيضاً: لم تقل القصة مباشرة أن هذه الشخصية على عكس أصحاب الكهف، بل تركتنا - نحن المتلقين - نستكشف ذلك من خلال الصياغة غير المباشرة.... بل أنها قدّمت بنحو غير مباشر أيضاً تطبيقاً أو تجسيداً لما قالته الآية الأولى من الآيات التي تحدّثت عن الزينة: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا...﴾^(٣١)، حيث أوردت على لسان المحاور (صاحب الجنتين) بفقرة ﴿فَتَصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾^(٣٢)، فجاء التعبير بالفقرة المذكورة نمواً عضوياً للآية الأولى، وهذا هو أحد أشكال الترابط البنائي بين أجزاء النص، أي: طرح فكرة ما، ثم إنمائها وتطويرها في الأجزاء اللاحقة من النص إلى تجسّدات جديدة.

بعد ذلك نواجه قصتين هما: قصة موسى والخضر عليه السلام، ثم قصة (ذي القرنين) وقبلهما الآية الثانية والثالثة للزينة، بيد أن الملاحظ أن الشخصية الثالثة هي شخصية ذي القرنين تقف بدورها

(٢٨) سورة الكهف: ٣٤.

(٢٩) سورة الكهف: ٣٥.

(٣٠) سورة الكهف: ٣٦.

(٣١) سورة الكهف: ٨.

(٣٢) سورة الكهف: ٤٠.

تجسيداَ لأحد أنماط التعامل مع زينة الحياة الدّنيا وهو التعامل الايجابي، أي عدم التشبّث بالزّينة، ولكن من خلال سلوك مضاد تماماَ لسلوك أبطال الكهف من جانب، ومن خلال سلوك لصاحب الجنتين لهم آخر... أما السلوك المضاد لأبطال الكهف، فهو: السيطرة على المعمورة جميعاً، فإذا كان أهل الكهف انطلاقاً من نبذهم للزّينة قد التجأوا إلى كهفهم، فإنّ ذا القرنين (سيطر على الحياة الدّنيا) ولكن من خلال السلوك غير المتشبّث بزينة الحياة الدّنيا.

وهذا يدع المتلقّي بنحو غير مباشر أيضاً يستخلص دلالة هي: أنّ نبذ زينة الحياة الدّنيا من الممكن في سياقات خاصة أن يتجسد في العزلة الاجتماعية بأقصى صورها، ومن الممكن أن يتجسد أيضاً عكس ذلك: في الحضور الاجتماعي بأقصى صورته... طبيعياً، هذا التقابل بين أقصى العزلة وأقصى الحضور، ومع كونهما في خط (التمائل) في الأهداف، يشكّل أحد أجنحة البناء العماري الجميل للنص...

بالمقابل نجد تقابلاً من الخط الآخر بين شخصين، صاحب الجنتين وذي القرنين، فذو القرنين ملك (شرق الأرض وغربها) بحسب ما ورد من التعبير اللفظي عن ذلك، إذ قال النّص: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ...﴾، وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ أي: مغرب الأرض ومشرقها إذ نواجه حدّين للتملّك هما: مغرب الأرض ومشرقها، وهذا يقابل مع حدّين للتملّك أيضاً عند صاحب الجنتين، أي: تملّكه لمزرعتين، ويقابل ذلك تملّك ذي القرنين المغرب والمشرق، الأول: يجسّد أصغر المساحات الأرضية،

وهما: المزرعتان، والآخر: يجسّد أوسع المساحات، وهما مشرق الشمس ومغربها... فهذا التقابل (يتم أيضاً بنحو غير مباشر) التقابل بين من يملك شرق الأرض وغربها، ومع ذلك لا يتشبّث بزينة الحياة الدّنيا، وبين من يملك مزرعتين فحسب ولكن يتشبّث بالزينة.. الأول يقول بعد أن يسيطر على شرق الأرض وغربها: (هذا رحمة من ربي)، والآخر يشكك كما لاحظنا بقيام الساعة.

إذن هذه القصص (وتداخلات المساحة العظمى أو الغالبة من السورة) حامت على تجسّد هدف خاص، كلّ ما في الأمر أنّ الهدف قد «ينص» عليه مباشرة، وقد يتم التّنصيب بنحو غير مباشر، كما لاحظنا بالقياس إلى النثر القصصي والنثر غير القصصي ومن ثمّ قد يعي القارئ هذه الصياغات، وقد لا يعيها، ولكن في الحاليتين، ثمّة آليات وعمليات ذهنية تستجيب «في أحد أشكال الاستجابة الشكلية» إلى النصّ المقروء: استجابة تترك أثرها أو انطباعها العام على الشخصية المتلقية، بحيث يتحمّس المتلقّي وهو ينتهي من تلاوة السورة بنحو واع، لما يتلوه أنها قد تركت انطباعاً مجملًا عن أهدافها ومواقفها في ذهنه بنحو واع بالنسبة إلى غالبيتهم عدا الدارس بوعي لهذا الجانب.

كذلك، نجد أن العناصر الثانوية المقومّة للنص: كالأيقاع أو الصور وسائر مقدماته تسهم بلا أدنى شك في توهيج الدلالة المستهدفة في النصّ - قد أوضحنا نماذج متنوّعة منها في دراستنا للسور القرآنية الكريمة، وأوضحنا نماذج منها في دراستنا للعنصر القصصي والعنصر الصوري فيما لا يسع المجال الآن للاستشهاد به^(٣٣).

(٣٣) منهج التفسير
البنائى، محمود
البنائى: ج ٣، ص ٥٣.

منهج البستاني في الميزان

بطبيعة الحال كل عمل من الأعمال وعلى مختلف الأصعدة لا يدعي صاحبه الكمال، فيشتمل على مزايا ايجابية وأخرى سلبية وهذا ما نستطيع التعرّف عليه من خلال الوقوف على منهج الشيخ البستاني صاحب نظرية أسلمة المعرفة متمثلاً بنقاط عدّة منها:

١ - إنّ من مزايا المنهج البنائي، هو إنتاج رؤية بنائية شاملة، وهذه الرؤية لم تقتصر على جانب في المعرفة دون الآخر، فإنها تصلح لتفسير النظم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية السائدة، بل حتّى الكونيّة، كما يدعي بعضهم فيقول: وهذا ما عملت «النظرية البنائية» على إيجاده، التي ظهرت بوصفها نظرية معاصرة مثّلت تجلّيات لتلك الرؤية، بدأت من الأدب ومدارس النقد الأدبي لتنتقل إلى تأسيس بناء معرفي يسعى إلى تفسير كلّ الوقائع في هذا العالم على أساس هذه الرؤية الشاملة^(٣٤).

٢ - من خلال مراجعة تراثنا المعرفي الإسلامي نجد أنّ نظرية الدكتور البستاني، وهي ما يعرف بالمنهج البنائي، وهو عبارة عن دراسة النصّ القرآني من خلال السورة بضمنها وحدة لغويّة لها بناؤها الخاص المتمثل في نص تتربط آياته وموضوعاته وعناصره وأدواته بعضها مع الآخر^(٣٥).

يبد أننا نجد أنّ الرؤية التي تبناها الدكتور البستاني هي نفسها موجودة عند القدامى فيما أسموه «بالمناسبة أو علم التناسب»، ولعل نظرة سريعة في تراثهم لمفهوم «البناء» و«المناسبة» تُظهر هذا بوضوح ومن ذلك ما ذكره الزركشي والسيوطي^(٣٦).

(٣٤) النظرية البنائية في

النقد الأدبي، فضل

صلاح: ص ٢١٠.

(٣٥) قراءة نقدية في

الرؤية البنائية للنص

القرآني عند الدكتور

محمود البستاني، أحمد

عويز: ص ٤.

(٣٦) المصدر السابق:

ص ٤.

فيقول الزركشي: «المناسبة في اللغة المقاربة، وفلان يناسب فلاناً، أي: يقرب منه، ومنه النسب الذي هو القريب... ويقول: جعل أجزاء الكلام آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حالة البناء المحكم المتلائم الأجزاء»^(٣٧).

ويقول: «الذي ينبغي في كل آية أن يُبحث أول كل شيء عن كونها مكتملة لما قبلها، أو مستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جمّاً، وهكذا في السورة يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له»^(٣٨).

ويرى الدكتور عويز: الرؤية التي توافر عليها بحث «التناسب» في تماس أوجه الاتساق والارتباط في النص القرآني، وصولاً إلى ما يظهر أن النص بناء محكم ونسج قائم بذاته تنتفي فيه صفة عبثية ترتيب أجزائه، وأنه قائم على أساس علاقات رابطة أو قواعد تسوّغ هذا الفهم وتدفع إلى إثبات حقيقة بنائية النص القرآني هي رؤية قديمة، مفهوم البناء الذي قدّمه البستاني، بوصفه مفهوماً معاصراً هو قديم ظهر عند علماء التناسب ومفهوم المنهج البنائي كما وضحه يقترب من منهج علماء التناسب نفسه في بحثهم للنص القرآني وإن لم يسموه بـ «المنهج البنائي»^(٣٩).

٣ - يرى البستاني أنّ النظرة البنائية التي سادت بدايات القرن الماضي في مدارس فكرية أثّرت في إنتاج مثل هذا الفهم أو شيوع المصطلحات كما صرّح في أكثر من موضع وإنّ هذا الرؤيا ترجع لسيادة أفكار مدارس فكرية غربية^(٤٠).

ويرى الدكتور عويز «إنّ كلام الدكتور البستاني، في بحث

(٣٧) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ج ١، ص ٣٥.
(٣٨) الإيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي: ج ٣، ص ٣٢٣.
(٣٩) الاتجاه البياني في الدرس البلاغي القرآني الحديث، أحمد عويز: ص ٨٠.

(٤٠) الإسلام والفن، محمود البستاني: ص ٩٤.

الترابط يقع ضمن مفهوم بحث التناسب أكثر من مفهوم البناء؛ لأن هدفه بحث الصلات، لذا نجد أنَّ القدامى كانوا على وعي في وضع المصطلح، إذ أنَّ مؤداه يقود إلى الكشف عن البناء المحكم لذا سمّوه ببحث التناسب ولم يسمّوه بحثاً بنائياً على الرغم من أنَّ مصطلح البناء وُجد عنده كما ظهر في النَّص السابق، وعليه فعلماء التناسب هم البنائيون القدامى بحسب التعبير المعاصر»^(٤١).

٤ - لقد أشار البستاني إلى أنَّ ترتيب المصحف توقيفي وبأمر من رسول الله ﷺ لكنّه لم يشر إلى مصدر هذه الخبر الذي ذكره، وقد كان علماء التناسب قد وضعوا هذا نصب أعينهم بوصفه عاملاً يدفع إلى نشوء هكذا أبحاث غايتها رصد الترابط النَّصي، ودافعوا ليدحضوا حجج من أخذ عليهم تعسفهم في التماس أوجه التناسب بين مكونات النَّص، إذ نجد لهم أقوالاً تشير إلى أنَّ حكمة ترتيب السور والآيات هو التوقيف، يقول الزركشي: «وهو مبني على أنَّ ترتيب السور توقيفي، وهذا الراجح»^(٤٢).

وأورد السيوطي قولاً منسوباً إلى الشيخ ولي الدين الملوي يرد به على الشيخ عزَّ الدين بن عبد السلام في إنكاره ترابط آيات القرآن وسوره، فيقول: «وقد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المقررة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ، مرتبة سوره كلّها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة من بيت العزة»^(٤٣).

(٤١) قراءة نقدية في الرؤية البنائية للنص القرآني عند الدكتور محمود البستاني، أحمد عويز: ص ٥.

(٤٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: ج ١، ص ١٨.

(٤٣) الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين، السيوطي: ج ٣، ص ٣٢٣.

إذن فالدافع لبحث التناسب هو الترتيب التوقيفي، الذي يكون مرجعه أخبار نقلية، عن الرسول ﷺ^(٤٤)، بل أن ترتيبه التوقيفي عند القدامى يذهب أبعد من ذلك عندما يشير إلى أن التوقيف مرتبط بحفظ النص القرآني، كما هو في اللوح المحفوظ، وهذا ما يحيلنا إلى أزلية القرآن، وهي مسألة أخذت حيزاً كبيراً من الجدل الدائر بين المعتزلة والأشاعرة^(٤٥).

٥ - هذه النصوص تشير إلى أنها الجذر التراثي لرؤية البستاني وهي تكفي لأن تكون مسوّغاً نقلياً لهذه الدراسات في القديم والحديث، فكلا الرؤيتين مشتركتان بالمسوغ النقلي، وقطعاً هو عند القدامى أسبق، وعليه يكون الدكتور البستاني قد تابع القدامى في جعل هذا العامل مسوّغاً ولم يأت به بوصفه جديداً، فما عليه إلا أن عرضه وذكر به.

٦ - ما ينبغي الالتفات إليه والتأمل فيه، كيف أن الدكتور البستاني يرى أن عدم التطرق إلى المنهج البنائي من قبل السابقين يرجع إلى ضعف القابلية المعرفية التي تؤهلهم إلى هذا الفهم، لذا يتكلّم على المفسّر، فيقول: «لعدم امتلاكه للخبرة الثقافية التي تسمح له بتفسير النص من خلال الأدوات النفسية التي أفرزتها البيئة الحديثة خلا إشارات عابرة وجدت طريقها لدى بعض المفسرين»^(٤٦).

في حين أشرنا سابقاً إلى أن هؤلاء قد تطرّقوا إلى المنهج الموماً إليه ولكن تحت عنوان بحث التناسب.

٧ - يرى عويّز بأن نفيه وجود دراسات تحمل هذا الفهم في

(٤٤) سنن الترمذي،

الترمذي: ج ٤، ص ٣٣٦.

(٤٥) النص والسلطة

والحقيقة، إرادة المعرفة

الإلهية وإرادة الهيمنة،

نصر حامد أبو زيد:

ص ٧١.

(٤٦) قراءة نقدية في

الرؤية البنائية عند

الدكتور محمود

البستاني، أحمد عويّز:

ص ٦.

القديم والحديث فيه بخس لحقوق الآخرين ولجهد القدامى الكبير في هذا الجانب، الذي يمكن أن نجعله في جزأين:
الأول: جاء منتشراً في كتب التفسير، ومنها تفسير الزمخشري والرازي وغيرهم، يقول السيوطي في إسهام الرازي: «وممن أكثر منه الإمام الرازي فخر الدين وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»^(٤٧).

والثاني: إنَّ هناك قسماً من الباحثين المعاصرين من وجّه اهتمامه إلى رصد جهد المفسرين القدامى وغيرهم في هذا الجانب كما في محاولة «محمد خطّابي» لدراسة ظاهرة الاتساق والانسجام في النصوص الأدبية، ومنها النصّ القرآني فضلاً عن رسائل جامعيّة اختصت برصد هذا الفهم لدى القدامى والمحدثين^(٤٨).

٨ - وحصيلته ما تقدّم من الكلام كيف نستطيع توجيه كلام الدكتور البستاني بعد كلّ ما تقدّم، فهل يمكن أن نقول: إنّما جاء الكلام لعدم اطلاعه على التراث المعرفي الإسلامي، كما يدّعي الدكتور عويّز، حيث يضيف إلى ما تقدّم: إن استطعنا التبرير للدكتور البستاني وتوجيه كلامه، فيقول: ولكن أين نضع جهد البقاعي في كتابه الذي يقع في ثمانية أجزاء بطبعة حديثة تناول النصّ القرآني كلّ في ضوء هذا الفهم، وباستيعاب كبير ومقدرة فذة، فضلاً عن غيره من العلماء القدامى، وعليه فتوافر أيّ باحث على النظرة الاستقرائية الفاحصة للتراث قبل إصداره حكماً معيّناً واجبة، في توخّي الدقّة في النتائج، لأنّ ذلك ما تقتضيه الأمانة

(٤٧) الإلتقان في علوم

القرآن، السيوطي:

ج ٢، ص ٣٢٢.

(٤٨) مدخل إلى انسجام

الخطاب، محمد

الخطّابي: ص ١٦٥.

العلمية، ويكون الاعتراف بجهد القدامى في هذا الميدان يثبت تلك الأمانة، لا يلغي جهد علماء الإسلام، ولا سيما مع مشروع أسلمة المعرفة الذي يتبناه الدكتور البستاني، فصيغة درس قرآني معاصر يستند إلى جهد العلماء القدامى من دون بخس لحقوقهم هي غاية سامية، ويؤكد حق السبق لهم في نظرات كثيرة^(٤٩).

وفي الختام يعتبر الدكتور البستاني من الكفاءات العلمية التي حرصت على أسلمة العلوم المتعددة، واستطاع أن ينتفع من النظرية الغربية الجشطالتيّة في تطبيقها على بعض العلوم الإسلامية، كان في طليعة تلك العلوم هي العلوم التفسيرية للقرآن الكريم، وذلك من خلال موسوعته التفسيرية تحت منهج التفسير البنائي، ويعتبر الدكتور البستاني نفسه هو أوّل من أبدع في هذا المنهج وابتكره، إلا أن بعض الباحثين ممّن قطع شوطاً في تلك العلوم، يرى أنّ منهج الدكتور البستاني قد تمّ التطرّق إليه في الموروث المعرفي الإسلامي من قبل علماء الأمة منذ مئات السنين، تحت ما يسمى بظاهرة المناسبة أو التناسب، إلا أنّ البستاني أغفل عن ذكر ذلك، ولعل الإغفال ناجم عن عدم اطلاعه على تلك الظاهرة، ومهما يكن يُعدّ البستاني من المبدعين في هذا العصر في ميدان العلوم التفسيرية نتيجة استفادته من العلوم الحديثة لتطبيقها في الميادين والعلوم الإسلامية والأدبية المتعددة.

(٤٩) قراءة نقدية في الرؤية البنائية عند الدكتور محمود البستاني، أحمد عويز: ص ٨.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

- ١- صلاح، فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ط ١، القاهرة: ١٩٩٨م.
- ٢- البستاني، محمود، التفسير البنائي للقرآن الكريم، مجمع البحوث الإسلامية، ط ١، مشهد: ١٤٢٢ق - ١٣٨٠ش.
- ٣- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأفرقي، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، نشر أدب الحوزة، ط ١، قم: ١٤٠٥هـ.
- ٤- أبو زيد، نصر حامد، النص والسلطة والحقيقة، إرادة المعرفة الإلهية وإرادة الهيمنة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط ١، بيروت: ١٩٩٥.
- ٥- أبو طبري، هدى، المنهج الأثري في تفسير القرآن، المكتب الإعلامي الإسلامي، ط ١، قم: ١٩٩٤م.
- ٦- البستاني، محمود، الإسلام والفن، مجمع البحوث الإسلامية، ط ١، ١٩٩٢م.
- ٧- الخطّابي، محمد، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط ١، بيروت: ١٩٩١م.
- ٨- الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، ط ٣، بيروت: ١٩٧٤م.
- ٩- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، طبعة عيسى البابي الحلبي، ط ٢، ٢٠١٠م.
- ١٠- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار الجيل، بيروت: ١٤٠٨هـ.
- ١١- الساعدي محمد، الدكتور البستاني مفكراً، مكتبة قريش، ط ١، العراق: ٢٠٠٠م.

- ١٢- السيوطي، عبد الرحمن، الإتيان في علوم القرآن دار الفكر للطباعة والنشر، بدون رقم طبعة وتاريخ.
- ١٣- مهر، حسين علوي، المدخل إلى تأريخ التفسير والمفسرين، تعريب: جعفر الخزاعي، مركز جامعة المصطفى، قم: ١٣٩٢ش.
- ١٤- رضائي محمد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ط ١، قم: ١٣٨٣ش.
- ١٥- عويز، أحمد، قراءة نقدية في الرؤية البنائية للنص القرآني عند الدكتور محمود البستاني، النجف الأشرف: ٢٠٠٨م.

٥

منظومة القرآن الكريم
في علاج المفاسد الاجتماعية

د. السيد محمد الغريفي

المقدمة

إن الحديث عن الفساد لا يخص مجتمعا بعينه أو دولة بذاتها، وإنما هو ظاهرة عالمية تشكو منها كل المجتمعات، لما له من خطر على الأمن الاجتماعي والنمو الاقتصادي والأداء الإداري، ومن هنا حازت هذه الظاهرة على اهتمام كل المجتمعات وكل الدول وتعاليت النداءات إلى إيدانتها، والحد من انتشارها، ووضع الصيغ الملائمة لذلك .

(المفاسد) هي من الظواهر الاجتماعية التي لا يكاد يخلو مجتمع منها بما فيها المجتمع الإسلامي على الرغم من الطهر والعفاف والنقاء الذي ميّز الفكر الإسلامي على مرّ العصور والأزمنة.

وكان الأنبياء والرسل والكتب السماوية أول من وقف بوجه المفاسد الاجتماعية ووضع العلاجات المناسبة لحلّها، وكان خاتمها القرآن الكريم المنزل على الرسول الأمي محمد بن عبد الله ﷺ. السؤال المهم الذي يطرح نفسه: ما هو علاج المفاسد الاجتماعية الذي طرحه القرآن الكريم؟

وقبل الجواب عن هذا السؤال يلزم أن نبحت في الأمور التالية:

١ - ما هو المراد من المفاسد الاجتماعية في اللغة والاصطلاح

وأنواعها؟

٢ - ما هي أسباب المفاسد الاجتماعية من وجهة نظر القرآن الكريم؟

وبعد الإجابة عن هذين السؤالين يمكننا الشروع بعد ذلك في

بيان أطروحة القرآن الكريم لعلاج المفاسد الاجتماعية بتفصيلها

وتوضيحاتها، ونسأل من الله التوفيق والسداد.

المفاسد في اللغة والاصطلاح

المفاسد في اللغة:

جمع (مفسدة)، وهو بمعنى: «نقيض الصلاح»^(١)، ومصدره «المفسدة» بمعنى: «خلاف المصلحة»^(٢)، ومشتق من الفعل الثلاثي (فسد) الذي هو: «ضد صلح»^(٣)، وقولنا: «فسد الشيء» بمعنى: بطل، أو أضمحل أو تغيّر^(٤).

وأما المفاسد في الاصطلاح، فهو مشابه لمعناها اللغوي من الإبطال والتخريب والاضمحلال وما شابه ذلك من المعاني التي بمعنى التغيير في طبيعة الأمور لا على وجه الإصلاح. ومصاديق هذه الأمور تختلف باختلاف الأشياء، مثلاً قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ **الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾^(٥)، فسّر الفساد بالقحط وقلة الرّيع في الزراعات والبيوع ومحق البركات من كلّ شيء^(٦).

المفاسد الاجتماعية في الاصطلاح:

البحث عن المفاسد التي يوجدها الإنسان يمكن تعريفها بما يلي: هي الممارسات والتصرفات والعادات السيئة التي تنشأ في بعض المجتمعات من الانحراف في طبيعة العلاقات الاجتماعية، وتؤثر سلباً على مسيرة المجتمع وحركته نحو الأهداف السامية، كانتشار ظاهرة القتل، أو السرقة، أو شرب الخمر، أو الزنا، أو غير ذلك من الظواهر السيئة المنتشرة.

وحقيقة المفاسد الاجتماعية هي أمراض سلوكية معدية تسري بين أفراد المجتمع وتسبب لهم حالة من الإدمان النفسي، وتوجد عادات وأخلاق اجتماعية خاطئة تهدد إهلاك النسل

(١) انظر: كتاب العين،

الخليل الفراهيدي: ج ٧، ص ٢٣١.

(٢) الصحاح، الجوهري:

ج ٢، ص ٥١٩.

(٣) تاج العروس،

الزبيدي: ج ٥، ص ١٦٤.

(٤) المصدر السابق.

(٥) سورة الروم: ٤١.

(٦) مجمع البحرين،

الشيخ الطريحي: ج ٣،

ص ٤٠٠.

والحرث، وفقدان الأمن في هذه المجتمعات، وهي لا تقل خطورة عن الأمراض الجسدية والفيروسية، كالتطاعون والإيدز وما شابههما. أنواع المفسد الاجتماعية:

المفسد الاجتماعية لها أنواع عديدة، ويمكن تقسيمها إلى سبعة أقسام أساسية، وهي كالتالي:

١ - المفسد الإجرامية: وهي الاعتداء على الناس جسدياً بالضرب، وإزهاق الأرواح، وسفك الدماء بغير الحق، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾^(٧).

٢ - المفسد الاقتصادية: وهي التصرف في الأموال بالباطل والاعتداء على أموال الناس بغير رضا أصحابها، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾^(٨).

٣ - المفسد الجنسية: وهي الاعتداء على الأعراض، وإشاعة الفحشاء والمنكرات، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلُوبَنَا إِنَّا نَحْنُ بِمِثْلِ مَا كُنَّا نَفْعَلُونَ﴾^(٩).

٤ - المفسد المعنوية: وهي الاعتداء على كرامة الآخرين وحریتهم، وسلب خصوصياتهم الشخصية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَإِذْ كُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١٠).

(٧) سورة البقرة: ٨٤.

(٨) سورة النساء: ٢٩.

(٩) سورة الأعراف: ٢٨.

(١٠) سورة الأعراف: ٨٦.

وذلك بأن يصدَّ عن سبيل الله تعالى عن طريق التهديد بالقتل، أو نهب الأموال، فيقومون بشتى أنواع الضغوط المادية والمعنوية لصدَّ الناس والإفساد في الأرض.

٥ - المفاصد الفكرية: وهي الاعتداء على العقول بإلقاء الشبهات وأفكار الضلال والأكاذيب. كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ...﴾^(١١).

وقوله: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١٢)، قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: «من أخرجها من ضلال إلى هدى، فكأنما أحيها، ومن أخرجها من هدى إلى ضلال، فقد قتلها»^(١٣).

٦ - المفاصد السياسية: وهي غضب حق الأولياء الشرعيين، والخروج عليهم، وإثارة الفتن والخلافات والصراعات بين الناس، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(١٤).

٧ - المفاصد الشرعية: وهي فعل المحرمات وترك الواجبات التي أمرنا الله بها، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١٥).

(١١) سورة آل عمران: ٧.

(١٢) سورة المائدة: ٣٢.

(١٣) الكافي، الكليني:

ج ٢، ص ٢١٠.

(١٤) سورة البقرة: ٢٠٥.

(١٥) سورة البقرة: ٢٧.

أسباب المفساد الاجتماعيّة

من أجل إيجاد العلاج المناسب للمفساد الاجتماعيّة لا بد من معرفة أسبابها الرئيسيّة، ومن دون معرفة الأسباب لا يمكن علاج الأمراض والمفساد الاجتماعيّة. وقد ذكر القرآن الكريم سببين رئيسيين للمفساد الاجتماعيّة، وهي كالآتي:

السبب الأول: طبيعة خلق الإنسان

إن الطبيعة التي خلق الله تعالى الإنسان عليها فيها قابلية الفساد في الأرض، كما فيها قابلية التقوى وخلافة الله في الأرض، قال تعالى: ﴿فَالْهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(١٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ * أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَى﴾^(١٧).

وأسباب الفساد في طبيعة الإنسان عديدة، نذكر منها الأسباب

التالية من وجهة نظر القرآن الكريم:

١ - حُبُّ الإنسان للشهوات: قال الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَبَآءِ﴾^(١٨).

خلق الله تعالى الإنسان من عقل وشهوة، بينما خلق الملائكة من عقل دون شهوة، وخلق الحيوان من شهوة دون عقل. والإنسان إذا غلب عقله شهوته كان أفضل من الملائكة، وإذا غلبت شهوته عقله كان أضل من الحيوان، وهذه الشهوات الموجودة عند الإنسان هي التي تدفعه لمخالفة العقل وعصيان الله تعالى والفساد في الأرض.

(١٦) سورة الشمس: ٨.

(١٧) سورة العلق: ٦-٧.

(١٨) سورة آل عمران: ١٤.

٢ - النفس الأمارة بالسوء: قال تعالى: ﴿وَمَا أْبْرَىٰ نَفْسِي إِنَّ
النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾^(١٩)، فهذه النفس هي التي
تأمر الإنسان بالفساد والظلم.

٣ - الأمراض الروحية: قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ
فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^(٢٠).

فمن يقوم بالمفاصل الاجتماعية هم أصحاب القلوب المريضة.

٤ - وجود العداوة بين أبناء آدم: قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا
اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى
حِينٍ﴾^(٢١).

هذه العداوة هي التي تؤدي إلى سفك الدماء والقتل.

٥ - الجهل بحقائق الأمور: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾^(٢٢).

وهناك أسباب أخرى كثيرة أمثال: ضعف الإيمان، وعدم
اطلاع الإنسان على الملكوت وما وراء الغيب، وطول الأمل،
ونسيان الموت، وتأثير المادة والحواس على فكر الإنسان،... الخ.

لذلك نجد أن الملائكة قد تبادر لهم الاستغراب حينما خلق
الله تعالى آدم عليه السلام، وأخبرهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢٣)
كان استفهاماً استغرابياً عن إنشاء هذا المخلوق الجديد، وذلك
بقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(٢٤).

والظاهر من النص أن الأرض كانت مكاناً يسوده الاطمئنان

(١٩) سورة يوسف: ٥٣.

(٢٠) سورة البقرة: ١٠.

(٢١) سورة البقرة: ٣٦.

الأعراف: ٢٤.

(٢٢) سورة البقرة: ١٢.

(٢٣) سورة البقرة: ٣٠.

(٢٤) سورة البقرة: ٣٠.

والسلام والهدوء لا فساد فيها ولا خراب ولا تجاوز ولا تعدّ حتى كان هذا المخلوق الذي هو مبدأ الفساد وسفك الدماء، وكان الرّد الرباني على هذا الاستغراب الملائكي: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢٥)، إشارة إلى سرّ في هذا المخلوق وحكمة في وجوده على الأرض وطبيعته ومسيرته وتكامله فيها.

السبب الثاني: وسوسة الشيطان:

عندما خلق الله تعالى آدم ﷺ أمر الملائكة بالسجود له، فسجد الملائكة جميعهم لآدم ﷺ إلا إبليس الذي كان من الجن منعه الحسد والتكبر من السجود والطاعة لأمر الله تعالى، فطرده الله من ملكوت السماء وأهبطه إلى الأرض، ولكن إبليس الرجيم ازداد حقداً على آدم ﷺ وذريته وأراد الإنتقام منهم، فطلب من الله تعالى أن يمهلهم ليوم القيامة لإغواء بني آدم وإيقاعهم في المفاسد والمعاصي، فأستجاب له ليكون اختباراً وفتنةً لبني آدم. وقد نقل لنا القرآن الكريم هذا الحوار في آيات متعددة من القرآن الكريم:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(٢٦).

قَالَ إِبْلِيسُ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٢٧).
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاهْبُطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾^(٢٨).

قَالَ إِبْلِيسُ: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لِنِئْ أَخْرَجْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾^(٢٩).

- (٢٥) سورة البقرة: ٣٠.
(٢٦) سورة ص: ٧٥.
(٢٧) سورة ص: ٧٦.
(٢٨) سورة الأعراف: ١٣.
(٢٩) سورة الإسراء: ٦٢.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (٣٠).
 قَالَ إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣١). ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي
 لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٣٢). ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
 وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
 شَاكِرِينَ﴾ (٣٣). ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٣٤).
 قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَأُؤُكُمْ
 جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (٣٥). ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ
 عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (٣٦).
 ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٧). ﴿إِنَّ عِبَادِي
 لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (٣٨).

وفي النتيجة: إن الشيطان الرجيم بسبب عدائه لآدم عليه السلام أخذ
 على عاتقه أن يوسوس لأبناء آدم ليعدهم عن طريق الهداية
 والصراط المستقيم عبر وساوسه التي يزرعها في قلوبهم، حيث إن
 الوسوسة الشيطانية من أهم مناشئ الفساد وفعل المعاصي، فتزيّن
 للإنسان الانحرافات وتجعله عبد الشهوة واللذة والرذيلة.

وقد تعددت أساليب الشيطان وحيله في استدراج بني آدم
 وإغوائهم لإيقاعهم في الرذائل والمفاصل الاجتماعية بشتى
 أشكالها، قال تعالى ﴿لَنَأْتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ
 أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (٣٩)، ومن
 أساليب الشيطان الرجيم التي ذكرها القرآن الكريم في الوسوسة
 لبني آدم ما يلي:

١ - التدرّج في إيقاع فرائسه بالمعاصي: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

(٣٠) سورة ص: ٨٠ - ٨١.

(٣١) سورة ص: ٨٢.

(٣٢) سورة الأعراف: ١٦.

(٣٣) سورة الأعراف: ١٧.

(٣٤) سورة ص: ٨٣.

(٣٥) سورة الإسراء: ٦٣.

(٣٦) سورة الإسراء: ٦٤.

(٣٧) سورة ص: ٨٥.

(٣٨) سورة الإسراء: ٦٥.

(٣٩) سورة الأعراف: ١٧.

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿٤٠﴾.

٢ - أمره بالسوء والفحشاء: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤١).

٣ - الوعود والأمني الكاذبة: كما في قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيَمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٤٢).

٤ - امتلاكه وتجنيدده للجنود: قال تعالى: ﴿وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ (٤٣)، وهم من الأنس والجن، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ (٤٤).

٥ - امتلاك قابلية الإيحاء والوسوسة: قال تعالى: ﴿الَّذِي يُوسَّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (٤٥) وقال تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (٤٦).

٦ - مجادلة أهل الحق: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (٤٧).

٧ - صد المؤمنين عن طريق الحق: قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٤٨).

٨ - التحريض على شرب الخمر، و لعب القمار، واتخاذ الأصنام آلهة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (٤٩).

وهناك أساليب أخرى كثيرة نعرض عن ذكرها مراعاة للاختصار.

(٤٠) سورة النور: ٢١.

(٤١) سورة البقرة: ١٦٩.

(٤٢) سورة النساء: ١٢٠.

(٤٣) سورة الشعراء: ٩٥.

(٤٤) سورة الأنعام: ١١٢.

(٤٥) سورة الناس: ٥.

(٤٦) سورة الأنعام: ١١٢.

(٤٧) سورة الأنعام: ١٢١.

(٤٨) سورة الأعراف: ١٦.

(٤٩) سورة المائدة: ٩٠ - ٩١.

علاج القرآن الكريم للمفاسد الاجتماعية

بحث كثير من الباحثين موضوع (علاج المفاسد الاجتماعية) على أساس المباني المادية، أو على أساس مباني الأديان السابقة للإسلام، وهذه المحاولات جميعها لم تنتج؛ لأنها استندت على مباني محرّفة أو خاطئة في تشخيصها للرؤية الكونية، أو لطبيعة خلق الإنسان، أو لحقيقة المفاسد، أو غير ذلك.

بينما القرآن الكريم يقول: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٥٠).

فهو يأمر باتباعه لإيجاد الحلول الملائمة لأزمات الحياة، إذ يشتمل القرآن الكريم على منظومة عملية متكاملة لعلاج المفاسد الاجتماعية، تبدأ من الإيمان بالله تعالى، والمبدأ، والميعاد، والرسول، وإقامة الشرائع السماوية، ومحاربة الكفر والظلم والفساد من على وجه الأرض، قال الله في محكم كتابه العزيز:

١ - قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ﴾^(٥١).

٢ - قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(٥٢).

٣ - قال تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُفْسِدِينَ﴾^(٥٣).

٤ - قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾^(٥٤).

(٥٠) سورة الأنعام:

١٥٥.

(٥١) سورة الأعراف: ٧٤.

(٥٢) سورة الأعراف: ٥٦.

(٥٣) سورة المائدة: ٦٤.

(٥٤) سورة يونس: ٤٠.

أنواع علاج المفساد الاجتماعيّة:

يمكن تقسيم علاج المفساد الاجتماعيّة في المنظومة القرآنية إلى نوعين:

الأول: العلاج الإيماني العقائدي: يعتمد هذا العلاج على الأسلوب الإيماني والفكري للإنسان، وللإيمان بالغيب دورٌ كبيرٌ في منع الإنسان عن فعل الفساد والظلم في المجتمع، أي: من خلال الإيمان بأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء وأنه يعاقب المفسدين في يوم الحساب، ولديه كتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، وأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

الثاني: العلاج التشريعي القانوني: يعتمد على تشريع القوانين والأحكام لتنظيم حياة المجتمع ومنع الفساد والظلم، ومجازات المخالفين والمقصرين.

وكل واحد من هذين النوعين ينقسم إلى صنفين:

الأول: العلاج السلبي: الذي يعتمد على أدوات الردع ووسائل العقاب القضائية التي يُلجأ إليها عادة لمعاقبة المجرمين والمفسدين، وللحيلولة دون انتشار المفساد في المجتمع.

الثاني: العلاج الإيجابي: الذي يعتمد على الأساليب التربويّة التي تكسب الإنسان منعة ذاتية وارتداعاً إرادياً، حتى لا تصل النوبة إلى العقوبات القضائية المعتمدة في الشريعة الإسلامية.

وفي عالم التربية يُقدّم هذا النوع من العلاجات على النوع الأول في الأهميّة، ورغم ذلك يسرع المرّبون عادةً إلى استخدام

النوع الأول لأنه أسهل تناولاً، ولأن أساليبه تحدث ردعاً فورياً مما يوهم أنها أوصلت إلى الهدف بيسر وفعالية، لكن الدقة والتأمل يكشفان أن الارتداع الآتي نتيجة الخوف من العقاب سرعان ما يرتفع عند ارتفاع أسبابه، فيستمر الارتداع باستمرار الرادع وعند بقاء الخوف، فإذا غاب الرادع وزال الخوف، أو ضعف تأثيره، أو تمكن المستهدف من التهرب منه والتمرد عليه عاد من حيث بدأ، على خلاف الوسائل الإيجابية التي تستهدف إكساب الإنسان ملكة الصلاح والفضيلة، والامتناع عن المفاسد الاجتماعية ذاتياً حتى في غياب الرقيب والأمن من العقاب.

لذا نجد الإسلام يعمل في تشريعاته على النوعين معاً ويولي الوسائل التربوية الإيجابية الاهتمام الأكبر، ويقنن في الوقت ذاته الحدود والتعزيرات لردع الحالات التي لا تستجيب للعلاجات الإيجابية.

وعليه، فالعلاجات في القرآن الكريم للمفاسد الاجتماعية بمجموع أنواعها تكون أربعة أنواع:

الأول: العلاج الإيماني الإيجابي.

الثاني: العلاج الإيماني السلبي.

الثالث: العلاج التشريعي الإيجابي.

الرابع: العلاج التشريعي السلبي.

وتفصيل الكلام في هذه الأنواع كالاتي:

الأول: العلاج الإيماني الإيجابي

العلاج الذي يعتمد في تربية الإنسان على تقوية الإيمان بالله

تعالى وبالمبدأ والميعاد؛ لأن تقوية الإيمان والمعرفة بصفات الله تعالى وقدرته تكسب الإنسان الرؤية الكونية الصحيحة، والهدف من الخلقة، وتلهمه روح شكر المنعم، وتجنبه الضلال والضياع والتهيه، وتعطيه منعة ذاتية وارتداعاً إرادياً من إرتكاب المفسد والمعاصي التي تغضب ربَّ الجلالة.

فلا بدّ من بناء القاعدة الفكرية والعقائدية للمجتمع، وربط الحياة الدنيوية التي يعيشها الإنسان بالمبدأ من جهة، والمعاد من جهة أخرى، لربط الماديات بالقضايا الروحية والمعنوية، وعندئذٍ يجد العاقل أنه لا محيص من التعاطي مع تفاصيل الحياة الدنيا وما فيها من مُتّع، وشهواتٍ، ونعم، وملذاتٍ وما يشوبها من بلاءاتٍ، ومصائبٍ، وغمومٍ، ومصاعبٍ، باعتبارها حالة برزخية مؤقتة ومرحلة عابرة تؤسّس لما بعدها، مما يفرض عدم الاستغراق في لذاتها بما يضرّ حياته الأخروية، وعدم الجزع لهمومها وبلاءاتها، بل يأخذ منها بالقدر الذي لا يتعارض مع الركون إليها ونسيان الآخرة.

هذا المحور هو الأساس في العلاج الإيجابي للمفسد من وجهة نظر الدين الإسلامي، وهو أساس التغيير الجذري، وفي ضوئه يتمايز الناس في أدائهم وسلوكهم، فأهل الدنيا يعملون من أجلها ويحرصون على استنفاد كلّ ما بوسعهم للفوز بلذاتها ولا يحسبون لآخرتهم حساباً، بينما في المقابل أهل الإيمان بالآخرة يتعاملون معها بطريقة أخرى.

الآيات القرآنية التي في هذا المحور كثيرة جداً، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

١ - الإيمان بأن الله ولي الذين آمنوا: كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾^(٥٥). وأي معنى للولاية فهي تحقق المطلوب بأن الإيمان يبعد من ولاية الشيطان وفعل المفاصد والمعاصي.

٢ - الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر يلازم التبرّي من أعداء الله: قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٥٦).

٣ - الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر مصاحب للأمر بالمعروف ومحاربة الفساد: قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٥٧).

٤ - الإيمان برسالة الأنبياء ودورهم في التزكية والتعليم وإيصال الرسالة: قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٥٨).

٥ - الإيمان والعمل الصالح ثوابه الجنة: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَّزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٥٩).

الثاني: العلاج الإيماني السلبي

العلاج الذي يعتمد في تربية الإنسان على الخوف من الله

(٥٥) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٥٦) سورة المجادلة: ٢٢.

(٥٧) سورة آل عمران: ١١٤.

(٥٨) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٥٩) سورة البقرة: ٢٥.

تعالى والوعيد الإلهي بالعقاب والعذاب بنار جهنم في الآخرة، أو بتعجيل العذاب على الكافرين في الدنيا ليتنج من ذلك حالة التقوى التي تجنب الإنسان من فعل المعاصي واقتراف المفسد الاجتماعية.

وفي هذا المحور يوجد المئات من آيات الذكر الحكيم، نذكر على سبيل المثال ما يأتي:

١ - الاعتقاد بأن الله شديد العقاب: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾^(٦٠).

٢ - الاعتقاد بإحباط أعمال المفسدين: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^(٦١).

٣ - الاعتقاد بأن لا خشية إلا من الله: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٦٢).

٤ - الاعتقاد بتعجيل العقاب في الدنيا: قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(٦٣).

٥ - الاعتقاد بالبلاء الدنيوي للمجرمين: قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفْصَلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾^(٦٤).

٦ - لزوم الحذر من مكر الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٦٥).

(٦٠) سورة البقرة: ١٦٥.

(٦١) سورة آل عمران:

٢٢.

(٦٢) سورة البقرة: ١٥٠.

(٦٣) سورة الأنعام: ١١.

(٦٤) سورة الأعراف:

١٣٣.

(٦٥) سورة آل عمران:

٥٤.

٧ - لزوم التقوى والخشية من الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٦٦).

الثالث: العلاج التشريعي الايجابي:

العلاج الذي يعتمد في التربية على أسلوب تشريع القوانين والأحكام التي تكسب الإنسان منعة ذاتية وارتداعاً إرادياً من فعل الفساد والظلم والمعاصي.

وأغلب التشريعات الإسلامية تقع في هذا المحور، مثل: التشريعات العبادية، والعائلية، والمالية، والسياسية، والتربوية، و... الخ. وحاصل الكلام فيها كالتالي:

أ- التشريعات العبادية:

وهي التشريعات التي شرعها الله تعالى لعبادته، كالصلاة، والصيام، والحج، فإنها خير رادع إيجابي عن المفاصل الاجتماعية، لما فيها من تهذيب للنفوس، وتقوية الإرتباط مع الله تعالى. والآيات التي تذكر العبادات كثيرة جداً اخترنا منها ما يلي:

١ - العباداة هي غاية الخلق: قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٦٧)، غاية الخلق هي العبادة لله تعالى بمعناها الواسع، وهي على نقيض مع معصية الله تعالى والفساد الاجتماعي.

٢ - لزوم العبادة المخلصة لله تعالى: قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^(٦٨)، الإخلاص في الدين يتناقض

(٦٦) سورة البقرة: ٤٨.

(٦٧) سورة الذاريات: ٥٦.

(٦٨) سورة البينة: ٥.

مع المعصية والفساد والظلم، إذ الإخلاص يعني الانقياد المطلق لله تعالى بحيث لا يشوبه رياء، أو إرضاء للناس، أو للهوى.

٣- الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر: قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٦٩).

٤- الصيام طريق إلى التقوى: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٧٠)، فالصيام هو عبادة لتربية الإنسان على التقوى، وإبعاده عن المعاصي والمفاسد، وطريق لقتل السلبات في النفس، وأسلوب لترويض النفس الصبر عن المعصية وعلى الطاعة.

٥- الحج هو لزيادة التقوى: قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٧١)، فالحج هو عبادة للاستزادة من التقوى، وترويض النفس على ترك المحلل فضلاً عن ترك المعاصي والمفاسد.

ب- التشريعات العائلية / الأسرية:

وهي التشريعات التي شرعها الله تعالى لصيانة كيان الأسرة، وحفظ الأنساب، والسيطرة على الغريزة الجنسية، مثل: تحليل الزواج، وتحريم السفاح، واللواط، والفواحش.

يعتمد الإسلام على بعض الإجراءات الوقائية، التي تحول دون حصول المشكلة، وهي إجراءات تنطلق من الوقاية خير من العلاج، ودفع المخاطر المحتملة، من قبيل: الحد من الاختلاط،

(٦٩) سورة العنكبوت:

٤٥

(٧٠) سورة البقرة: ١٨٣.

(٧١) سورة البقرة: ١٩٧.

والفصل بين الأطفال في المضاجع في عمر العشر سنوات فصاعداً، وإزالة عوامل الإثارة الجنسية، واعتماد وسائل آمنة للحيلولة دون قيام من تسوّل له نفسه بما يريد من تعدي على الحقوق، كما في الحث على كتابة العقود، والديون، والإشهاد، وأخذ الرّهان، وغير ذلك من إجراءات تقلل من فرص التجاوز. وفي القرآن الكريم كثير من الآيات التي ترتبط بالأحكام العائلية، نذكر على سبيل المثال مايلي:

١ - إباحة الزواج: قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٧٢).

٢ - إباحة تعدد الزوجات: قال تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (٧٣).

٣ - إباحة الزواج المؤقت: قال تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٧٤).

٤ - تحريم الزواج من المحارم: قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ

(٧٢) سورة النور: ٣٢.

(٧٣) سورة النساء: ٣.

(٧٤) سورة النساء: ٢٤.

فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٥﴾.

٥ - تحريم الزنا: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ﴿٧٦﴾.

٦ - تحريم اللواط: قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ﴿٧٧﴾.

٧ - وجوب الحجاب على المرأة: قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرَبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٨﴾.

٨ - حرمة اتهام الآخرين بالفاحشة: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٧٩﴾.

٩ - حرمة النظر بشهوة لغير ما أحله الله: قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿٨٠﴾.

(٧٥) سورة النساء: ٢٢

- ٢٣.

(٧٦) سورة الإسراء: ٣٢.

(٧٧) سورة الأعراف:

٨٠ - ٨١.

(٧٨) سورة النور: ٣١.

(٧٩) سورة النور: ٢٣.

(٨٠) سورة النور: ٣٠.

١٠ - وجوب العفة على العزّاب: قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٨١).

١١ - إدارة الأسرة بيد الزوج: قال تعالى: ﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لَلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾^(٨٢).

ت - التشريعات السياسيّة:

وهي التشريعات التي شرّعها الله تعالى لإدارة شؤون الأمة الداخلية وعلاقاتها الخارجية، ولها دور كبير في محاربة المفساد الاجتماعية، والإشراف على تطبيق التشريعات السماوية جميعها، من خلال الرجوع إلى أولياء الأمور، ولذلك أيّ انحراف أو خطأ في تطبيق التشريعات السياسية سوف يؤثر على المنظومة القرآنية في محاربة الفساد الاجتماعي.

وهذا الخلل هو الذي حصل بالفعل بعد رحلة الرسول الأكرم ﷺ واغتصاب الخلافة من ولاة الأمر الشرعيين وعدم تطبيق القرآن الكريم بشكله الصحيح.

والآيات القرآنية في هذا المجال كثيرة جداً نذكر منها على سبيل المثال مايلي:

١ - وجوب إقامة الدّين (الحكومة الإسلامية): قال تعالى: ﴿أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبِيرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾^(٨٣).

٢ - مشروعية الحكم لله تعالى: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا

(٨١) سورة النور: ٣٣.

(٨٢) سورة النساء: ٣٤.

(٨٣) سورة الشورى: ١٣.

لِلَّهِ أَمْرٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾، بمعنى: أن الله تعالى ولاية الحكم أولاً وبالذات، ثم يمنحها ثانياً وبالعرض لمن يشاء.

٣ - مشروعية حكومة الأنبياء والأوصياء والفقهاء: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّاتِّيُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾^(٨٥)، بمعنى: الذي يحكم بالكتب السماوية ثلاثة أصناف: (النَّبِيُّونَ)، وهم: الأنبياء، (الرَّبَّاتِّيُونَ)، وهم: الأوصياء، و(الْأَحْبَارُ)، هم: علماء الشريعة.

٤ - تنصيب الأنبياء للحكم: قال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(٨٦).

٥ - وجوب الطاعة لأولي الأمر: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٨٧)، و«المراد من أولي الأمر هم مراجع الأمة في شؤونها الإدارية والاجتماعية من أجل إحلال العدل والتكامل الإنساني، ولا ينحصرون بالأئمة المعصومين عليهم السلام في عصر حضورهم، بل لا بد من وجود أشخاص في زمن الغيبة الكبرى يقومون مقامهم في أداء وظائفهم، ولا نجد أولي الأمر شرعيين غير صنف الفقهاء الأكفاء العدول»^(٨٨).

٦ - وجوب الحكم بما أنزل الله: كما في الآيات الشريفة: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٨٩). ﴿وَمَنْ لَّمْ

(٨٤) سورة يوسف: ٤٠.

(٨٥) سورة المائدة: ٤٤.

(٨٦) سورة ص: ٢٦.

(٨٧) سورة النساء: ٥٩.

(٨٨) ولاية الفقيه

أبعادها وحدودها،

الشيخ محمد هادي

معرفة: ص ٣٥.

(٨٩) سورة المائدة: ٤٤.

يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٠﴾. ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ ﴿٩١﴾.

ث- التشريعات الاقتصادية:

وهي التشريعات التي شرعها الله تعالى لتنظيم التعاملات المالية في المجتمع، وتحقيق العدالة الاجتماعية، ومنع الظلم والتعدي على حقوق الآخرين، والإسراف، وأكل المال بالباطل، وفي هذا المجال ذكر القرآن الكريم تشريعات كثيرة جداً، نذكر على سبيل المثال الآيات التالية:

١ - إباحة التجارة وتحريم أكل الأموال بالباطل: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ ﴿٩٢﴾.

٢ - وجوب الوفاء بالعقود: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ ﴿٩٣﴾.

٣ - حرمة الربا: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٩٤﴾.

٤ - حرمة الإسراف والتبذير: قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٩٥﴾.

٥ - حرمة أكل مال اليتيم: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ ﴿٩٦﴾.

٦ - حرمة أكل مال الحرام: قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ

(٩٠) سورة المائدة: ٤٥.

(٩١) سورة المائدة: ٤٧.

(٩٢) سورة النساء: ٢٩.

(٩٣) سورة المائدة: ١.

(٩٤) سورة آل عمران: ١٣٠.

(٩٥) سورة الأعراف: ٣١.

(٩٦) سورة الأنعام: ١٥٢.

السُّحْتِ لِبَسِّ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٩٧﴾، والسحت هو أشد أنواع مال الحرام.

ج- التشريعات الاجتماعية والتربوية:

وهي التشريعات التي شرعها الله تعالى من أجل زرع القيم الأخلاقية وتجديدها في المجتمع والأمر بها، مثل: وجوب حسن الأخلاق، والعدالة، والعفة، والقناعة، وحسن الجوار... الخ. كذلك شرع الله تعالى تحريم المفسدات الاجتماعية والأخلاقية أمثال: تحريم الخمر، والقمار، وإشاعة الفاحشة، والجهر بالمعاصي، وإن ترسيخ القيم في النفوس تحدث منعة ذاتية في مواجهة المفسدات، فعندما تهفو النفس لممارسة رذيلة أو الحصول على لذة رخيصة، تعمل قيم الفضيلة على ردع النفس وتمسك بزمامها، وعندما يهّم الإنسان بتجاوز حدود الآخرين والتعدي على حقوقهم، تتحرك قيمة العدالة في النفس إذا كانت قوية لتقف في وجهه وتحول دونه وما يريد.

وما ينبغي تأكيده أن عملية التغيير تبدأ بالفرد. وعليه، فليس مبرراً على الإطلاق أن ينتظر الشخص غيره، فلو توقّف الإصلاح والتغيير على توفر جماعة تلتزم بذلك لما أمكن الانطلاق به على الإطلاق، لكن إذا بادر بعضهم أمكن توفير الجماعة وازداد بهم التأثير وتسارعت وتيرة الإصلاح والتغيير.

وآيات القرآن الكريم التي تتحدّث عن التشريعات الاجتماعية التربوية كثيرة جداً، نذكر على سبيل المثال ما يأتي:

١ - وجوب حسن الأخلاق: قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ
الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٩٨﴾.

٢ - العدل والإحسان: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٩﴾.

٣ - مساعدة الأغنياء للفقراء: قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا
الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿١٠٠﴾.

٤ - لزوم التحلي بالعتو والصفح: قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا
وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ﴿١٠١﴾.

٥ - حرمة الجهر بالمعاصي: قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ
بِالسُّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ ﴿١٠٢﴾.

٦ - حرمة إشاعة الفاحشة: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ
الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ﴿١٠٣﴾.

٧ - حرمة دخول بيوت الآخرين من دون استئذان: قال
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ
تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾.

٨ - حرمة فعل المعاصي والمفاسد والظلم: قال تعالى: ﴿قُلْ
إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾.

(٩٨) سورة النساء: ٣٦

(٩٩) سورة النحل: ٩٠

(١٠٠) سورة النور: ٢٢

(١٠١) سورة النور: ٢٢

(١٠٢) سورة النساء: ١٤٨

(١٠٣) سورة النور: ١٩

(١٠٤) سورة النور: ٢٧

(١٠٥) سورة الأعراف:

٩ - حرمة الخمر والقمار: كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (١٠٦).

الرابع: العلاج التشريعيّ السلبيّ:

العلاج الذي يعتمد على تشريع القوانين والأحكام ذات أدوات الردع ووسائل العقاب التي يلجأ إليها عادة لمعاقبة المجرمين والمفسدين وللحيلولة دون انتشار المفساد في المجتمع. وهذه التشريعات السلبية في الشريعة الإسلامية على ثلاثة أنواع: تشريعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتشريعات القضائية، والتشريعات العسكرية، أي: إن كل فساد اجتماعي يتناسب مع نوع من هذه الأنواع لعلاجها، وحاصل الكلام في كل واحدة كالتالي:

أ- تشريعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهي من التشريعات السلبية الاجتماعية التي شرّعها الله تعالى لحفظ المجتمع من انتشار المنكر أو من ترك المعروف، وجعل المؤمنين كلهم مسؤولين عن مجتمعهم وحفظه من الفساد والرذيلة والفواحش. ولا يحتاج هذا العلاج إلى تدخّل السلطة الحكومية، أو السلطة القضائية، أو السلطة التنفيذية. وقد ذكر القرآن الكريم أنها وظيفة الأمة ووصفها بذلك في آيات عدة، منها:

١ - أنهم خير أمة أخرجت للناس: قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ

أُمَّةٌ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١٠٧﴾.

٢ - أنهم المفلحون: قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ
إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾.

٣ - أنهم الصالحون: قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٠٩﴾.

٤ - أنهم المرحومون: قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿١١٠﴾.

ب- التشريعات القضائية:

وهي من التشريعات الاجتماعية التي شرعها الله تعالى لمعالجة
المفسدات والتجاوز على حقوق الآخرين وحل الاختلافات، وقد
منح الله تعالى هذه السلطة الأنبياء، والأوصياء، والفقهاء العدول،
لإقامة الحدود، والتعزيرات، والقصاص، وفصل الخصومات.

لذلك توضع عادة أنظمة العقوبات، إلا أنه من الضروري
اعتماد وسائل العلاج الجذري الإيجابي للظواهر السلبية، وذلك
عبر دراسة الأسباب والدوافع ومعالجتها، وعدم الاتكال على
أجهزة القضاء والرقابة.

فالقضاة عندما يعالجون أي مشكلة فهم يتناولونها من الزاوية

(١٠٧) سورة آل عمران:

.١١٠

(١٠٨) سورة آل عمران:

.١٠٤

(١٠٩) سورة آل عمران:

.١١٤

(١١٠) سورة التوبة: ٧١.

الجزائية بقطع النظر عن الآثار الاجتماعية والأبعاد الإنسانية التي ترافق الأحكام، وهو أمر على أهميته لا يكفي لمن يريد أن يعالج المفسد ويجتثها من جذورها، مما يفرض على التربويين والمعالجين الاجتماعيين والمبلغين أن يضعوا برامج خاصة لكل حالات التورط لإنقاذها والحيلولة دون انتشار العدوى إلى عناصر المجتمع. وقد ذكر القرآن الكريم كثير من الآيات المرتبطة في التشريعات القضائية نذكر على سبيل المثال مايلي:

١ - وجوب التحاكم عند رسول الله ﷺ: قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١١١).

٢ - وجوب الحكم بالعدل: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (١١٢).

٣ - تشريع القصاص: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١١٣)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١١٤).

(١١١) سورة النساء: ٦٥.

(١١٢) سورة النساء: ٥٨.

(١١٣) سورة البقرة: ١٧٨-١٧٩.

(١١٤) سورة المائدة: ٤٥.

٤ - تشريع أحكام الحدود ومقدار الجلد: قال تعالى:
﴿وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ
بِهَآءَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشِهْدَ
عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٥).

٥ - تشريع حكم قطع يد السارق: قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ
وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ﴾ (١١٦).

٦ - تشريع حكم البغاة والذين يسعون في الأرض فساداً:
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي
الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ
خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١٧).

٧ - تشريع حكم القتل: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ
مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ
مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ * وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا
فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (١١٨).

ت - التشريعات العسكرية:

وهي من التشريعات الاجتماعية التي شرعها الله تعالى لصدِّ
العدو الخارجي، أو لإنهاء الفتن الداخلية التي يثيرها البغاة، من
خلال إعداد جيش قوي تحت قيادة ولي أمر المسلمين.
وقد ذكر القرآن الكريم كثيراً من الآيات التي تشري أحكام
هذا العلاج، نذكر على سبيل المثال ما يلي:

(١١٥) سورة النور: ٢.

(١١٦) سورة المائدة: ٣٨.

(١١٧) سورة المائدة: ٣٣.

(١١٨) سورة النساء:

٩٢-٩٣.

١ - وجوب الجهاد الدفاعي وحرمة الاعتداء: قال تعالى:
﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ﴾ (١١٩).

٢ - وجوب الجهاد من أجل الوطن: قال تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ
مِنَ الْقَتْلِ﴾ (١٢٠).

٣ - وجوب جهاد الظالمين وإخماد الفتنة: قال تعالى:
﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهَوْا فَلَا
عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٢١).

٤ - وجوب جهاد الطائفة الباغية من المسلمين: قال تعالى:
﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَأُضِلُّوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَعَثَ
إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ
فَإِنْ فَاءَتْ فَأُضِلُّوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ﴾ (١٢٢).

٥ - وجوب التهيئ القوي والاستعداد الدائم للجهاد: قال
تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ
يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا
تُظْلَمُونَ﴾ (١٢٣).

(١١٩) سورة البقرة: ١٩٠.

(١٢٠) سورة البقرة: ١٩١.

(١٢١) سورة البقرة: ١٩٣.

(١٢٢) سورة الحجرات: ٩.

(١٢٣) سورة الأنفال: ٦٠.

الخاتمة

المفاسد الاجتماعية: هي أمراض سلوكية معدية تسري بين أفراد المجتمع وتسبب لهم حالة من الإدمان النفسي، وتوجد عادات وأخلاق اجتماعية خاطئة تهدد بإهلاك النسل والحرف، وفقدان الأمن في هذه المجتمعات. وهي لا تقل خطورة عن الأمراض الجسدية والفيروسية كالطاعون والإيدز وما شابههما. ويشتمل القرآن الكريم على منظومة عملية متكاملة لعلاج المفاسد الاجتماعية تبدأ من الإيمان بالله تعالى، والمبدأ، والميعاد، والرسل، وإقامة الشرائع السماوية، ومحاربة الكفر والظلم والفساد من على وجه الأرض.

وتنقسم هذه المنظومة إلى أربعة محاور من العلاجات للمفاسد الاجتماعية:

الأول: العلاج الإيماني الإيجابي: هو العلاج الذي يعتمد في تربية الإنسان على تقوية الإيمان بالله تعالى وبالمبدأ والميعاد؛ لأن تقوية الإيمان والمعرفة بصفات الله تعالى تجنبه الضلال والضياع والتهيه، وتعطيه منعة ذاتية وارتداعاً إرادياً من ارتكاب المفاسد والمعاصي التي تغضب الله تعالى.

الثاني: العلاج الإيماني السلبي: العلاج الذي يعتمد في تربية الإنسان على الخوف من الله تعالى والوعيد الإلهي بالعقاب والعذاب بنار جهنم في الآخرة، أو بتعجيل العذاب على الكافرين في الدنيا لينتج من ذلك حالة التقوى التي تجنب الإنسان من فعل المعاصي واقتراف المفاسد.

الثالث: العلاج التشريعي الإيجابي: العلاج الذي يعتمد في التربية على أسلوب تشريع القوانين والأحكام التي تكسب الإنسان منعة ذاتية وارتداداً إرادياً من فعل الفساد والظلم والمعاصي، حتى لا تصل النوبة معها إلى وسائل العقاب القضائية المعتمدة في الشريعة الإسلامية.

الرابع: العلاج التشريعي السلبي: العلاج الذي يعتمد على تشريع القوانين والأحكام ذات أدوات الردع ووسائل العقاب التي يُلجأ إليها عادة لمعاقبة المجرمين والمفسدين وللحيلولة دون انتشار المفاصد في المجتمع.

وهذه التشريعات السلبية في الشريعة الإسلامية على ثلاثة أنواع: (تشريعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتشريعات القضائية، والتشريعات العسكرية)، أي: أن كل فساد اجتماعي يتناسب لعلاجه نوع من هذه الأنواع.

وهذه المنظومة لا تعطي نتائجها المثمرة ما لم تُطبَّق بكاملها.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١- الفراهيدي، الخليل أحمد، كتاب العين، دار الكتاب، بيروت، ١٤٢٢

هـ.

٢- الجوهري مختار الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار -
الطبعة: الرابعة - سنة الطبع: ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م - الناشر: دار العلم للملايين -
بيروت - لبنان.

٣- للزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري -
سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٤م - المطبعة: دار الفكر - بيروت - الناشر: دار
الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

٤- الشيخ الكليني الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري الطبعة: الخامسة
سنة الطبع: ١٣٦٣ هـ ش المطبعة: دار الكتب الإسلامية - طهران.

٥- الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، الناشر: مرتضوي، المطبعة:
طراوت، ١٣٦٢ ش.

٦- معرفة، محمد هادي، ولاية الفقيه أبعادها وحدودها.

٦

اليتم في رياض القرآن الكريم

الشيخ حسن الكندي
باحث إسلامي
وأستاذ في جامعة المصطفى العالمية

المقدمة

يُعنى هذا البحث بمسألة اجتماعية، وحياتية وحيوية وإنسانية وأخلاقية وأمنية في الوقت نفسه، وهي كفالة اليتيم، لاسيما أن بلادنا قياساً بالدول الأخرى - تحتل الصدارة بكثرة الأيتام نسبة بعدد سكانه، وقد تناول القرآن الكريم قضية اليتيم إذ ورد ذكر اليتيم في (٢١) آية، وقمنا بتصنيفها على أربعة أقسام بعد ذكر مقدمة.

ولا شك إن نعمة الأبوين لا تضاهيها نعمة، فهما الكفيلان بتغذية الأبناء روحياً ونفسياً وعاطفياً وبدنياً ومادياً ومعنوياً.

الوالدان يكفلان حماية الأولاد من مصائب الزمان وطوارق الحدثنان، فيرتع الابن في بستان حنان الأبوين، ويتنفس نسيم عبقات الوالدين، وينمو بربيع أنس العمودين، فالأم تلقمه ثدي المودة والحنان، والأب يرسم على وجنتيه قبلات العطف والأمان، ويغرس فيه التقى والإيمان، والأم تسهر وتتعب لترى ولدها يمرح ويلعب، والأب يجدُّ ويتعب ليرى ولده يفرح ويهنا، فيشبَّ شبراً فشبراً، من رضيع إلى يافع والأب يحدو به إلى سؤدد المجد، ويهديه إلى كلِّ عزٍّ ورفعةٍ، يضع يده بيده سيراً رحباً في مدارج الكمال وسلم الآمال، والأم تدعو له في كلِّ فريضة ليكحل ناظرها بصلاحه، وتحلم أن يكون فرعاً من شجرة أبيه الباسقة، وثمره لجهدا وكد والده، كلُّ هذه الصور البديعة وهذه المشاهد الرائعة ينعم بها الأبناء في ظل الأبوين وكنفهم، وهم كزرعٍ شبَّ وترعرع ليثمر ينعه بأرض خصبة معشوشبة

بالأزاهير النديّة ذات الأريج المتضوّع مسكاً وعنبراً وثغراً باسماً
يجلو الهمّ والغمّ.

كلُّ هذه المعاني البديعة وهذه الأحاسيس الجياشة الشجنة،
اليتيم منها في حرمان وفي شظف العيش تعرّكه يد الزمان وتركه
قدم الدّهر الخوّان!

سلام الله عليك يا أبا الحسن إذ قال:

ما إن تأوّهت من شيءٍ رزّنت به كما تأوّهت للأيتام في الصغر
قد مات والدّهم من كان يكفلهم في النابتات وفي الأسفار والحضر^(١)

مخاطر اليتيم

كلّ المعاني التي ذكرناها وغيرها حُرّم منها اليتيم الذي غاب
عنه كفيّله والمحامي والأنيس لنفسه وروحه، فإذا ظفر به إنسان
السوء ورفاق السوء سيحوّلونه إلى قاطع طريق، أو لصّ، أو
متسوّل، أو ينتسب إلى منظمات الإجرام، فيتحوّل إلى وحش
كاسر وينسلخ عن إنسانيته السمحة ويصير مجرماً شاذاً وجرثومة
مضرة في المجتمع، إلا ما رحم ربي.

لكن إذا وجد اليتيم من يشبع جوعته، وينفّس كربته وهمّه،
ويشعره بالأمن والأمان، ويسدّ هذا الفراغ العاطفي الذي يشعر به
سوف يتغيّر ولا يحقد على أفراد المجتمع.

وما فقد اليتيم أباً كريماً إذا غطاه فضلٌ من رداكا^(٢)

حلول القرآن الكريم لمشكلة اليتيم

جاء القرآن ليرسم على شفاه اليتيم البسمة، ويشرح له القلب،

(١) العقد النضيد والدّر
الفريد، محمد بن الحسن
القمي: ص ١٠٣.
(٢) للشاعر ناصيف
اليازجي.

وينير له الدرب، ويرسخ قيم المحبة والألفة والرحمة والعدل والتكافل تحت نظام عام ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٣) وينشئ مجتمعاً قوياً متماسكاً لا يخاف فيه الضعفاء عامة واليتامى خاصة من ضياع حقوقهم، وسلب أموالهم، فالمتبع للآيات يرى عناية القرآن الكريم البالغة باليتامى في نواحي حياتهم جميعها، وكيف ربّاهم القرآن ليجعل منهم عناصر قوة في المجتمع، وحذر من إهمالهم لئلا يكونوا وبالاً على المجتمع، فالقرآن هو الرائد لحماية الأيتام..

معنى اليتيم؟

اليتيم في كتب اللغة^(٤) هو: الفرد من كل شيء، وكل شيءٍ يَعِزُّ نَظِيرُهُ، يقال: بيت يتيم، وبلدٌ يتيم، ودُرَّةٌ يتيمة، واليتيم من الناس: مَنْ فَقَدَ أَبَاهُ، ومن البهائم: مَنْ فَقَدَ أُمَّهُ؛ وذلك لأن الكفالة في الإنسان منوطة بالأب فكان فاقد الأب يتيماً دون من فقد أمه، أما الإنسان الذي يفقد والديه يسمّى (لطيم).

اليتيم فقهاً

واليتيم عند الفقهاء هو: مَنْ فَقَدَ أَبَاهُ مَا لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ، فإذا بلغ الحُلُمَ زال عنه اليتيم^(٥).

كما قال النبي ﷺ: «لَا يُتِمُّ بَعْدَ احْتِلَامٍ»^(٦). وقد يُطلق على من بلغ أيضاً وهو إطلاق مجازي، وليس بإطلاق حقيقي، كما كانوا يسمّون النبي ﷺ - وهو كبير يتيم أبي طالب رضي الله عنه، لأنه ربّاه بعد موت أبيه عبد الله رضي الله عنه.

وكما في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾^(٧) وهم لا

(٣) سورة الحجرات: ١٠.

(٤) انظر: القاموس

المحيط، الفيروز

آبادي: ج ٤، ص ١٩٣.

والصاحح مادة (يتم)،

الجواهر: ج ٥،

ص ٢٠٦٤. وذكرت كتب

التفسير المعنى بنفسه.

(٥) انظر: تاج العروس،

الزبيدي: ج ١٧، ص ٧٧٤.

(٦) وسائل الشيعة،

الحر العاملي: ج ١،

ص ٤٥. والمخصص،

ابن سيده: ج ١، ص ٢٧.

(٧) سورة النساء: ٢.

يُؤْتُونَ أَمْوَالَهُمْ إِلَّا بَعْدَ الْبُلُوغِ وَالرُّشْدِ. أَي: بَعْدَ زَوَالِ صِفَةِ الْيَتِيمِ عَنْهُمْ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾^(٨).

اليتيم في القرآن الكريم

جاء ذكر اليتيم في القرآن الكريم في إحدى وعشرين آية^(٩)، ذُكِرَتْ فِيهَا كَلِمَةُ (يَتِيم) بِالْإِفْرَادِ (يَتِيم) ثَمَانِي مَرَّاتٍ، وَبِالْتَشْبِيهِ (يَتِيمِينَ) مَرَّةً وَاحِدَةً، وَبِالْجَمْعِ (يَتَامَى) اثْنَتَا عَشْرَةَ مَرَّةً، وَمِنْ تَدَبُّرِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَجَدَهَا مَقْسَمَةً إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

القسم الأول: شرائع الإسلام توصي بالأيام.

القسم الثاني: مدح المحسن لليتيم، وذم المسيء له.

القسم الثالث: عدم أذية اليتيم نفسياً واجتماعياً.

القسم الرابع: كفالة اليتيم ورعاية مصالحه المادية.

القسم الأول: شرائع الإسلام توصي بالأيام

قِيلَ فِي الْحِكْمَةِ: «عَادَةٌ لَا يَقْلُقُ مِنْ لَهْ أَبٍّ، فَكَيْفَ يَقْلُقُ مِنْ لَهْ رَبِّ». الْيَتِيمُ وَإِنْ فَقَدَ الْأَبَ الَّذِي يَكْفُلُهُ وَفَقَدَ حَنَانَهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَفْقِدْ رَحْمَةَ رَبِّهِ حَيْثُ أَحَاطَتْهُ بِالتَّشْرِيعَاتِ الَّتِي تَعْتَنِي بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ..﴾^(١٠).

ورعاية اليتيم والمحافظة عليه لا تقتصر على الشريعة الخاتمة، بل كانت في الشرائع السابقة لشرعنا، فمن جملة بنود الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل: الإحسان إلى اليتامى، قال

(٨) سورة النساء: ٦.

(٩) وهي كما يلي:

سورة البقرة: (٨٣، ١٧٧،

٢١٥، ٢٣٠)، وسورة

النساء: (٢، ٣، ٦، ٨،

١٠، ٣٦، ١٣٧)، وسورة

الأنعام: (١٥٣)، وسورة

الأنفال: (٤١)، وسورة

الاسراء: (١٧)، وسورة

الكهف: (٨٢)، وسورة

الحشر: (٧)، وسورة

الإنسان: (٨)، وسورة

الفجر: (١٧)، وسورة

البلد: (١٥)، وسورة

الضحى: (٦، ٩)،

وسورة الماعون: (٢).

(١٠) سورة النساء: ٣٦.

تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(١١).

(١١) سورة البقرة: ٨٣.

(١٢) سورة الكهف: ٧٧.

(١٣) سورة الكهف: ٨٢.

(١٤) عن إسحاق بن

عمار قال: سمعت أبا

عبد الله عنه يقول: «

إن الله ليفلح بفلح

الرجل المؤمن ولده

وولد ولده، ويحفظه

في دويرته ودويرات

حوله فلا يزالون في

حفظ الله لكرامته على

الله، ثم ذكر الغلامين،

فقال: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا

صَالِحًا﴾ ألم تر أن الله

شكر صلاح أبييهما

لهما»، تفسير العياشي،

العياشي: ج ٢، ص ٣٣٨.

(١٥) سورة النساء: ٩.

(١٦) تفسير الميزان،

العلامة الطباطبائي:

ج ٤، ص ٢٠٢.

وفي مشهد آخر من المشاهد التي نرى فيها رعاية اليتيم واضحة في الشرائع السابقة نجد القرآن الكريم يتعرض لقصة موسى والخضر عليه السلام إذ وجدا في سفرهما ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ﴾^(١٢)، وأصلحه الخضر بدون أجر لقاء عمله، ويصرح القرآن سبب ذلك الإكرام في قول الخضر لموسى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(١٣).

وهكذا كان صلاح الآباء^(١٤) سبباً في حفظ حقوق الذرية ورعاية ما أودع لهما من كنز، وشمول رحمة الله بهذين اليتيمين إلى أن يتمكنوا من إدارة أموالهما بأنفسهما.

قال صاحب الميزان: «ظاهر الآية أن لصلاح أبييهما دخلاً فيما أراده الله رحمة بهما، وقال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾^(١٥) الآية، وعلى هذا، فأمر إنعكاس العمل أوسع وأعم، والنعمة أو المصيبة ربما تحلان بالإنسان بما كسبت يدا شخصه أو أيدي آبائه»^(١٦).

اليتيم الذي يلوح زرباً	ليس شيئاً لو تعلمون زرباً
إنه غرسة ستطلع يوماً	ثمراً طيباً وزهراً جنبياً
ربما كان أودع الله فيه	فيلسوفاً، أو شاعراً، أو نبياً

لم يكن كلِّ عبقرٍ يتيماً
إِنَّمَا كَانَ الْيَتِيمَ صَبِيًّا
ليس يدري لكنَّه سوف يدري
أَنْ رَبَّ الْأَيْتَامِ مَا زَالَ حَيًّا^(١٧)

القسم الثاني: مدح المحسن لليتميم، وذمَّ المهمل له.
هذا القسم تنقسم فيه الآيات القرآنية إلى مجموعتين:
مجموعة تمدح المحسن لليتميم وتثني عليه وعلى كلِّ من أكرم
اليتميم، ومجموعة أخرى تعرّض وتذمَّ المهمل لحق اليتميم.

المجموعة الأولى: التي تمدح المحسن لليتميم، كقوله
تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(١٨)،
فهذا فعل ايجابي، فكان جزاؤهم ﴿فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ
وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾^(١٩). أي: مدح وثناء وفوز عظيم كهذا الفوز.

وقوله تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ﴾^(٢٠)، وهم الذين ينفقون على الأيتام ويتكفلونهم، كما
قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»^(٢١). وأشار بالسبابة
والوسط.

يعني كافل اليتيم مع رسول الله ﷺ، في الجنة والمسافة
بينهما، كالمسافة بين إصبعين، كالسبابة والوسط.

سؤال: لماذا شبه النبي ﷺ كافل اليتيم بنفسه ﷺ؟

الجواب: لعلَّ الحكمة من تشبيه كافل اليتيم في القرب من
النبي ﷺ بالإصبعين، لكون النبيِّ شأنه ووظيفته هداية الخلق
ورشادهم، فيكون كافلاً لهم ومعلِّماً ومرشداً، وكذلك كافل
اليتميم، يقوم بكفالة مَنْ لا كافل له، وراشداً من لا راشد له، بل ولا
معين له على دنياه والتي هي مقدّمة لحفظ دينه والفوز في الآخرة.

(١٧) للشاعر إليا
أبو ماضي.

(١٨) سورة الإنسان: ٨.

(١٩) سورة الإنسان: ١١.

(٢٠) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢١) تفسير مجمع

البيان، الشيخ الطبرسي:

ج ١٠، ص ٣٥٢.

المجموعة الثانية: هذه المجموعة من الآيات فيها ذمٌ وتعريض بالذي أهمل اليتيم ولم يشبع جوعه المادي والمعنوي ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿فَكُ رَقَبَةٌ﴾ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾^(٢٢)، لو أن الإنسان المؤمن أطعم يتيمًا لنجا من تلك العقبة، وأيم الله! إنها لعقبة كؤود شديد أمرها، صعب مسلكها، عظيم بلاؤها، طويل عذابها، قديم في الزبر الأولى ذكرها، هكذا وصف العقبة في الروايات^(٢٣).

قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾^(٢٤)، أي: لا تعطونه مما أعطاكم الله حتى تغنوه عن ذل السؤال، وخص اليتيم؛ لأنه لا كافل له يقوم بأمره.

القسم الثالث: حرمة إيذاء اليتيم

وهذا القسم من الآيات تعطي المنهج التربوي في التعامل مع اليتيم وتسعى لترشيد الفرد اليتيم مادياً ومعنوياً، وقد شرع له في هذا المجال ما يحقق رعايته كفرد فقد كفيله، فأوصى له بمن يبادل العطف والحنان، ويسد ثغرة الحرمان، والتربية الصالحة ليكون فرداً صالحاً لا تؤثر على نفسيته حياة اليتيم ولا تترك الوحدة في سلوكه انحرافاً يسقطه عن المستوى الذي يتحلّى به بقية الأفراد ممن يتنعم بحنان الأبوة وعطفها.

وعداً من يقهر اليتيم ولا يحض على إشباع الجوع العاطفي لديه أنه قد كذب بالدين: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ^(٢٥)، وهذا العمل يوجب أذية شديدة لليتيم بحيث يستحق فاعله صفة الكذب لدين الله تعالى.

(٢٢) سورة البلد: ١١ -

١٥.

(٢٣) انظر: بحار الأنوار،

العلامة المجلسي: ج ٥٠،

ص ٣١٩.

(٢٤) سورة الفجر: ١٧.

(٢٥) سورة الماعون:

١ - ٢.

وتظهر لنا صورة مخالفة لهذه الصورة وهي النعمة الكبرى على اليتيم التي تستحق الشكر، فالنبي ﷺ نشأ يتيماً، وقد أنعم الله تعالى بالكفالة والغنى، عليه، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ (٢٦)

فالمؤوي له عمه أبو طالب رضي الله عنه، بعد فقد أبيه وبعد كفالة عبد المطلب له.

هذه الآيات الكريمة يُستنبط منها ما يحتاجه اليوم اليتيم في الحياة الاجتماعية، فهي بمجموعها تشكل بيان المراحل التي لا بد للأولياء والمجتمع من أدائها للوصول باليتيم إلى الهدف المنشود.

فيستفاد من ظاهر الآيات أن اليتيم يحتاج إلى:

* المسكن الذي يأوي إليه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ﴾.

* التربية الصالحة بما تشتمل عليه من تأديب وتعليم حتى لا يقع غرضاً للضلال ويسقط بيد المضللين والضالين: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾.

* المال الذي يُنفق عليه منه: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾، حتى لو كان اليتيم غنياً فهو لا يتمكن من استعمال أمواله، لأنه قاصر، فيصير فريسة للسلب والنهب، ولا بد له من قيم ومرشد.

فعلى المجتمع الذي يريد أن ينشأ اليتيم فيه نشأة سليمة، ليصبح إنساناً صالحاً سوياً، تستفيد منه أمته، أن يوفر له المسكن الآمن، والمال الذي يحتاجه مع التربية الصالحة، و يكون ذلك بإنشاء مؤسسات وملاجئ - دور لليتامي - تُعنى بكل ذلك.

(٢٦) سورة الضحى:

٨-٦

وقد جاءت آيات القرآن الكريم لتراعي اليتيم من الناحية النفسية والاجتماعية لينشأ نشأة سوية، فأمرت بإكرامه والرفق به، ونهت عن قهره وزجره وإهانته، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾^(٢٧)، وهذه الآية الكريمة خطاب للأمة وهي من قبيل (إياك أعني واسمعي يا جارة)، إذ الخطاب للقائد وهو النبي ﷺ خطاب للرعية، وحاشاه أن يقهر يتيماً، أو يعبس في وجهه وهو الذي قال فيه ربه عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢٨).

وقد ذم الله تعالى أولئك الذين يهينون اليتيم ولا يكرمونه، كما قال تعالى: ﴿كَأَلَّا بِلَآ تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾^(٢٩).

ويُفهم من هذا أنه لا بد من إكرام اليتيم، وهذا الإكرام يشمل كل صور حفظ اليتيم من ناحية حقوقه الاجتماعية سواء فيها الإيواء، أو الإنفاق، أو التربية، أو حفظ ماله أو حضائته وحمايته.

مصاديق الإكرام:

* التربية.

* التعليم.

* غرس الثقة في النفس.

* حفظه وحفظ أمواله.

* تهيئته كما يهذب الشخص أولاده.

* عدم الإهانة والازدراء.

فليس المراد بإكرامه إذاً هو الإنفاق عليه فقط، بل المقصود كل ما يحقق كرامته وعزته ورفعته ويكون إنساناً بمعنى الكلمة.

وبمراعاة تعاليم القرآن هذه يجد اليتيم اليد الرقيقة التي تحنو

(٢٧) سورة الضحى: ٩.

(٢٨) سورة القلم: ٤.

(٢٩) سورة الفجر: ١٧.

عليه، ومن المعلوم أن اليتيم منكسرٌ ومفتقرٌ للعطف الأبوي، فيحتاج من يمسح على رأسه ليشعره بالأمان والحنان والدفء المعنوي، من هنا جاء حديث عن النبي ﷺ: «من مسح يده على رأس یتيم ترحمًا له، أعطاه الله بكل شعرة نوراً يوم القيامة»^(٣٠).

يا كافل الأيتام، كُفِكَ واحةٌ لا تُنبِت الأشواك والزُّقوما
ما أنبتت إلا الزُّهورَ نديَّةً والشَّيخَ والرَّيحانَ والقَيْصُوما
أبشُرْ فإنَّ الأرضَ تُصبحُ واحةً للمحسنين، وتُعلنُ التكريما
أبشُرْ بصحبةٍ خيرٍ من وطىء الثرى في جَنَّةٍ كَمَلتَ رضاً ونعيماً^(٣١)

القسم الرابع: كفالة اليتيم ورعاية مصالحه الاقتصادية

وهذا القسم من الآيات فيه عناية عظيمة بالحقوق المالية لليتامى، حتى لا يكونوا عرضة للضياع ولسلب أموالهم، شرعت لهم موارد كثيرة يأخذون منها المال، منها ما في قول الله تعالى:

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى
وَالْمَسَاكِينَ....﴾^(٣٢)

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ
فَلِلَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا
مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٣٣).

وقد امتدح الله تعالى الذين يطعمون اليتيم: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ
عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٣٤)، كرامة لهذا العمل ومجازاة
كافأهم ربهم: ﴿فَوْقَاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً
وَسُرُورًا﴾^(٣٥).

(٣٠) وسائل الشيعة (آل

البيت)، الحر العاملي: ج

١٦، ص ٣٣٨.

(٣١) للشاعر عبد

الرحمن العشماوي.

(٣٢) سورة البقرة: ١٧٧.

(٣٣) سورة البقرة: ٢١٥.

(٣٤) سورة الإنسان: ٨.

(٣٥) سورة الإنسان: ١١.

ويقابل ذلك من لا يراعي حقوق اليتامى فيسقط في ذلك اليوم ولا يتمكن من النجاة: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ (٣٦).

(٣٦) سورة البلد: ١١ -

١٥.

(٣٧) عن علي عليه السلام قال:

«الخمسة يجري ويخرج

من أربعة وجوه: من

الغنائم التي يصيبها

المسلمون من المشركين،

ومن المعادن، ومن

الكنوز، ومن الغوص،

ثم جزء الخمس على

سنة أجزاء، فيأخذ

الإمام منها سهم الله

تعالى وسهم الرسول

وسهم ذي القربى عليه السلام،

ثم يقسم الثلاثة السهام

الباقية بين يتامى آل

محمد ومساكينهم وأبناء

سبيلهم». الوسائل، الحر

العالمي، الباب ١ من

أبواب قسمة الخمس:

ج ٩، ص ٥١٦ و ٣٦٠.

(٣٨) سورة الأنفال: ٤١.

(٣٩) سورة الحشر: ٧.

(٤٠) سورة النساء: ٨.

وسنَّ الله للأيتام قانوناً وفرضَ لهم فرضاً في قرآنه وهو نصيباً من الخُمس^(٣٧) مما يحصل عليه المسلمون من الغنائم التي غنموها، أعَمَّ من قتال الكفار، أو الكنوز، أو أرباح المكاسب، وغيرها، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٨).

وفرضَ لهم نصيباً من الفيء، وهو كلُّ مالٍ أُخِذَ من الكفار من غير قتال، قال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٣٩).

وجعل لهم أيضاً نصيباً غير محدد - جبراً لخاطرهم - إذا حضروا قسمة الميراث، و لم يكن لهم نصيب من هذا الميراث، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٤٠) سواء كان هذا النصيب على سبيل الوصية لهم من الميت فيما لا يزيد على ثلث التركة، أم كان من الورثة إحساناً منهم لهؤلاء اليتامى وغيرهم ممن ذُكر في الآية.

وهذا كله بالإضافة إلى ما يستحقه اليتامى من الزكوات إن كانوا فقراء أو مساكين ، إذ يدخلون في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٤١).

فإذا كان اليتيم فقيراً، أو مسكيناً، أو ابن سبيل، فهو مشمول بأحد هذه العناوين لعموم الآيات، كما في قوله: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٤٢). أو كما في قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٤٣).

مشكلة اليتامى الأثرياء

إن مشكلة اليتامى الأثرياء ليست بأقل من مشكلة اليتامى الفقراء؛ إذ من الأيتام من لهم من الأموال ما ليس للكبار، مما قد يعرض هذه الأموال لجشع الكبار، لذا شرع لهم الله تعالى في قرآنه ما يحمي هذه الأموال ويحافظ عليها من جشع الطامعين وتسلط الأقوياء، كما أولى القرآن لهم العناية بتوجيه النفوس والإحسان إليهم في بقية المراحل الحياتية والتربوية.

وقد بدا ذلك واضحاً من الآيات العديدة التي راعت هذه الجهة فأكدت أمر احترام مال اليتيم، وعدم التصرف فيه إلا بما فيه مصلحة تعود إليه والنهي الغليظ الذي جاء في القرآن الكريم حول أكل مال اليتيم حتى أنه تقشعر منه الأبدان.

لذلك نرى هذه الآيات - التي خصّصت لمعالجة مشكلة

(٤١) سورة التوبة: ٦٠.

(٤٢) سورة الذاريات:

١٩.

(٤٣) سورة المعارج:

٢٥، ٢٤.

اليتامى الأثرياء - تجري مع اليتيم في ثلاثة مراحل، وهي:

المرحلة الأولى: المحافظة على أموال اليتامى

لا بد لليتيم من ولي^(٤٤)، أو وصي، أو قيمٍ يرضى شؤونه، فعليهم أن يحذروا في التعامل مع الأيتام ولا يتعاملون معهم كما في المثل السائد (التجارة شطارة)، وبهذا الصدد يقول تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾^(٤٥).

فقد تعرّضت الآية الكريمة إلى ترك عملية تبديل أموال اليتامى، إذ كان ذلك سائداً عندهم فقد ذكر المفسرون^(٤٦): إن بعض الأوصياء كانوا يأخذون الجيد من مال اليتيم ويبدّلونه بالرديء، لذلك جاءت الآية الكريمة لتنهى عن هذه التجاوزات الفاحشة غير المشروعة بتبديل أموال هؤلاء الضعفاء، ونهت كذلك عما هو أعظم من التبديل، ألا وهو التجاوز على أصل مال اليتيم فيضمّمه إلى ماله ويتصرّف في الجميع، لذلك وقف القرآن مهدداً ومحذراً ومتوعداً هؤلاء الأولياء المتجاوزين مغبة هذا التعدي ومبيناً عظم هذا الذنب الكبير وهذه الجريمة النكراء، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾^(٤٧).

ثم يصوّر مشهداً مرعباً، مشهد النار وهي تتأجج في بطون هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(٤٨).

(٤٤) الولاية على اليتيم والإشراف على أموره في عهدة الأفراد التاليين حسب الترتيب، فإن فقد أحدهم انتقلت ولاية الطفل واليتيم إلى الفرد الذي يليه:

١- الأب وجدّ الطفل لأبيه.

٢- وصيّ الأب أو وصيّ الجدّ المعين كقيم على الطفل من الأب، أو من قبل الجد...
٣- حاكم الشرع.

٤- المؤمنون العادلون.
(٤٥) سورة النساء: ٢.

(٤٦) تفسير الطبري، الطبراني: ج ٧، ص ٥٢٥. وتفسير البغوي، البغوي: ج ٢، ص ١٦٠.

(٤٧) النساء: ٢.

ولهذا بعدما نزلت هذه الآية مباشرة بادر كلُّ من عنده مالٌ لیتيم فعزل طعامه وشرابه واجتنبوا أمورهم نظراً لما في هذا التحذير من عقاب صارم ينتظر آكل مال الیتيم.

ولا شك أن هذا يؤثر نفسياً بالسلب على الیتيم لشعوره بالعزلة، فعن صفوان، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام: «أنه لما نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ أخرج كلَّ من كان عنده یتيم، وسألوا رسول صلى الله عليه وآله، في إخراجهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ (٤٩).

إذا جاءت الآية الكريمة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٠) لتخفف عنهم هذه الشدّة، وتصحح لهم المفهوم الخطأ الذي تصوّروه فتسهّل عليهم مخالطتهم. فالمعيار بما فيه الصلاح والخير للیتيم، وإذا كانت المصلحة في مخالطتهم والتعايش معهم فهم إخوانكم، ولا شك في أنّ المخالطة الحسنة تؤكد عرى المحبّة وتقوي وشائج المودّة.

والإصلاح في الآية مطلق لا يقتصر على جهة معينة، بل يشمل كلّ صور الإصلاح لأموالهم باستثمارها وتنميتها، إذ أن الآية الكريمة تريد أن يكون الیتيم في نظر الآخرين كالابن أو كالأخ الصغير حيث يحتضنه الأخ الكبير، ويحوطه بعنايته، فهو يقوم

(٤٨) سورة النساء: ١٠.

(٤٩) تفسير القمي،

علي بن إبراهيم القمي:

ج ١، ص ٧٢.

(٥٠) سورة البقرة: ٢٢٠.

برعايته من النواحي المالية، والأخلاقية، ويخالطه ويعاشره لا طمعاً منه في أموال الصغير، بل لرعايته، وتوجيهه بحسن نية وإخلاص ممزوجين بعطف أخوي ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾.

الجزاء من جنس العمل

من المعلوم أن الجزاء يكون من جنس العمل، فهنا لم تقتصر الآيات الكريمة في مقام التهديد على النهي عن أكل مال اليتيم، والوعيد بالعذاب الأخروي فقط، بل سلكت طريقاً آخر مستوحى من الواقع الحياتي الذي يعيشه الفرد في كل يوم.

إن هذه الطريقة الجديدة تتمثل في تنبيه المتجاوزين بأنهم لو ظلموا اليتامى وتجاوزوا على حقوقهم فليحذروا أن يكون جزاؤهم نفس ما عملوه مع اليتيم، والجزاء من جنس العمل، فلينتظروا يوماً يُعامل فيه أيتامهم بالطريقة نفسها التي أساءوا بها إلى أيتام الآخرين «كما تُدين تُدان»^(٥١). قال تعالى: ﴿وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٥٢).

وإلى هذا المعنى أشارت الروايات: إن لآكل مال اليتيم عقوبتان دنيوية وأخروية^(٥٣).

المرحلة الثانية: حكم أجرة كافل اليتيم

لم تقف الشريعة في أثناء مرحلة ولاية الولي على اليتيم في وجه الولي لتمنعه من تناول شيء من المال جزاء أتعابه ورعايته في هذه المدة، بل سمحت له بذلك إلا أنها قيّدت بما يقتضيه الحال لرعاية حال اليتيم الذي يكون في الغالب محتاجاً إلى ما

(٥١) الكافي، الشيخ

الكليني: ج ٢، ص ١٣٤.

(٥٢) سورة النساء: ٩.

(٥٣) انظر: مستدرک

الوسائل، ميرزا النوري:

ج ١٣، ص ١٩٢.

يُدخِر له من مال، تقول الآية الكريمة: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا
بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا
تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ
كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا
عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٥٤).

فالآية الكريمة صنفت الأولياء إلى قسمين:

الأول: وليٌّ غنيٌّ له من المال ما يكفُّ نفسه عن تناول شيء
من أموال اليتيم.

وقد خاطبت الآية هذا النوع من الأولياء بقوله تعالى: (فليستعفف).

عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا
فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، قال: «ومن كان يلي شيئاً لليتامى وهو
محتاج ليس له ما يقيمه، فهو يتقاضى أموالهم ويقوم في ضيعتهم
فليأكل بقدر ولا يسرف، فإن كانت ضيعتهم لا تشغله عما يعالج
بنفسه، فلا يرزأن من أموالهم شيئاً» (٥٥).

والاستعفاف في اللغة هو: الامتناع عن الشيء. والإمساك
عنه (٥٦)، فهي إذاً تحاطب الأغنياء بترك أموال اليتامى وعدم أكلها
لا قليلاً ولا كثيراً، فالغني قد أعطاه الله من المال ما كفاه عن
التطلع إلى أموال هؤلاء الضعفاء؟ وكيف تتم حلقة التكافل
الاجتماعي والتضامن إذا كان الغني يلاحق هؤلاء الصغار الذين
فقدوا من يكفلهم ليضيف إلى مخزونه المالي ما يتقاضاه لقاء
عمَله لرعاية الأيتام؟. فمن الأفضل للولي الغني أن يتغني وجه
الله تعالى فيما يقدمه من خدمة ورعاية، وله بذلك أعظم الأجر.

(٥٤) سورة النساء: ٦.

(٥٥) الكافي، مصدر

سابق: ج ٥، ص ١٢٩.

(٥٦) انظر: معجم

مقاييس اللغة، ابن

فارس: ج ٦، ص ١٠٠.

لسان العرب، ابن منظور:

ج ٩، ص ٢٥٣.

الثاني: وليٌّ فقير قد يضرُّ بحاله المالي أن ينشغل بإدارة الشؤون المالية لليتيم، لذلك نجده يصبو إلى أخذ شيء من المال لقاء ما يقدمه له من رعاية ومحافظة، وهذا قد خاطبته الآية الكريمة - مراعاة لحاله - بقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وهو كناية عن تناوله من مال اليتيم قدر الحاجة والكفاية مع تقييد كون هذا الأخذ على نحو القرض، حيث يلزم رده إذا تمكن بعد ذلك ماليًّا - على بعض التفاسير - أو الأخذ على قدر ما يسدُّ به جوعته، وليستر به عورته، لكن لا على جهة القرض بل على جهة تملك المأخوذ لقاء عمله ورعايته، كما جاء في بعض التفاسير الأخرى.

والتعدي عن المقدار اللازم في الأخذ من مال اليتيم هو أكل لذلك المال ظلماً، وهو مهَّد بنص الآية الكريمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (٥٧).

حكم استثمار مال اليتيم

مقتضى إكرام اليتيم هو إيصاله إلى درجة يعيش حياة كريمة في زمن اليتيم، وكذلك المرحلة بعد اليتيم، فرعاية اليتيم لا تقتصر على حفظ ماله إلى أن يصل إلى حدِّ البلوغ ليسلم إليه، بل ينبغي تسميره وتنميته رعاية لحق اليتيم.

فالأدلة الواردة في رعاية اليتامى والإحسان إليهم تقتضي حرمة ترك التصرف بأموالهم إذا كان الترك يلحق ضرراً ومفسدةً باليتيم؛ لأنه إتلاف لها وإفساد، وهذا ما لا يريده الشرع الحنيف، لذا يُعدُّ تسمير مال اليتيم وتنميته عن طريق التجارة، أو الزراعة، أو

أيّ تصرف يعود عليه بالنفع عن طريق التجارة، أو الزراعة، أو أيّ تصرف يعود عليه بالنفع والنماء عملاً راجحاً شرعاً. وهذا من التصرف الحسن الذي أقرّه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾^(٥٨)، وهو أيضاً من الإصلاح المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾^(٥٩).

فلا بد إذاً من رعاية الأصلح له إن لم يكن ذلك موجباً لإدخال الضرر على من يتصدّى للتصرف بمال اليتيم حسب قاعدة «لا ضرر ولا ضرار».

المرحلة الثالثة: تسليم أموال اليتامى:

لتسليم اليتامى أموالهم يلزم شرطان أساسيان، وهما:

الأول: البلوغ:

١ - يُعَلِّم وصول الصبيان والصبيات إلى سنّ البلوغ بإحدى

العلامات التالية:

* نَبَاتُ الشَّعْرِ الخشن على العانة - تحت البطن (على العورة).

* خروج المنيّ.

* إكمال ١٥ سنة قمرية في الذكر، وإكمال تسع سنوات

قمرية في البنت.

٢ - سائر علائم البلوغ التي ذُكرت - عدا سنّ البلوغ - متماثلة

في الأولاد والبنات.

٣ - البنت إذا حاضت ولم تعرف عمرها كم سنة، فالحيض

يكون من علامات البلوغ..^(٦٠).

(٥٨) سورة الأنعام: ١٥٢،

سورة الإسراء: ٣٤.

(٥٩) سورة البقرة: ٢٢٠.

(٦٠) انظر: العروة

الوثقى، السيد الزدي:

ج ١، ص ٥٦١. مستمسك

العروة الوثقى، السيد

محسن الحكيم: ج ٣،

ص ١٦٢. كتاب الطهارة

السيد أبو القاسم

الخوئي: ج ٦، ص ١٠١.

الثاني: الرشد:

وهو ضدّ السفه، والرشد هو: صلاح العقل ونضوجه، وقيل: الصلاح في العقل والدين. والمقصود هنا: حسن التصرف في المال ووضعه في مواضعه، وعدم التبذير فيه. ويلزم الارتباط بين هذين الشرطين فلا يكفي أحدهما دون الآخر، وذلك مستفاد من قول الله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا...﴾ (٦١).

اليتمة في الآيات الكريمة

كفل الإسلام المرأة كفالة كاملة فضمن لها حقوقها المالية، والاجتماعية، وجعلها تتصرف في أموالها بكامل الحرية والاختيار، والشريعة قد أولت يتامى النساء عناية أكثر، فكما عالجت مشكلة اليتامى الصغيرات من الناحيتين المادية والاجتماعية شأنها في ذلك شأن اليتامى الذكور، عالجت أيضًا مشكلة اليتيمات إذا بلغن سن الزواج، بعد أن كان المتعارف في العهد قبل الإسلام أن يتكفل أغلب الناس في الحجاز أمر اليتيمات، ثم يتزوجون بهنّ، ثم يمتلكون أموالهنّ، وربما ينكحوهنّ بدون صداق أو بصداق أقل من شأنهنّ، بل ربما يتركوهن لأدنى سبب أو كراهية بكل سهولة، ومن ثمّ لم يكونوا يعطونهنّ ما يليق بهنّ - كزوجات - من الاحترام والمكانة، فنزلت هذه الآية ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا

(٦١) سورة النساء: ٦.

تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٦٢﴾.

توصي الآية أولياء اليتيمات إذا أرادوا الزواج بهن أن يلاحظوا جانب العدل معهن، وإلا فليختاروا الأزواج من غيرهن كما عن الفراء (٦٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ جاء هذا الكلام بعد ما جاء في الآية السابقة من الحث على حفظ أموال اليتامى من التلف وعدم التفريط فيها، فجاءت هذه الآية لتنوّه بحق آخر من حقوقهن، وهذه المرّة يتعلّق باليتيمات خاصة.

إذا لم يمكنكم الزواج باليتيمات ومعاشرتهن على أساس من العدل والقسط فالأفضل أن تتركوا الزواج بهن، وتزوجوا بغيرهن من النساء تجنّباً لظلم اليتيمات والإجحاف بحقوقهن، والجور عليهن.

فالذي يستفاد من الآية ذاتها هو: إن الخطاب موجّه إلى أولياء اليتيمات اللاتي جاء الحث في الآية السابقة على حفظ أموالهن ضمن اليتامى.

ففي هذه الآية تعليم آخر ووصية أخرى بهن، ولكنها هذه المرّة تتعلّق بمسألة الزواج باليتيمات، وإن على أوليائهن أن يعاملوهنّ في مسألة الزواج على أساس من العدل والقسط كما يعاملونهنّ في مسألة المال، فعليهم أن يراعوا في أمر الزواج مصلحة اليتيمة، وإلا فمن الأحسن أن يدعوا الزواج بهن، ويختاروا الأزواج من غيرهن من النساء.

(٦٢) سورة النساء: ٣.

(٦٣) انظر: مجمع

البيان، الشيخ الطبرسي:

ج ٣، ص ٥ و ٦.

- أما الآية الثانية: وهي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (٦٤).

قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: «تجيب الآية الكريمة هذه على أسئلة وردت حول النساء من قبل المسلمين وبالأخص حول اليتامى منهن فتخاطب النبي ﷺ، وتبين له أن الله هو الذي يفتي في الأسئلة التي وجّهت إليك يا محمد ﷺ حول الأحكام الخاصة بحقوق النساء، فتقول: ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم...

وتضيف الآية: إن ما ورد في القرآن الكريم حول الفتيات اليتامى اللواتي كنتم تتصرفون في أموالهنّ، ولم تكونوا لتزوجوا بهنّ، ولم تدفعوا أموالهنّ إليهنّ لكي يتزوجن من آخرين، فإنه يجب على قسم آخر من أسئلتكم ويبيّن لكم قبح ما كنتم تعملون من ظلم بحق هؤلاء النسوة، وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء: ﴿اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ﴾.

ثم توصي الآية الكريمة بالأولاد الذكور الصغار الذين كانوا يُحرمون من الإرث وفق التقاليد الجاهلية، فتؤكد ضرورة رعاية حقوقهم، إذ تقول: ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ﴾، وتعود الآية فتكرّر التأكيد على حقوق اليتامى، فتذكر أن الله يوصيكم في أن تراعوا العدالة في تعاملكم مع اليتامى: ﴿وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾.

وفي الختام تجلب الآية الانتباه إلى أن أي عمل خير يصدر منكم ولا سيما إذا كان في حق اليتامى والمستضعفين - فإنه لا يخفى على الله - وإنكم ستنالون أجر ذلك في النهاية، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾^(٦٥).

وقال ابن كثير: «والمقصود أن الرجل إذا كان في حجره يتيمة يحلّ له تزوجها، فتارة يرغب في أن يتزوجها فأمره الله عزّ وجلّ أن يمهرها أسوة بمثالها من النساء، فإن لم يفعل فليعدل إلى غيرها من النساء فقد وسّع الله عليه، وهذا المعنى في الآية الأولى التي في أول السورة، وتارة لا يكون له فيها رغبة - لدمامتها عنده - فنهاه الله تعالى أن يعضلها عن الأزواج خشية أن يشركه في ماله الذي بينه وبينها»^(٦٦).

ومن ذلك يتضح أن اليتيمة كغيرها من النساء لها الحرية الكاملة في اختيار مَنْ تشاء من الأزواج، ولا تُمنع مهرها أو شيئاً منه كسائر النساء، إلا إذا كان ذلك عن رغبتها وإرادتها. ولا يجوز للولي أو غيره إكراهها على شيءٍ من ذلك.

ومن مجموع ما جاء في تفسير هاتين الآيتين يتضح لنا أن القرآن الكريم حرص على تكريم المرأة اليتيمة، ونُدّد بالمتجاوزين على حقوقها سواءً المالية أو الاجتماعية.

(٦٥) تفسير الأمل،
الشيخ ناصر مكارم
الشيرازي: ج ٣، ص ٤٧٥.
(٦٦) تفسير ابن كثير،
ابن كثير: ج ١، ص
٥٦١.

الخلاصة

أغلب الأيتام هم أبناء الشهداء، فوفاءً لآبائهم الذين ضحّوا بأنفسهم ودمائهم من أجل كرامتنا وعزّنا وديننا وبلادنا وأرواحنا توجّب علينا الحفاظ على أبناءهم الأيتام من الضياع والجوع والإحسان إليهم والمحافظة على ممتلكاتهم من أن تؤكل بالباطل.

حتى وإن لم يكن الأيتام من أولاد الشهداء يجب احتضانهم، فاليتيم سلاح ذو حدّين؛ إن احتضنه الصالحون صلّح وأصلح وفلح ونجح وفاد واستفاد، وإن احتضنه الشذاذ واللصوص وقطاع الطرق وشكّلوا من الأيتام عصابات سلب ونهب وخطف واغتيال، يفسدون في الأرض ويهلكون الحرث والنسل، فالنتيجة الوخيمة ترجع على المجتمع أجمع.

تصوّر يا ابن آدم لو متّ وعندك أطفالاً صغاراً لم يبلغوا الحلم، أترضى لهم الضياع؟! فتكفل يتيماً حرصاً على أطفالك من الضياع بعدك لأنه «كما تُدين تُدان»^(٦٧).

لهذه الأسباب وغيرها جاء الحث في القرآن الكريم، على الإحسان للأيتام وإكرامهم واحتضانهم ورعايتهم صغاراً ويافعين، وتربيتهم روحياً ونفسياً واجتماعياً واقتصادياً ليسهموا في بناء الإنسانية.

(٦٧) الكافي، الكليني:
ج ٢، ص ١٣٤.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط ٢ لسنة ١٩٨٣م، بيروت - لبنان.
٢. الجوهري - إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط: الرابعة - سنة الطبع: ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.
٣. الزبيدي، محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٤م، المطبعة: دار الفكر، بيروت، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
٤. الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مقاصد الشريعة - تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط: الخامسة، عام: ١٤٠٣ - ١٩٨٣م، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
٥. الكليني، الشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط: الخامسة، سنة الطبع: ١٣٦٣ هـ، المطبعة: دار الكتب الإسلامية - طهران.
٦. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.
٧. الراغب الاصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ط: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٤ هـ.
٨. القمي، علي بن إبراهيم القمي، تفسير، ط: الثالثة، الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - إيران.

٩. العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية - طهران
١٠. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، ط: الأولى - الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان
١١. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الناشر: مؤسسة الرسالة.
١٢. البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، مطبعة: بيروت - دار المعرفة، الناشر: دار المعرفة..
١٣. مكارم الشيرازي، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ط: الأولى - سنة الطبع: ١٤٢١، الناشر: مدرسة علي بن أبي طالب عليه السلام، قم المقدسة.
١٤. ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمرو، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، سنة الطبع: ١٤١٩ هـ، ط: الأولى، بيروت.
١٥. الأندلسي المعروف بـ (ابن سيده)، علي بن إسماعيل المخصص بتحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، الناشر: لجنة إحياء التراث العربي.
١٦. اليزدي محمد كاظم، العروة الوثقى، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط الأولى، ١٤١٧ هـ قم المقدسة.
١٧. الحكيم، السيد محسن، مستمسك العروة الوثقى، ط ١٤٠٤، الناشر: منشورات آية الله المرعشي النجفي، قم المقدسة.
١٨. الخوئي، أبو القاسم، كتاب الطهارة، ط: الثانية، ١٤١٠ هـ، المطبعة: العلمية، قم، الناشر: لطفي.

٧

المعالجات القرآنية للتطرف في المجال التربوي

الشيخ سلام عبد الحسن
باحث إسلامي

المقدمة

القرآن الكريم هو دستور الحياة وكتاب نور وعلم وهداية، ومنهج شامل لكل جوانب الحياة وما يحتاجه الإنسان من معرفة تحدّد له أطر العلاقة بربه ونفسه ومجتمعه، وهو كتاب تربية وإعداد سماوي للإنسان، فالله تعالى هو ربّ العالمين، وكلمة الربّ مشتقة من التربية، وهي تحمل العناية والرعاية والإصلاح والتأديب. وعليه، فإن الله الخالق تعالى ذكره هو المربّي والمؤدّب للإنسان من خلال الأنبياء عليهم السلام والرسالات السماوية التي تضمّنت أسمى القيم الأخلاقية وأرفعها التي ترتقي بالإنسان وتجعله مؤهلاً لمسؤولية خلافة الله في الأرض، وإلى هذا يشير رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»^(١)، ورسول الله صلى الله عليه وآله هو المربّي الأول لهذه الأمة من خلال القرآن الكريم. ولا أعتقد أن ديناً من الأديان السماوية أو مذهباً اجتماعياً قد صاحب الإنسان في مراحل حياته جميعها سوى الإسلام الذي هو رحمة من الله سبحانه وتعالى لعباده، فقد سائر الإنسان قبل ولادته وهو جنين في بطن أمه، ثم بعد ولادته، ثم استمر معه حتى يتجاوز مرحلة الطفولة، إذ وضع لتربيته وسلامته أسمى برامج التربية التي تخلق منه إنساناً متوازناً في سلوكه، ومتفاعلاً مع أسرته ومجتمعه، وفرداً صالحاً في المجتمع.

ويُعدُّ هذا المقال محاولة جادة للكشف عن أهم الأساليب القرآنية التي تربّي الإنسان على الأخلاق السامية وتبعث على تهذيب نفسه واستقامتها على الهدى.

(١) بحار الأنوار،
العلامة المجلسي: ج
١٦ ص ٢١٠.

ومن هنا فقد أنزل الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز منهاجاً تعليمياً يساعد الفرد على بناء ذاته والارتقاء بها إلى مرضات الله تعالى، وأرشده إلى ما يحقق ضبط النفس ومواجهة الأهواء والشهوات والأمراض الأخلاقية والنفسية والاجتماعية، كالحقد والحسد، والمنكر، والبغي، وغيرها من الأفعال والأقوال التي نهى الله عنها في كتابه الكريم.

فإذا استقام الإنسان كما أمره الله تعالى كان إنساناً متوازناً معتدلاً في سلوكه وأخلاقه وتربيته، وإذا أفرط أو فرط في حفظ هذه التعاليم أو أوغل فيها من دون رفق أصبح إنساناً متطرفاً في سلوكه وأفعاله وأقواله... وقد بنينا هذه الدراسة على مبحثين أساسيين:

المبحث الأول:

العبادات وآثارها التربوية في معالجة التطرف:

لا شك أن العبادات التي افترض الله تعالى على عباده تأديتها والإلتزام بها لا تخلو من أهداف، انطلاقاً من حكمة الله تعالى والمتعالية في التدبير والتشريع، وقد ننظر إلى حكمة التشريع وغاياته والمصالح المرجوة منه من زوايا متعددة، إلا أننا قد نغفل أحياناً النظر إلى الجانب التربوي الذي أراد الله تعالى تعزيره من خلال العبادة؛ لأن العبادة كلها ليست غاية بما هي حركات وأفعال، وإنما هي وسيلة للوصول إلى أهداف هذه العبادات، وهي الأخلاق التي بها يصبح الإنسان إنساناً من خلال حمل القيم الإسلامية، التي زرعت فيه ومن خلال العبادات والتشريعات نفسها أحياناً، ولا يخفى أن التطرف هو: انحراف الإنسان عن

فطرته وعن هدفه، وإن كان يقوم بالعبادة؛ لأن العبادة التي لا تأمر بمعروفٍ ولا تنهى عن منكرٍ ليست عبادة حقيقية، ولا تتجاوز عن كونها لقلقة لسان ومسقطه للتكليف الشرعي.

وعليه، لا بد للإنسان المؤمن، أن يعيد النظر في عبادته من خلال تحقيق أهداف العبادة حتى الوصول إلى مرتبة تتجاوز إسقاط التكليف، وتكون هي الفيصل في قبول هذه العبادة. ومن خلال هذا المبحث نسعى لبيان جزء من هذا الهدف والالتفاتة التي أشرنا إليها آنفاً من خلال تسليط الضوء على بعض المفردات العبادية، ومن الله التوفيق.

١ - الصلاة: وهي رأس العبادات وعمود الدين، وقربان المؤمن، ومعراج كل تقى، فقد ننظر إليها من زاوية معينة على أنها عبادة يراد من خلالها التواصل مع الله عز وجل وإظهار الخضوع والعبودية له، ولكن لو تأملنا في حكمة هذا التشريع وأبعاده أكثر لوجدنا أن الصلاة هي عبادة تربوية بامتياز؛ فهي تهذيب للنفس، وتطويع لها على طاعة الله، والإبتعاد عن المعاصي والموبقات الأخلاقية، قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(٢).

ذكر العلامة الطباطبائي في بيان هذه الآية: «وشفعه بالأمر بإقامة الصلاة التي هي خير العمل، وعلل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، والسياق يشهد أن المراد بهذا النهي ردع طبيعة العمل عن الفحشاء والمنكر بنحو الاقتضاء دون العلية التامة.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٥.

فلطبيعة هذا التوجه العبادي - إذ أتى به العبد وهو يكرره كل يوم خمس مرات ويداوم عليه وخاصة إذا زاول عليه في مجتمع صالح يؤتى فيه بمثل ما أتى به ويهتم فيه بما اهتم به - أن يردعه عن كل معصية كبيرة يستشعها الذوق الديني، كقتل النفس عدواناً، وأكل مال اليتيم ظلماً، والزنا، واللواط، وعن كل ما ينكره الطبع السليم والفترة المستقيمة ردعاً جامعاً بين التلقين والعمل^(٣). فمن خلال هذه الآية نستطيع القول: إن المولى سبحانه وتعالى يبين من بعد التلاوة، قيام الصلاة، وبيّن حقيقة الصلاة، وهي النهي عن الفحشاء والمنكر، وهذا تهذيب للسلوك وللنفس، وبما أن التطرف هو انحراف سلوكي أو مرض نفسي، فتعالج الصلاة هذه الحالة المرضية من الانحراف.

٢ - الصوم: وهذه العبادة يبين الله تعالى الغاية والهدف منها بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤).

والتقوى سلوك تربوي، ويكون التكريم والتمايز على أساسها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٥).

وقد ذكر في (مجمع البيان) في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، «أي: لكي تتقوا المعاصي بفعل الصوم عن الجبائي. وقيل: لتكونوا أتقياء بما لطف لكم في الصيام، فإنه أقوى الوسائل والوصل إلى الكف عن المعاصي»^(٦).

- (٣) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي: ج ١٦، ص ٦٩.
(٤) سورة البقرة: ١٨٣.
(٥) سورة الحجرات: ١٣.
(٦) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج ٢، ص ٦.

فالصوم عبادة روحية تربوية تهذيبية ليس المراد منها صيام البطون عن الطعام، وإن كان ذلك واجباً شرعياً وللجسد نصيبه من فوائد الصيام: «صوموا تصحوا»^(٧) - وإنما المطلوب صيام الجوارح عن الحرام، وإلى هذا الهدف تشير الأحاديث الشريفة الواردة عن النبي الأكرم ﷺ والأئمة الهداة عليهم السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحدهما، فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب، وعضوا أبصاركم عما حرم الله عليكم، ولا تنازعوا، ولا تحاسدوا، ولا تغتابوا، ولا تماروا، ولا تخالفوا، ولا تسابوا، ولا تشاتموا، ولا تظلموا، ولا تسافهوا، ولا تضاجروا، ولا تغفلوا عن ذكر الله»^(٨).

وقد أشار النبي الكريم في خطبة استقبال شهر رمضان إلى العديد من المضامين التربوية، التي لا بد أن تصاحب الصوم والتي تهدف إلى تربية الفرد والمجتمع على حد سواء، فقد ذكر ﷺ أن عبادة الصوم لا بد أن تكون منطلقاً لحسن الخلق «من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جواز على الصراط يوم تزل فيه الأقدام»^(٩)، وكذلك الصوم يعدُّ منطلقاً للإلتفات إلى الناس بالمحبة والتكافل الاجتماعي وتحسس آلام الآخرين «وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم»^(١٠).

إلى غير ذلك من الأبعاد التربوية التي تحفل بها عبادة الصوم. وبهذا تكون عبادة الصوم من العبادات المهمة في الشريعة ولها مقاصدها، حتى عبّر سبحانه في الآية الكريمة بـ ﴿لَعَلَّكُمْ

(٧) بحار الأنوار،

العلامة المجلسي: ج ٥٩،

ص ٢٦٧.

(٨) الكافي، الشيخ

الكليني: ج ٤، باب

آداب الصيام، ص ١٢٧.

(٩) وسائل الشيعة، الحر

العالمي: ج ١٠، ص ٣١٤.

(١٠) المصدر السابق:

ج ١٠، ص ٣١٣.

تَتَّقُونَ ﴿١﴾ أي: النتيجة من هذه العبادة التقوى، والتقوى سلوك أخلاقي وكذلك تعبير الإمام عليه السلام بصوم الجوارح، أي: السلوك، وتعبير الرسول صلى الله عليه وآله بأننا مدعوون لضيافة الله تعالى، وتسميته للشهر بشهر الله؛ لأهمية هذه العبادة وما تحويه من تربية أخلاقية يستطيع من خلالها الفرد والمجتمع تحقيق الطهارة والتهديب في نفوسهم، وإن وصف الشهر بالضيافة فيه دلالات تربوية، فإن كرم الضيافة يرتبط بالبيئات التي تمتلك فهماً معنوياً واجتماعياً للحياة، وتستلهم المواقف الأخلاقية، والمثل الإنسانية والدينية، وتؤمن بالقيم والفضائل، وبالثواب والعقاب، والحياة ما بعد الموت من وحي الشريعة.

ومن هنا يندر وجود ظاهرة الضيافة والكرم في البيئات المادية القائمة على الأنانية الفردية، والفهم المادي القاصر فيما يتصل بالإنسان والوجود.

ولا يفوتنا أن نقول: إن وجود الضيافة في أخلاق صفوة الخلق وأكثرهم بصيرة وأوفرهم رهافة وهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، هو مؤشر على ما في هذه الضيافة من قيم معنوية وإنسانية رفيعة.

ونستطيع القول: إن القرآن الكريم والشريعة جاءت لتعالج الانحراف السلوكي من الجذور، بالتربية والقيم الأخلاقية الصالحة، والصيام له دورٌ كبيرٌ في تحقيق وتعزيز ذلك.

٣ - الحج: إذا أخذنا عبادة الحج ودرسنا أبعادها التربوية، فإننا نجد أنها تستهدف الشخصية الإنسانية ببعديها الفردي والاجتماعي، وتتعاهدنا بالتربية انطلاقاً من أن الحج محطة

للرجوع إلى الله ومراجعة الذات، فالمناسك الواجبة في الحج بدءاً بالإحرام، ثم الطواف، ثم السعي، والرجم وغيرها، تريد للإنسان المسلم أن يخرج من كل ولاء أو تبعية أو عنصرية أو حزبية لغير الله تعالى، وأن يطوف داعياً ملبياً نداء الفطرة ونداء التوحيد، ثم تريد له أن يخرج من كبريائه وعلوه، وأن يتواضع لله عزّ وجلّ، ثم للناس الذين تجمعهم معهم وحدة الخلق ووحدة الدين، وتريد له هذه العبادة العظيمة أن يرجم شيطان نفسه ويتبرأ من كل الشياطين أينما وجدوا وحلّوا.

قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١١).

قال صاحب تفسير الأمل: «ينبغي أن تكون أجواء الحجّ ظاهرة من التمتعَات الجنسيّة، وكذلك من الذنوب، والجدال العقيم وأمثال ذلك؛ لأنها أجواء عباديّة تتطلّب الإخلاص، وترك اللذائذ الماديّة، وتقتبس روح الإنسان من ذلك المحيط الطاهر قوّة جديدة تسوقها إلى عالم آخر بعيداً عن عالم المادّة، وفي الوقت نفسه تقوي الألفة والاتحاد والاتفاق والأخوة بين المسلمين باجتناّب كل ما ينافي هذه الأمور»^(١٢).

ولا يخفى أن باب الحج من أوسع أبواب الفقه، والذي كتب فيه كثير من المؤلفات والموسوعات، وذلك لأهميته، فهو تربية للمجتمع ولل فرد، فالآية تشير إلى نبد الفسق والجدال، وتحث على التقوى والخير والتخلّي عن الطائفية والمذهبية والقومية والعنصرية.

(١١) سورة البقرة: ١٩٧.

(١٢) تفسير الأمل،

الشيخ مكارم الشيرازي:

ج ٢، ص ٥١.

ومن خلال هذه العبادة يكون التجمُّع على كلمة التوحيد ونستطيع أن نسمِّي هذه العبادة برسالة التوحيد السنوية، ونبذ الفرقة، فالتوحيد من المبادئ القرآنية الأصيلة، ومن خلالها نستطيع نبذ الخلافات والفرقة بين المجتمع، والعيش على الحبِّ والأخوة بدل القتل والتكفير والتخريب.

٤ - الزكاة والخمس: نصَّ القرآن الكريم على الغاية من إخراج الزكاة والخمس، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٣).

فتنظيف النفس من أدران الذنوب، والقضاء على سلبات النفس ونواقصها والتسامي بالمجتمع والفرد إلى الكمال هو الهدف الأهم للإسلام والغرض من تشريع الأحكام. فمن أحب أن يتخلَّق بأخلاق الله أنفق ما وهبه الله من الخيرات الفائضة. وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصدقة صدقة اللسان، قيل: يا رسول الله وما صدقة اللسان؟ قال: الشفاعة تفكُّ بها الأسير، وتحقن بها الدَّم، وتجرُّ بها المعروف إلى أخيك، وتدفع بها الكريهة» (١٤).

فصدقة اللسان هي الوساطة بين الناس، والسعي فيما يكون سبباً لإطفاء النائرة، وإصلاح ذات البين، وتركية النفس التي يستحق بها الإنسان الفلاح والجنان، تكون عن طريق مزج العلم بالعمل، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (١٥).

- (١٣) سورة التوبة: ١٠٣.
(١٤) بحار الأنوار،
العلامة المجلسي: ج ٧٣،
ص ٤٤.
(١٥) سورة الشمس: ٩.

إن «التزكية» ذات مداليل واسعة تشمل: تطهير الروح من الشرك، وتطهير النفس من الأخلاق الرذيلة، وتطهير العمل من الرياء، وتطهير الأموال والأبدان بإعطاء الزكاة والتصدق في سبيل الله. ومن خلال هذا العرض المجمع لبعض أهم العبادات الدينية تتبين متانة الأواصر التي تربط الدين بالتربية، والسمو بأخلاق المجتمع والفرد، ولا تختصر هذه العلاقة على العبادات المعهودة التوقيفية، كالصلاة، والصوم، والزكاة، بل الإسلام يوسّع دائرة العبادة حتى تشمل كل حركة الحياة، فكل عمل يسدي خدمة للبشرية يقوم به الإنسان امتثالاً لأمر الله سبحانه وابتغاء قربه ورضوانه، فهو عبادة، وكل عمل يتركه الإنسان امتثالاً لأمر الله سبحانه وإن لم يكن محرماً فهو عبادة. وبهذا يمكن توسيع دائرة العبادة إلى مفاصل الحياة اليومية ومفرداتها جميعاً تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٦).

(١٦) سورة الأنعام: ١٦٢.

فالعبادات في الإسلام هي مدارج الكمال المنشود، ولهذا أعطيت منزلة كبيرة في دين الله، فإذا لم توظف في تزكية قلب الإنسان وتكون سبباً في توثيق صلته بالله سبحانه وبالناس، فقد ضلّ ضلالاً مبيئاً، وترجع هذه المعالجات التربوية إلى كتاب الله وسنة نبيه الكريم، لأنه الدستور التربوي والأخلاقي لإصلاح الإنسان والقاعدة الرئيسة للتربية وتهذيب النفس والمجتمع.

فالقرآن الكريم يعالج أصول وجذور التطرف الكامنة في السلوك من خلال غرس القيم الأخلاقية التي تحملها هذه العبادات الروحانية.

المبحث الثاني:

الأساليب القرآنية في معالجة التطرف التربوي:

نجد في القرآن الكريم الأساليب التربوية الكثيرة والمتعددة الأنماط والأشكال والتي تكون من العلاجات القرآنية للأمراض الاجتماعية والفردية، مثل التطرف والتعصب المذهبي والعنف والإرهاب، وبذلك تتحقق سعادة الأمة واستقرار المجتمعات الإنسانية بأكملها. ومن الأساليب والمعالجات القرآنية، هي:

١ - أسلوب المعالجة التربوية بالوعظ والإرشاد:

من خلال التأمل في آيات الذكر الحكيم نستخلص أن الوعظ والإرشاد مهمة الأنبياء عليهم السلام تجاه أممهم، وبه يهدفون إلى تغيير نفوسهم ليغير الله ما بهم من فساد، وبالوعظ والتوجيه قدم الأنبياء عليهم السلام العلاج الملائم لإرشاد النفوس، وبينوا أقرب الطرق للتأثير على القلوب، وقد سلك الأنبياء عليهم السلام جميعاً هذا الأسلوب للوصول إلى هذه الغاية، وقد تنوعت أساليبهم في الوعظ والإرشاد تبعاً لاختلاف الأمراض الاجتماعية وتنوع الأحوال والظروف والأسباب.

والوعظ: بمعنى النصح والتذكير بالعواقب سواء بالاستمالة والترغيب أو بالزجر والترهيب، بحيث تلين القلوب، ويؤثر في النفوس، ويكبح النفوس، المتمردة، ويزيد النفوس المهذبة إيماناً وهداية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١٧)، وقوله تعالى: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾^(١٨).

(١٧) سورة النحل: ٩٠.

(١٨) سورة الأعلى: ١٠.

فالوعظ هو النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرقُّ له القلب ويبعث على العمل^(١٩).

والإرشاد: هو الهداية والاستقامة على طريق الحق، بمعنى الحثِّ على الخير والتحذير من الشر، قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٢٠). ويمكن حصر أسلوب الوعظ والإرشاد في القرآن الكريم في قسمين:

أ- الترغيب: ويقصد به كلُّ ما يشوق العباد إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه وزرع الحبِّ عند الإنسان، وهذا هو نهج الرسول الكريم ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(٢١).

وهناك آيات كثيرة في القرآن تحثُّ على الترغيب.

ب- الترهيب: وهو يعني كلُّ ما من شأنه حمل الإنسان على البُعد عن المعاصي، صغيرها وكبيرها، فضلاً عن اقترافها والتردِّي فيها، والأصل فيه أن يكون بالتخويف من غضب الله سبحانه وعذابه في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٢٢).

والترهيب والوعيد يشمل نعم الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(٢٣).

إنَّ الدعوة إلى الله سبحانه مرحلة تأتي بعد البشارة والإنذار؛ لأنَّ البشارة والإنذار وسيلة لتهيئة الأفراد لقبول الحقِّ، فعندما تهياً

(١٩) انظر: كتاب العين،

الخليل أحمد الفراهيدي:

ج ٢، ص ٢٢٨.

(٢٠) سورة آل عمران:

١٣٨.

(٢١) سورة الإسراء: ٩.

(٢٢) سورة الإسراء: ١٠.

(٢٣) سورة طه: ١٢٤.

هذه الأرضية عن طريق الترغيب والترهيب، تبدأ مرحلة الدَّعوة إلى الله سبحانه، وستكون مؤثرة في هذه الحالة فقط^(٢٤).

فالترغيب والترهيب أسلوب لحفظ توازن الإنسان واعتدال سلوكه وثبوته على نهج الاستقامة التي تبعد بالإنسان عن التطرف في السلوك التربوي.

٢ - أسلوب المعالجة التربوية بالقصة القرآنية:

تناولت القصة القرآنية مختلف نشاطات الحياة، وكذلك مختلف الميول والمشاعر والأحاسيس الإنسانية، وإنها تصوّر نواحي الحياة المختلفة بصدق وواقعية، فتعرض الأشخاص وحركاتهم وأخلاقهم وأفكارهم واتجاهاتهم، فقد حوى القرآن كثيراً من قصص السابقين، فذكر معاشهم، ووصف حياتهم، وبيّن عقائدهم.

والقصة في القرآن لم يقصد بها التسلية والإمتاع أو ضبط بعض التواريخ والأحداث فقط، وإنما المقصود منها التذكير، والعبر والدروس والاتعاظ من الناحية الأخلاقية والتربوية والاجتماعية وسائر النواحي الأخرى الحياتية.

وقد قصّ علينا القرآن الكريم بعضاً من سير الأنبياء والصالحين في تربية أولادهم وأهلهم، مثل آدم، وإبراهيم، وإسماعيل، ويعقوب، ولقمان، وموسى، وهارون عليهم السلام وغيرهم.

ونعرض لبعض هذه المناذج:

أ- قصة آدم عليه السلام: التي تقصّ علينا نشأة الخلق، ومكانة آدم بين الأنبياء عليهم السلام وأبناء آدم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

(٢٤) انظر: تفسير

الأمثل، الشيخ مكارم

الشيرازي: ج ١٣، ص ٢٩٨.

اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ
وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾.

قال تعالى مبيناً قصّة هابيل وقايل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ
بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ
لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٦﴾.

وبين كيفية تعامل المجتمع مع أبنائه وكيف يعاقب المسيء
ويثيب المحسن.

ثم ذكر أبناء آدم وما حدث مع أبيهم، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ
لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا
لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ
إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾.

ب- قصة إبراهيم عليه السلام: فقد دعا الله سبحانه أن يرزقه مولوداً
يكون من الصالحين، قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٨﴾،
وبعدما استجاب الله له ورزقه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، قام بتربيتهما
بأحسن أساليب التربية، وأنبتهما نباتاً حسناً، حتى اختارهما الله
للنبوة، وجعل الله في ذرية إبراهيم النبوة والكتاب بعد نوح عليه السلام،
فكان أكثر الأنبياء من صلب إسحاق عليه السلام، وكان سيد الأنبياء
والمرسلين من صلب إسماعيل عليه السلام.

وقصة رؤيا إبراهيم عليه السلام تدلّ على أن إبراهيم عليه السلام جعل ابنه
إسماعيل عليه السلام طائعاً صابراً بحيث لا يسعه إلا التسليم لأمر الله تعالى
ولو أمر الله بذبحه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي

(٢٥) سورة البقرة:

٣٤ - ٣٥.

(٢٦) سورة المائدة: ٢٧.

(٢٧) سورة الأعراف: ٢٧.

(٢٨) سورة الصافات:

١٠٠.

أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٩﴾.

فهل هناك تربية أعظم من هذه التربية إذ عرض على ابنه رؤياه التي يأمره الله فيها بذبح ولده، ويستجيب هذا الابن الصابر ويسلم لأمر الله تعالى ويقول: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. وهذا ينبأ عن تربية عظيمة ناصحة قيّمة.

ت- قصة إسماعيل عليه السلام في تربية أهله وأولاده: قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ (٣٠)، فالأمر بالصلاة والزكاة مهم جداً في التربية؛ لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتزكي الإنسان من الدنس والخطايا، وإن الصلاة سبب لطهارة جسم الإنسان ولباسه وبيته، ويتضح ذلك في شروط مقدمات الصلاة. والزكاة تطهر مال الإنسان وتنميته حتى يكون حلالاً طيباً، ثم يتغذى بالحلال وينبت به نباتاً حسناً، حتى إذا عمل صالحاً تقبل الله منه، وإذا دعا الله استجاب له، ولذلك أكد القرآن على أكل الطيبات والطعام الحلال الطيب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً﴾ (٣١).

(٢٩) سورة الصافات:

١٠٢.

(٣٠) سورة مريم: ٥٥.

(٣١) سورة البقرة: ١٦٨.

(٣٢) سورة يوسف: ٤.

ث- قصة يعقوب عليه السلام: وقوة العلاقة بين الأب والابن التي تصل قوتها إلى أن يخبر الطفل والده بكل شيء يحدث له، حتى على مستوى الرؤيا والأحلام التي يراها الصغير في منامه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنَّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (٣٢).

وهذه العلاقة تفتح آفاق الحوار بين الأب والابن، مما يعني

اطلاع الأب على كل المستجدات التي تطرأ في حياة ابنه، بحيث تسهل له علمية التعامل مع هذه المستجدات بحسب طبيعتها في الوقت المناسب.

وكذلك يوصي أولاده في اللحظة الأخيرة بتوحيد الله ولم يوص بأمواله ولا بشيء آخر، قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣٣).

ج- قصة لقمان عليه السلام في وصيته لابنه: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ... يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ... وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (٣٤).

أول ما بدأ به لقمان عليه السلام النهي عن الشرك والدعوى إلى التوحيد، ثم انتقل من تعليمه أصل العقيدة وهي التوحيد إلى العمل بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم حذره من الكبر والعجب، وأمره في القصد، أي: التوسط والاعتدال والاتزان.

ح- قصة موسى عليه السلام وهارون وما كان من أمرهما مع فرعون: قال تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (٣٥). فتبين لنا القصة كيفية التعامل مع

(٣٣) سورة البقرة: ١٣٣.

(٣٤) سورة لقمان:

١٣-١٧-١٨-١٩.

(٣٥) سورة طه:

٤٢-٤٣.

الطغاة في التبليغ، والقول اللين الحسن، ولا يكون الخطاب بلغة التهديد والتعصب والتكفير، بل بإلقاء الحجّة والبرهان، قال تعالى:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٣٦).

٣ - أسلوب المعالجة التربوية بالمثل في القرآن:

يؤدي المثل دوره التربوي في شخصية الإنسان؛ لما يشتمل عليه من دقة تصويرية وإبراز للمعقول في صورة المحسوس بحيث تكون نسبته إلى العقل كنسبة المحسوس إلى الحس، قال تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٧).

وهذا المثل يبين عملية الإنفاق في سبيل الله وكيف يُضاعف هذه الإنفاق للمؤمن، وأما عمل الكافر، فيقول تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣٨)، فهو يشبه نفقة الكفار بحرث لهم هبت عليه ريح فاستأصلته من جذوره ولم تبق منه شيئاً.

ومثال آخر عن المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ﴾ (٣٩)، وهذا المثل يبين حقيقة المؤمن وأنه لا تغرّه مظاهر الحياة الدنيا.

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٤٠)، وهو مثل يوضح حقيقة المنافق، وأنه يعيش

(٣٦) سورة طه: ٤٤.

(٣٧) سورة البقرة: ٢٦١.

(٣٨) سورة آل عمران: ١١٧.

(٣٩) سورة التحريم: ١١.

(٤٠) سورة البقرة: ١٧.

بالإيمان ظاهراً إلا أنه صنع بنفاقه حجاباً بينه وبين نور الهدى، وهكذا يقوم المثل بدوره في التربية والتمسك بالقيم الرفيعة على قدر الطاقة البشرية فيستنزل المعاني الصعبة ويجعلها في متناول العقل الإنساني، وذلك ببيان معجز وترتيب عجيب، ومن المعلوم أن الإنسان يتفاعل مع المثل، ولكل القوميات والأديان أمثال سائرة يستعبرونها في كلامهم لما تحمله من إيجاز وبلاغة وإيصال المطلوب، وعملية التربية تعتمد على تحريك مكان التأثير في النفس البشرية، والمثل يحرك تلك المكان ويفعلها.

٤ - أسلوب المعالجة التربوية بالاستعراض التاريخي في

القرآن:

إن التاريخ للأمة بمثابة الذاكرة، يمدّ الأمم بالعبرة والتجربة في شؤون الحياة، وتدلّها على أصول التمكين وقواعد البقاء والإرتقاء، وله دورٌ واسعٌ في التربية وتوجيه الأفراد والمجتمع، والأمة الواعية هي التي تستفيد من تاريخها وتعالج مشاكلها وأخطائها على ضوء الماضي وتحاول أن تربط الحوادث والوقائع بأسبابها وعللها الدينية والأخلاقية، ومن هنا كان الغرض من سياق التاريخ في القرآن هو تربية النفوس الإنسانية، وليس الغرض سرد الأحداث التاريخية، والمهم تفسير تلك الأحداث والتقويم لها، وبهذا يمكن القول: إن درس التاريخ في حقيقته درس في التربية وإن تفسير التاريخ ولا سيما الأحداث التي وردت في القرآن الكريم أمر ذو أهمية بالغة في تكوين الأمة، ففي تاريخ الأنبياء في القرآن سجلٌ حافلٌ لكل من يريد أن يستقيم على طريق الحق

ويهتدي على المنهج الأقوم سواء أكان في توجّهه إلى خالقه بالعبادة، أم توجّهه إلى إقامة مجتمع فاضل بالقيم الرفيعة والأخلاق العالية، كما في سنة الاختلاف والتدافع، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾^(٤١)، فيكون الاختلاف والتدافع من السنن الكونية الإلهية، كما في قضية جالوت وطالوت إذ غلبت فئة قليلة مؤمنة قاتلت في سبيل الله، وأخرى كافرة كثيرة، فأيد الله المؤمنين على قتلهم وخذل عدوهم بالرغم من كثرة العدد والعدة.

وهذا درس في التربية بين أثر الإيمان في تثبيت القلوب واستنهاض العزائم والإقدام واستنزال النصر من الله العزيز الحكيم، وكذلك أمر الله الناس بالسير في الأرض حيث مواطن الأمم السابقة لينظروا ما حدث لهم ويتأكدوا من سنة الله الخالدة في خلقه ويعرفوا عاقبة المكذبين المشركين، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلْهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾^(٤٢)، وفي هذه الآيات تربية للنفس ورفع الحزن عنها والتحلي بالصبر والإيمان والثبات، و تبين أن الظلم لا دوام له وأن الظلمة إلى زوال.

(٤١) سورة البقرة: ٢٥١

(٤٢) سورة آل عمران:

١٣٧-١٤٢.

وقد ذكر الشهيد الصدر رحمته: «أن السنة التاريخية مطردة ليست علاقة عشوائية... وإنما هي علاقة ذات طابع موضوعي لا تختلف في الحالات الاعتيادية التي تجري فيها الطبيعة والكون على السنن العامة»^(٤٣).

٥ - أسلوب المعالجة التربوية بالقدوة في القرآن:

إن القدوة الحسنة من أهم الأسس في التربية الخلقية، وهذا ما فعله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حين قام بتنفيذ كل ما في القرآن وتطبيقه تطبيقاً عملياً في حياته الشخصية وفي علاقته مع من حوله من الناس، وقد جاء التوبيخ والذم من الله سبحانه لمن يخالف قوله فعلة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٤٤)، وقوله تعالى في ذم بني إسرائيل: ﴿آتَاكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْيَهُودُ أَنْ يَقُولُوا سُبْحَانَ اللَّهِ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ﴾^(٤٥).

ولابد من كل داعية إلى الحق والفضيلة أن يجمع بين العلم والعمل؛ ليتأثر الناس بسلوكهم وثبات أخلاقهم فيكونوا مثلاً أعلى للناس في حفظ القيم الإسلامية والإنسانية، فالناس لا يرون قدوة طيبة إلا سارعوا إلى الالتفاف حولها «لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله أعظم قدوة للبشرية، والرابط بين المثل الأعلى الإلهي وبين البشر في تاريخها الطويل، وكان مربيًا وهاديًا بسلوكه قبل أن يكون بالكلام»^(٤٦)، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٤٧).

(٤٣) المدرسة القرآنية،

السيد محمد باقر الصدر،

الدرس الخامس: ص ٥٥.

(٤٤) سورة الصف:

٣-٢.

(٤٥) سورة البقرة: ٤٤.

(٤٦) انظر: المدرسة

القرآنية، السيد محمد

باقر الصدر: ص

١٥٢-١٥٣.

(٤٧) سورة الأحزاب:

٢١.

والإقتداء بالرسول ﷺ ليس مختصاً بزمانٍ أو بأمةٍ أو مذهبٍ، بل هو قدوة لكل الأزمنة ولكل الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٨).

ويرى الإسلام أن القدوة من أساليب التربية، فلا بد للطفل من قدوة في أسرته، لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية، ولا بد للناس من قدوة تتجسد فيها المبادئ والقيم والأخلاق لتزرعها في الرعية، وما تعانیه مجتمعاتنا من التحلل وعدم الالتزام، والفوضى جاء نتيجة فقدان القدوة والمثل الأعلى، الذي تتجلى فيه المبادئ الإسلامية بعيداً عن المصالح الشخصية والقبلية وإلا لم يكن أهلاً للقدوة والمثل الأعلى، وخير قدوة يقتدي بها الإنسان هم أهل البيت ﷺ إذ كانوا يمثلون صفات الله تعالى بأبهي تجليها وكمالها.

(٤٨) سورة سبأ: ٢٨.

النتيجة:

- ١ - إن القرآن الكريم أفضل المناهج التربوية للخلاص من هذه الظاهرة الخطيرة، وهي ظاهرة التطرف التربوي.
- ٢ - إن النهج القرآني يُعدُّ نهجاً متوازناً ومستقيماً في معالجاته المرتبطة في السلوك البشري وتحقيق السعادة والأمان للأمة، إذ جمع بين التأصيل والبناء الذاتي، والمعاملة مع الآخر، والحفاظ على الفرد والمجتمع من المتطرفين، ولذلك سنّ التشريعات والأنظمة التي تكفل حفظ الأمن ومعالجة ما قد يعتري السلوك البشري من اعتلال أو انحراف.

٣- إن المناهج التربوية القرآنية تعالج التطرّف إن كان انحرافاً عن فطرة، أو عن اكتساب من بيئة وردود أفعال، أو كليهما، فإن المنهج القرآني شاملٌ لها جميعاً.

٤- القصص القرآنية ليست وسيلة للسرد واللغو، وإنما هي طريقة للوعظ والإرشاد، وتعزيز القيم الأخلاقية، كالعفة والعدالة والإحسان والصبر والصدق.

٥- إن التربية القرآنية هي التي تخلص الإنسان من الأمراض النفسية والخلقية والاجتماعية، من خلال المعتقدات والعبادات والأخلاق، وهذه التربية تعدُّ علاجاً وقائياً للتطرّف إذ يقوم بتجفيف منابعه، ويزرع التربية والأخلاق القرآنية في الفرد والمجتمع.

٦- من خلال هذا المقال قدّمنا فكرة مبسّطة عن الوقاية من التطرّف التربوي، ووضعنا أهم العلاجات لهذا المرض الخطير الذي يصيب مجتمعنا اليوم مع شديد الأسف، وذلك لابتعادنا عن النهج القرآني والسيرة الشريفة، وهنا لا يسعني إلا القول بضرورة الرجوع إلى هذا النهج الأصيل، النهج الإنساني، الذي نحن بحاجة ماسّة إليه لحلحلة مشاكلنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وعلينا أن نقرأ هذه النهج قراءة واعية بلا تحميل أفكار مسبّقة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، دمشق ١٩٧٩ م.
٢. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار الكتاب، بيروت، ١٤٢٢ هـ.
٣. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، قم إيران، ١٩٨٨ م، ط ٣.
٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان، ١٤٠٣ هـ، ط ٣.
٥. النوري، ميرزا حسين، مستدرک الوسائل، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤٠٨ هـ، ط ١.
٦. الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، دار الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، ١٤٢٨ هـ، ط ٤.
٧. الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٣٠ هـ.
٨. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، ١٤١١ هـ، ط ١.
٩. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٩٩٥ م.
١٠. الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، المكتب الإسلامية، دمشق سوريا، ١٩٩٥ م.
١١. الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث، بيروت لبنان، ١٩٨٥ م، ط ٤.

١٢. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دفتر نشر كتاب، إيران، ١٤٠٤ هـ، ط ٢.
١٣. مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث، بيروت لبنان، ٢٠٠٢ م، ط ١.
١٤. محمد فاجر، قواعد التفسير، مركز التحقيقات والدراسات العلمية إيران طهران، ٢٠٠٧ م، ط ١.
١٥. رضائي، محمد علي، تعريب قاسم البيضاني، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي، إيران - قم، ١٤٣٧ هـ، ط ٤.

٨

أساسيات المواجهة الفكرية
والعملية بين الإسلام والكفر
دروس من سورة الشعراء

سميرة علي محمد
باحثة إسلامية

المقدمة

إنّ الحياة الإنسانية قائمة على أساس الصراع بين الحقّ والباطل، وبين أولياء الله تعالى وأولياء الشيطان، وبين الاستقامة والانحراف، وبين الفضيلة والرذيلة. ولا ينتهي الصراع بين الطرفين إلا بذوبان أحدهما في الآخر، وبما أنّ الطرف الأول يستمدّ العون من الله تعالى فإنّ مصيره العلو والارتفاع والانتصار والنجاح، ومصير الآخر هو الهبوط والهزيمة والفشل.

الكفّار لا يرضون من الإسلام أن يكون له كيان مستقلّ، ولا يطلبون منّا أن نكفّ عن طرح متبنيّاتنا الإسلامية، ولا يطلبون منّا أن ننزوي عن الميدان، ولكن يطلبون منّا أن نعود إلى ملتهم، وأن ندوب في ثقافتهم، ونندمج مع كياناتهم، فقد تغيّرت أهدافهم المعلنة وغير المعلنة، فإذا كانوا يكتفون من الإسلام بأن يكون عبارة عن منهج لتكوين علاقة فردية بين الإنسان وخالقه، فهم الآن - وبعد أن أصبح الإسلام قوة كبرى - لا يريدون استمرار العلاقة الفردية وبقائها بين الإنسان وخالقه؛ لأنّ هذه العلاقة ستكون مقدّمة لإعداد العدّة والقوّة لكي يتّخذ المسلمون موقعهم الحقيقي في قيادة البشرية والتمهيد للدولة الإسلامية العالمية التي يقود زمامها المهدي المنتظر عليه السلام.

التوحيد أساس المفاصلة والجهاد:

إنّ إعلان كلمة (لا إله إلا الله) يفهمها الكفّار والطواغيت أنّها الثورة ضدّ كلّ أنواع الجاهلية والظلم والانحراف، وإذا فقدت هذه الكلمة العظيمة مدلولها الحقيقي لدى أغلبية المسلمين

ولاسيما بعد سيطرة الكفار والطواغيت على بلادنا الإسلامية في بداية هذا القرن، ستعود الجاهلية والاستعباد من قبل الدول الكبرى للمسلمين.

فإذا كان الكفار والطواغيت يرون أن الحول والقوة بأيديهم، فإن (لا إله إلا الله) تعني: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وإذا كانوا يرون أن الضرر والنفع بأيديهم، فإن (لا إله إلا الله) تعني: لا ضار ولا نافع إلا بإذن الله.

وإذا كانوا يرون أنهم يدخلون الخشية والخوف في قلوبنا، فإن (لا إله إلا الله) تعني: لا خشية ولا خوف إلا من الله.

وإذا كانوا يرون أنهم المشرعون، فإن (لا إله إلا الله) تعني: لا مشرع إلا الله.

وإذا كانوا يرون أنهم الحكام على الناس، فإن (لا إله إلا الله) تعني: لا حاكم إلا الله.

وإذا كانوا يرون أن الأرض ملك لهم بخيراتها ومعادنها، فإن (لا إله إلا الله) تعني: لا مالك إلا الله.

فالمعركة إذاً قائمة ما دمنا مع الله وما داموا مع الشيطان، ولا يمكن الالتقاء في منتصف الطريق إذ لا يوجد برزخ بين التوحيد والشرك، ولا يتحقق التوحيد المحض إلا بنفي الآلهة جميعها غير الله تعالى والتخلص من جميع الولاءات لغيره سبحانه.

مبادئ المواجهة:

بعد الصحوة الإسلامية وظهور الإسلام كقوة عالمية، وبعد اتحاد جميع القوى الكافرة لمنازلة الإسلام ومطاردته والقضاء

عليه، علينا أن نكون على حذر دائم، وجهاد دائم لكي تبقى راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) خفاقة في أرجاء الأرض، وأن نعدّ العدة الماديّة والمعنويّة لنخوض الصراع في جميع ميادينه.

١ - ميدان النفس والفكر.

٢ - ميدان الحضارة والنظم.

فعلينا أن نعمل ونبذل قصارى جهدنا لنؤدّي ما علينا من مسؤولية شرعية، لكي نفوز برضوان الله تعالى، ولا نفكر بالنصر المادّي فقط، وأن لا نفكر بالربح والخسارة، فالذي يؤدّي واجبه الشرعي هو الذي ربح التجارة الحقيقية مع الله تعالى.

إن حساب الربح والخسارة الظاهريّة والماديّة والذاتية يصلح للتجارة، ولكنّه لا يصلح للعقيدة والمنهج الربّاني، فالعقيدة نعتنقها لذاتها، والمنهج الربّاني ننتمي إليه لذاته، وكلّ منهما يحمل جزاءه في ذاته.

وعلى أن لا نقصر النصر والنجاح على صورته الظاهرية المعهودة لدى أغلب الناس، وإنّما نترقى إلى صورته الحقيقية، وهي تقرير مبادئ الإسلام وقيمه في الحياة، وأداء المسؤولية الشرعية، فهي النصر الحقيقي، فالإسلام منتصر ما دمنا نحمله عقيدة ونحمله منهجاً ونحمله سلوكاً.

ولهذا الصراع قياداته وأفراده، وله أساليبه ووسائله، ولكلّ طرفٍ إمكانات وطاقت وخطط وبرامج، لها دور مؤثر في نتائج الصراع، فإذا ضعف أهل الحقّ عن أداء مسؤوليتهم ستلحقهم الهزيمة ولو مؤقتاً ويبقى الحقّ كمفاهيم وقيم شامخاً بغض النظر

عن قوّة أو ضعف حامله، ويبقى الباطل متنكساً وإن انتصر ظاهراً بانتصار أفراده.

وفي هذه المقالة اخترت سورة الشعراء، التي تطرقت إلى أساليب المواجهة بين أئمة الحقّ وأئمة الباطل، إذ تطرقت إلى سيرة بعض الأنبياء عليهم السلام وسيرة الطواغيت في عهدهم، فكان الفوز والنجاح والغلبة للحقّ وقادته، وكانت الهزيمة والفشل من نصيب الباطل وقادته وأتباعه.

وفيما يلي نستعرض أساسيات المواجهة الفكرية والسياسية ابتداءً بالمثل الأعلى والمثل الهابط، وانتهاءً بمصير الحقّ والباطل.

١- المثل الأعلى والمثل الهابط

المثل أو المبدأ الذي يرتبط به الإنسان ينسجم مع مستوى عقله وروحه، فإذا كان ذا عقل سليم وروح طيبة، فإنه سيتوجه إلى خالقه الواحد الأحد بفطرته السليمة، فالله كما جاء في لسان نبيّ الله موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾^(١). وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

والله تعالى هو المثل الأعلى والمبدأ الأول بلا أول قبله، وهذا ما جاء على لسان نبي الله نوح عليه السلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٣).

(١) سورة الشعراء: ٢٤.

(٢) سورة الشعراء: ٢٨.

(٣) سورة الشعراء: ٧٧.

فالمثل الأعلى لأصحاب الحق هو الحق المطلق الخالق لكل شيء والمهيمن على كل شيء، والمتصرف بالإنسان، فهو الخالق، والمطعم، والساقى، والشافي، والمحيي، والمميت، والهادي والغافر، وهو الذي يمنح أتباعه القوة ليتوجهوا إليه ويوجهوا الآخرين إليه.

أما المثل أو المبدأ الذي يرتبط به أصحاب الباطل، فهو مثل ومبدأ هابط ينسجم مع مستوياتهم العقلية الهابطة، وهم يستشعرون هبوطهم، ومع ذلك يصرون على التوجه إليها مع اعترافهم بأنها أصنام، وهذا هو القمة في الهبوط، ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾^(٤).

والمثل الهابط عدم حقيقي لا يسمع ولا يتفاعل مع عابديه، ولا يملك لهم نفعاً أو ضراً، ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾^(٥).

والمثل الهابط يتوجه إليه الإنسان الهابط بلا وعي ولا عقل ولا علم، وإنما يتوجه إليه من منطلق التقليد الجامد الذي يسلب العقل والإرادة ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٦).

والمثل والمبدأ الهابط قد يكون صنماً بشرياً أصابه الغرور، ولكنه سرعان ما ينتابه الضعف والشعور بالهبوط، فيستشعر الضعف فيعود إلى أصله وهو المحدودية والضعف، لذا يخاطب من دونه ويتنزل لهم ويستشيرهم، كما ورد على لسان فرعون في القرآن الكريم: ﴿قَالَ لئن اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي...﴾^(٧).

وبعد غروره يعود ليقول كما ورد في القرآن الكريم على

(٤) سورة الشعراء: ٧١.

(٥) سورة الشعراء: ٧٢.

٧٣.

(٦) سورة الشعراء: ٧٤.

(٧) سورة الشعراء: ٢٩.

لسانه: ﴿قَالَ لِلْمَلَآءِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾^(٨).

فقد نسي نفسه بعد ادعائه الألوهية، عاد يخوف أتباعه من فقدانهم لامتيازات ومغريات هابطة تتعلق بالمصالح المادية الشخصية كفقدان الأرض.

ويبقى المثل والمبدأ غير الإلهي هابطاً مهما تجبر وتكبر صاحبه، وهو حال الطغاة في كل زمان، فبعد تكبرهم وتجبرهم على شعوبهم، يعودون إليهم حينما يشعرون بالضعف، ليخدعهم مرة أخرى بالتزلف والتقرب إليهم.

٢ - عزّة المثل الأعلى ورحمته

لو تتبعنا الآيات القرآنية التي تشير إلى الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل لوجدنا أنها تتطرق إلى دعوة أهل الحق لأهل الباطل ليعودوا إلى المثل الأعلى، ويتبعوا إرشاداته وتعاليمه وأوامره، فيقابلوهم بالسخرية، والتكذيب، والتهديد، ثم تتطرق إلى المصير الأسود لهم وهو العذاب والدمار، ثم تختم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^(٩).

فكلّ مقطع للصراع ينتهي بهذه الآية، التي تكررت سبع مرّات، لإثبات العزّة للمثل الأعلى وإثبات الرّحمة له، فهو «القادر الذي لا يعجز والغالب الذي لا يغلب، الرحيم أي: المنعم على عباده بأنواع النعم»^(١٠).

والمراد من ذلك: أنّ المثل الأعلى المتّصف بالعزّة يتّصف بالرّحمة على عباده، فهو يريد لهم الهداية التي تنقذهم من القلق

(٨) سورة الشعراء: ٣٤ -

٣٥

(٩) سورة الشعراء: ٩.

(١٠) تفسير مجمع

البيان، الشيخ الطبرسي:

ج ٤، ص ١٨٤.

والضياع والانحراف الفكري والسلوكي، ولم يعاقب البشرية إلا بعد أن يرسل لهم الرسل والأنبياء عليهم السلام.

بينما المثل الهابط ضعيفٌ وذليلٌ في نفسه، وعزيزٌ على الآخرين يهددهم ويقتلهم، وهذا التهديد والقتل يُنبئ عن عجزٍ وضعفٍ يلتجأ إليه حينما يفتقد الوسائل العلمية والأساليب الفكرية لإقناع أتباعه.

والمثل الهابط المتمثل بطواغيت الأرض وفي مقدمتهم الدول الكبرى التي تتحكم بنفوس الشعوب وأموالها ومقدراتها، مثل هابطة خاوية ذليلة أمام مقاومة الشعوب، فلا تنفعهم أساطيلهم وإمكاناتهم المادية والعسكرية والمخابراتية إن تسلحت الشعوب بالإيمان، والوعي، والمقاومة.

٣- الرعاية والمعونة الإلهية

إن الله تعالى هو المحور الأعلى الذي ينطلق منه الإنسان في حركته لإصلاح الواقع، وهو المنتهى الذي ينتهي إليه، وهو الواضع للفكر المراد إصلاح الواقع به، فكل شيء منه وإليه، ويبقى الإنسان ضعيفاً ومفتقراً إلى الله تعالى في كل حين، وفي الظروف جميعها اليسيرة والعسيرة، فهو بحاجة إليه في حال الانتكاسة الظاهرية بغلبة الباطل المؤقتة، وهو بحاجة إليه في حال الانتصار وانتكاسة الباطل، وهو بحاجة إليه في استعمال الوسائل والأساليب الموصلة للهدف، إذاً يحتاجه في كل لحظة وفي كل زمان وفي كل مكان.

وهذه الحاجة هي قوة وإسنادٌ ومعونةٌ، فيها يشعر الإنسان بضعف الباطل وهبوطه وزواله.

قال تعالى في خطابه لنبيه موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾^(١١).

والمعنى: «أي: نحن نحفظكم ونحن سامعون ما يجري بينكم، ومستمع هنا في موضع سامع؛ لأن الاستماع طلب السمع بالإصغاء إليه، وذلك لا يجوز عليه سبحانه»^(١٢).

والمعنى هنا بمعنى معية النصر والتأييد رسمها الله تعالى في صورة الاستماع الذي هو أشد درجات الحضور، وهو كناية عن دقة الرعاية وحضور المعونة.

والمعنى لا تنقطع عن الداعين إلى الله تعالى في أي حين، في بداية الصراع، وفي وسطه، وفي نهايته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾^(١٣).

وفي قمة الصراع بين نبي الله إبراهيم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** والمشركين كان يتوجه إلى الله تعالى لطلب العون منه تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(١٤).

ففي خضم هذه الشدائد يناديه الطاغوت بالاستسلام حفاظاً على حياته وشبابه ومستقبله الوهمي، فلا يبقى له معين ولا ناصر إلا الله تعالى، فهو ركنه الركين وحصنه الحصين، فإذا التجأ إليه نال السعادة في الدنيا وحسن ثواب الآخرة. فالذي يتصل بالقوة الكبرى لا تفتنه القوة العارضة التي لا تملك لنفسها ضرراً ولا نفعاً،

(١١) سورة الشعراء: ١٥.

(١٢) تفسير مجمع

البيان، الشيخ الطبرسي:

ج ٤، ص ١٨٦.

(١٣) سورة الشعراء:

٦١ - ٦٢.

(١٤) سورة الشعراء:

٨٣ - ٨٤.

والذي يخشى من القوّة الإلهيّة لا ترهبه القوّة البشريّة، وحينما لا يجد ناصرًا فإنّه يتوجّه إلى الله لينصره، وحينما لا يجد ملجأً يتوجّه إلى الله ليلتجئ إليه ويطمئن بمناجاته، وحينما يرى نفسه وحيداً يلتجئ إلى نور المستوحشين في الظلم، وحينما يرى إقبال الدُّنيا على المبطلين والطواغيت يلتجئ إلى الله تعالى مالك الدُّنيا.

والدّرس المستفاد أنّ الدّاعية والمبلّغ بحاجة دائمة لاستشعار المعونة الإلهيّة وطلبها باستمرار، فإذا كان الأنبياء وهم القمّة في كلّ شيء بحاجة إلى الرعاية والمعونة الإلهيّة، فمن الأولى أن يكون غيرهم بأمسّ الحاجة، وبهذه الرعاية تذلل الصعاب وتيسر الأسباب في الصراع، ويشعر الإنسان بضعف الباطل وهزأته مهما تكبّر وتجبّر.

(١٥) سورة الشعراء: ٤٤.

وفي المقابل نرى أتباع الباطل يستعينون ببشر مثلهم ضعيف في أفكاره، وضعيف في أساليبه، وضعيف في إمكانياته، فالسحرة الذين جاءوا من أجل غلبة نبي الله موسى عليه السلام كانوا يستندون الى عزّة فرعون الظاهرية، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾^(١٥).

٤ - قيمة الأجر ومصدره

إنّ من وسائل معرفة درجة السمو والإرتقاء لدى الإنسان هي الاطلاع على كيفية تفكيره وطموحه من أجل الحصول على الأجر، ومصدر هذا الأجر، فيسمو إن كان الأجر كبيراً ومصدره عظيماً، ويهبط أو يتسافل إن كان أجره حقيراً ومصدره حقيراً. ولهذا نجد الأنبياء لا يطلبون أجراً إلا من الله تعالى، وقد

تكررت هذه الآيات الكريمة على لسان أنبياء الله: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم السلام : ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦).

فالأنبياء والقادة المنصّبين من الله تعالى، لا يطلبون أجراً من الناس في مقابل هدايتهم، وأن عدم طلب الأجر الذي تكرر في الآيات الكريمة يبدو أنه كان دائماً ضرورياً للدعوة الإلهية؛ تمييزاً لها عن الدعوة غير الإلهية التي تطلب أجراً، سواء تسترت في الدين أو كانت خارجة عنه.

وقد تطرقت سورة الشعراء إلى طلاب الأجر الحقير ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (١٧).

فالسحرة التي يعتمد عليهم فرعون جماعة مأجورة تبذل جهدها ومهارتها من أجل الأجر الذي تنتظره، وليس لها علاقة بعقيدة ولا بمفاهيم وقيم، وإنما علاقاتها بمصالحها الشخصية والنفعية، والذي يبحث عن أجر سرعان ما يتخلى عن عمله؛ لأنه غير نابع عن قناعاته العقائدية، وهذا ما يفهمه الطاغوت فيغيرهم بأجر أكبر، وهو القرب منه.

فأجر أهل الباطل حقير وضميل يطلبونه من إنسان ضعيف لا يملك حولاً ولا قوّة.

٥- واقعية الدعوة وبراهينها

إن أصحاب الحق يستندون إلى الأدلة والبراهين المنسجمة

(١٦) سورة الشعراء:

١٠٦ - ١٠٩.

(١٧) سورة الشعراء:

الآيات ٤١، ٤٢.

مع الفطرة السليمة، إذ تدخل القلوب برفق وهدوء فتقبلها، بلا لفٍّ أو دورانٍ أو لبسٍ، وهي أدلة وبراهين بديهية لا ينكرها إلا المعاندون، إذ تربط بين القلب ومشاهد هذا الكون، وتوجهه إلى بدائع صنع الله تعالى.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾^(١٨).

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١٩).

ونرى نبي الله إبراهيم عليه السلام يواجه قومه بأدلة وبراهين متينة، إذ يوجه عقولهم إلى ضلالة الأصنام، وعدم قدرتها على السمع، أو النفع، أو الضرر.

(١٨) سورة الشعراء: ٧.

(١٩) سورة الشعراء: ٢٨.

(٢٠) سورة الشعراء: ٤٥.

(٢١) سورة الشعراء: ١٠.

ومن الأدلة والبراهين هي الاعتماد على المعجزة الإلهية في كشف زيف ما هو رائج، فقد انتشر السحر في عهد موسى عليه السلام حتى أصبح قوة تبهر العقول والقلوب وتضعف أمامها الإرادة، ولذا جاءت المعجزة لإبطال كل ذلك. قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾^(٢٠).

أمّا في المجال التشريعي، فإنّ أتباع الحقّ يوجهون الأنظار إلى انحرافات واقعية ظاهرة مخالفة للفطرة السليمة ومخالفة للضمير، يركن العقل إلى خطئها ويعين اشتباهها، ومن هذه الانحرافات الظلم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢١).

فالظلم واضح البطلان لدى الناس جميعهم إلا المكابرين

والظالمين أنفسهم فإنهم آسوا بالظلم فأصبح جزءاً من كيانهم، فقد ظلموا أنفسهم بالكفر والضلال، وظلموا الشعوب بالقتل والسجن والتعذيب، وجميعها مظاهر مرفوضة من قبل الناس جميعهم.

وينتقد (هود) قوم (عاد) على قيامهم بتشييد البناء إذ «لا تحتاجون إليه لسكناكم، وإنما تريدون العيث بذلك واللعب واللهو، كأنه جعل بناهم ما يستغنون عنه عبثاً منهم»^(٢٢).

قال تعالى - حاكياً عن هود عليه السلام: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾^(٢٣).

فهم يبنونها وكأنهم يفرّون من الموت، وهو حقيقة لا تقبل النكران.

وينتقد الظلم والبطش وهو مبعوض عند الناس جميعهم، كما ورد في قوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾^(٢٤).

وينتقد نبي الله صالح عليه السلام قوم ثمود وبنهاهم عن بعض الممارسات، ومنها: طاعة المسرفين: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(٢٥).

وينتقد لوط عليه السلام قومه لممارستهم الشذوذ الجنسي، كما ورد في: ﴿آتَاوُنَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾^(٢٦).

والشذوذ الجنسي ظاهرة مرفوضة حتى عند البهائم؛ لأنه يؤدي الى التخلي عن الزواج، ومصادرة حقوق الزوجة، إضافة إلى فساد الأخلاق وكثرة الأمراض.

(٢٢) تفسير مجمع البيان:

الشيخ الطبرسي: ج ٤، ص ١٩٨.

(٢٣) سورة الشعراء: ١٢٨ - ١٢٩.

(٢٤) سورة الشعراء: ١٣٠.

(٢٥) سورة الشعراء: ١٥١ - ١٥٢.

(٢٦) سورة الشعراء: ١٦٥ - ١٦٦.

أساليب الكفار وأهل الباطل

إنَّ الإسلام واضح لا لبس فيه ولا غموض، إنَّه يدعو إلى منطق الفطرة الهادي، مستخدماً الإنذار لإيقاظ القلوب الحيّة المستعدّة لتلقّي العقيدة السليمة.

إنَّه يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا يسمح للإسلام للمسلمين أن يستخدموا الوسيلة غير الشريفة في عملهم التغييرى والجهادي؛ لأنَّهم يملكون الحجّة الواضحة. أمّا أعداء الإسلام من كفّار ومستكبرين وطواغيت، فإنَّهم يتمسّكون بكلّ الشبهات والألعيب والأساليب الملتوية من أجل ترويح عقائدهم الفاسدة؛ لأنَّهم لا يملكون حجّة ولا برهان، فهم لا يتورّعون عن استخدام أيّ أسلوب يروونه ناجحاً في تحقيق مآربهم، فأسلوب الإسلام واحد، وهو الاستقامة، والموعظة الحسنة، وأساليب أعدائه متعدّدة بتعدّد الممارسات الشيطانية.

ولذا يلجأون إلى أساليب عاجزة وواهنة، منها: التكذيب والاستهزاء والخداع والتشويه:

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٢٧).

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٢٨).

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٩).

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (٣٠).

﴿قَالُوا أَنْتُمْ مِنْ لَدُنْكَ وَاتَّبِعْكَ الْأَرْضِلُونَ﴾ (٣١).

﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ (٣٢).

حينما يصدع الإنسان بالحقّ ويدعو إلى الله تعالى، وإلى إقرار

(٢٧) سورة الشعراء: ٦.

(٢٨) سورة الشعراء: ٢٧.

(٢٩) سورة الشعراء: ٣٤.

(٣٠) سورة الشعراء: ١٥٣.

(٣١) سورة الشعراء: ١١١.

(٣٢) سورة الشعراء: ١٥٤.

عقيدته ومنهجه سينتفض الكفار والطواغيت لإيقاف هذا التحرك وتحجيمه، فيقومون بخداع المستضعفين ومن ليس لهم قوة عقلية وفكرية، ويرغبونه في حياة كريمة من أجل أن يغلقوا أبواب الفطرة بوجه الحق، فيبدأون بالدعاية ويتفننون في إشاعتها من أجل أن تجد مجالاً إلى عقولهم وقلوبهم، ويبدأ التشوية للإسلام كعقيدة ومنهج ونظام للحياة، ثم التشوية للمسلم الرسالي وإصاق التهم به وتشوية سمعته أمام الناس عن طريق اتّهامه بشتى أنواع التهم التي يمكن أن تدخل في قلوب البسطاء، لكي ينشغل عن دوره الرسالي بدفع الاتهامات وتفنيدها.

والتكذيب حالة وأسلوب راسخ للطواغيت وأتباعهم، وقد رافق كل مراحل الصراع في كل زمان ومكان. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (٣٣).

وهكذا كانت التهم موجّهة إلى الرساليين جميعهم على مرّ التاريخ.

وفي عصرنا الراهن، أصبح للدعاية وللإشاعة مراكز متعدّدة، وجنّد الطواغيت لذلك عدداً كبيراً من الصحافيين ومن أصحاب الاختصاصات في علم السياسة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، واستخدموا جميع وسائل الإعلام من مذياع، وتلفاز، وصحف، ومجلات، لتمرير أكاذيبهم وإشاعتهم ضدّ الإسلام وضدّ العاملين المجاهدين قيادةً وكوادراً وقواعداً، فاتّهموا الإسلام بأنّه

(٣٣) سورة الحج: ٤٢ -

٤٤

فكر رجعي يخالف العلم والحضارة والمدنيّة، واتّهموا قادة الإسلام بالرجعيّة والعمالة، وفي خضمّ تلك الأحداث قد يرى المؤمن العامل نفسه وحيداً في معترك الصراع، يتحرّك في مجتمع لا يستمع له ولا يتقبّل منه، ناهيك عن الاستهزاء به واتّهامه في عقيدته وسمعته، فلا بدّ أن يستمرّ على نهجه، لأنّه مرتبط بالعليّ الأعلى، ويعمل من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض بخطى واثقة ومستقيمة، ولا يتوقف، لأنّه يستمدّ القوّة والعون والإسناد من الله تعالى، وإنّ الله سيرعاه في كلّ الأزمات ويكون عوناً على طول الطريق: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (٣٤).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿الْم * أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣٥).

الإيمان بالله تعالى وتقرير مبادئه في الحياة لتجسيد ذلك الإيمان هو مسؤولية عظيمة وتكليف شاق، إنّه أمانة ذات أعباء وجهاد، وإنّها سنّة الله في الحياة، إنّه لا بدّ من تعذيب، وقتل يمارسه الطواغيت بحقّ المؤمنين.

فالكفار والطواغيت حينما يحسّون بأنّ كيانهم بدأ يتزلزل وبدأت ركائزهم تنهار، فإنّهم سيقومون بممارسة شتى أصناف التعذيب والتقتيل من أجل ردع الخطر المحدق بهم بالقتل الفردي والجماعي وبالإرهاب بكلّ أنواعه وصنوفه، فلا بدّ أن يعلم العاملون للإسلام في سبيل الله أنّ طريقهم محفوف بالمكاره، مليء بالأشواك، مليء بالأشلاء والدّماء، مليء بالقتل والجراح، مليء بالمثبطات والمعوقات.

(٣٤) سورة الأنفال: ٣٠.

(٣٥) سورة العنكبوت:

إنّها الفتنة بكلّ حذافيرها، وإنها الفتنة بكلّ أنواعها، وإنّها الفتنة بكلّ مجالاتها، وإنّها الفتنة في كلّ الأزمنة والأماكن.

فتنة أن تعرّض المؤمن الرسالي للأذى والتعذيب من سجنٍ ومن تشريدٍ ومن تعذيب جسدي ونفسي.

فتنة الأهل والأحبة، فتنة والديه وزوجته وأطفاله الذين يخشى عليهم من الأذى والتعذيب والقتل بسببه.

فتنة الشعور بالوحدة في الطريق الطويل، إذ يرى كلّ من حوله غارقاً في الرذيلة والانحراف ولا يريد النور والإسلام والفضيلة.

فتنة إقبال الدنيا على الطواغيت وكثرة أعوانهم وأتباعهم وكثرة أسلحتهم وتنامي قوتهم العسكرية والإعلامية والاستخباراتية.

فتنة الدولة الغارقة في الانحراف ولكنها متطورة في حضارتها المادية ومتقدمة في علومها وصناعتها.

فتنة الانتكاسات العسكرية الظاهرية للمؤمنين والانتصار الظاهري للطواغيت.

فتنة النكوص، إذ يرى بعض الذين سبقوه في الإيمان وفي الوعي وفي العمل الجهادي، وكانوا قدوة له، يتراجعون عن هدفهم، ويتنصّلون عن مسؤوليتهم، وينحنون أمام الإرهاب، وينثنون أمام التعذيب، وينكصون ويحيدون عن طريق الحقّ، ويسالمون ويستسلمون، بل يتحوّلون إلى أعوان للطاغوت وأعداء للمؤمنين.

كلّ هذه الفتن تمرّ به ولا يجد ناصرًا ولا معينًا، بل لا يجد سلاحاً يدافع به عن مبدئه وعن نفسه، بل لا يجد مأوى يركن إليه

وينطلق منه للاستمرار في الجهاد وتضيق به الأرض بما رحبت.
ومنها: الإرهاب، قال تعالى: ﴿قَالَ لئن اتَّخَذتِ إِلَهًا غَيْرِي
لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾^(٣٦).

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَا صَلْبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٣٧).

﴿قَالُوا لئن لَمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾^(٣٨).

﴿قَالُوا لئن لَمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾^(٣٩).

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا
أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(٤٠).

الطاغوت لا يتورع عن استخدام أي أسلوب يراه مناسباً
لإيقاف مسيرة العاملين والمجاهدين، ولا تأخذه أي رحمة ولا
رأفة، ومن هذه الأساليب المحاصرة، والمقاطعة، أو التهجير من
البلاد. فالمحاصرة تكون في المجالات جميعها، ولا سيما في
الجوانب الموقومة للحياة الطبيعية والتضييق عليهم في لقمة العيش
والمسكن، ابتداءً بطردهم من أعمالهم ووظائفهم، وطردهم ذويهم
وأقاربهم والمتعاطفين معهم، وانتهاءً بمصادرة أموالهم، أو هدم
دورهم، ثم مقاطعتهم اجتماعياً عن طريق تخويف أبناء المجتمع
من اللقاء بهم، وإقامة العلاقات معهم من أجل إعاقتهم لكي لا
يستمرروا في تحركهم وجهادهم، ومن أجل إضعاف روحيتهم
وإسقاط الهمة في نفوسهم ودفعهم للتنازل الداخلي عن كرامتهم.
وفي خضم ذلك يتمحص المؤمنون، فيصمد من يصمد، ويتنازل

(٣٦) سورة الشعراء: ٢٩.

(٣٧) سورة الشعراء: ٤٩.

(٣٨) سورة الشعراء: ١١٦.

(٣٩) سورة الشعراء: ١٦٧.

(٤٠) سورة البقرة:

من يتنازل، ولا يتنازل الذي جعل كلمة الله هي العليا في عقله وضميره وشعوره، ولا يتنازل من ارتبط بالله ارتباطاً حقيقياً، ولا يتنازل من استمدّ العون والإسناد من الله تعالى، ولا يتنازل من وطن نفسه لتحمل تكاليف المسؤولية، لأن الطاغوت لا يمكن له أن يستذلّ الناس إلا برغبة منهم.

المساومة وأنصاف الحلول

قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾ (٤١).

لا توجد حالة وسطية أو برزخية بين الحق والباطل، والكفر والإسلام، فهما نهجان مختلفان، والعلاقة بين أتباع الإسلام وأتباع الطاغوت علاقة انفصال تام لا التحام فيهما، وافتراق لا التقاء فيه، واختلاف لا تشابه فيه.

وقد تمرّ على الطاغوت ظروف تدفعه لأن يغيّر من أساليبه التي لا تجدى نفعاً مع المسلم الرسالي ويلتجئ إلى أسلوب المساومة وأنصاف الحلول حينما يرى أنّ المسلم الرسالي والجماعة الإسلامية بدأت تشقّ طريقها متجاوزةً كلّ المعوقات فيلتجئ إلى هذا الأسلوب، فيطلب من الرسالي العامل والمجاهد فرداً كان أو جماعة تعديلات بسيطة وطفيفة في العقيدة، أو التشريع، أو الموقف لكي يتمّ اللقاء في نقاط مشتركة بعد حصول التعديلات.

(٤١) سورة: الكافرون.

وقد ينخدع بعضهم بذلك فيرى أنّ الخير يكمن في الالتقاء مع الطاغوت في منتصف الطريق وضمن المساحات المشتركة، أو المصالح المشتركة، ويوهمه عقله القاصر بأنه يمكن تطبيق الإسلام وإنقاذ المجتمع الإسلامي، وأنّ إحياء المعالم الإسلامية يتمّ بالتنازل عن الجزء لكسب الكلّ، فينجرّ وراء ذلك ويتنازل عن الجزء البسيط والطفيف، ويرى أنّه سيصل إلى هدفه المنشود، فإذا وجد الطاغوت أنّ التنازل بدأ يدبّ في نفسية المسلم الرسالي ومشاعره وعقله، فيبدأ باستدراجه حتّى يتنازل تنازلاً كلياً؛ لأنّه كلّما تنازل في جزء سيتنازل في الجزء الآخر وهكذا، والتنازل في الجزء الضئيل والبسيط ثغرة للطاغوت وثغرة لأعداء الرسالة وثغرة للجهلاء وأصحاب المصالح، وهو هزيمة روحية يفقد من خلالها الرسالي هيئته أمام أتباعه وأمام الناس الذين يتحرّك في وسطهم.

وإنّ هذه الهزيمة لا يمكن أن تحقّق النصر نهائياً، ولا يمكن أن يكون عمل الطاغوت مقدّمة للانتصار.

فلا مساومة، ولا أنصاف حلول، ولا مداهنة، ولا لين مع أعداء الإسلام وعملائهم في مجال العقيدة، والتشريع، والموقف، وفيما عدا ذلك فالرسالي ألين الخلق جانباً، وأحسنهم معاملةً، وأبرّهم بالناس، وأحرصهم على الحبّ والصفاء لبني الإنسان، فليكن الارتباط بالله تعالى والالتزام بأوامره والانتهاج بنواهيه هو الطريق الوحيد لتحقيق الهدف وأداء المسؤولية.

ويختلف الموقف من ظرف لآخر، فلو كان للإسلام دولة فلا

مانع من إقامة العلاقات السياسية والاقتصادية مع الدول غير الإسلامية وفق الموازين الشرعية، أما إذا لم تكن للإسلام دولة وكان المسلم الرسالي في دروب الجهاد والعمل التغيير، فإن موقفه يختلف، وإن أي علاقة مع غير المسلمين ولاسيما الدول الكافرة ودول الطواغيت المستعبدة، فإن ذلك مرفوض رفضاً قاطعاً.

تفتيت الوحدة

قال لويس التاسع ملك فرنسا: «إنه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال الحرب، وإنما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة باتّباع ما يلي: إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين، وإذا حدثت فليعمل على توسيع شقّتها ما أمكن حتى يكون هذا الخلاف عاملاً في إضعاف المسلمين»^(٤٢).

وقال أرنولد توينبي: «إنّ الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أنّ النائم قد يستيقظ»^(٤٣).

إنّ الطواغيت يتصيّدون كلّ حجة وكلّ شبهة لينفذوا منها إلى الطعن في صحّة الرسالة وصحة عمل الرساليين لكي يغربلوا الأفكار ويشيعوا الاضطراب في العقول والقلوب، وإنّ أفضل الثغرات هي الفرقة والتمزّق، فإذا حدثت في داخل الصفّ الإسلامي، سواء أكان سببها من داخل الصفّ الإسلامي كقلّة الوعي، والتعصّب، وانحراف السلوك، وحبّ الوجاهة، أم من خارج الصفّ الإسلامي من الطواغيت وعملائهم، فهم يعملون

(٤٢) المؤامرة الصارخة،

مركز الرعاية للدراسات

التربوية، بغداد، ٢٠٠٧

م: ص ٤٧.

(٤٣) أبو زيد، أحمد

محمود، موقع الألوكة

الثقافية - ثقافة ومعرفة،

مقال بعنوان: (الوحدة

الإسلامية) (البعبع)

المخيف، تاريخ النشر:

٢٠٠٧/٩/٣ م.

على توسيع التمزق والنفخ في نار العداوة والخلافات وإشغال العاملين بعضهم ببعض وإبعادهم عن هدفهم الحقيقي وحرف مسيرتهم.

فعلى العاملين والمجاهدين أن يوحّدوا صفوفهم وأن يتعاونوا على البرّ والتقوى لكي يستمرّوا في عملهم وجهادهم، ومن يعتصم بالله تعالى ويتسلّح بالوعي واليقظة والحذر ويترك الخلاف والتعصّب، فإنّه يسدّ الثغرات أمام الطواغيت ويزرع الأمل في نفوس العاملين ويستقطب أفراداً جُدداً للاندماج في الرسالة الإسلامية والكيان الإسلامي.

الوحدة سلاح المسلمين العاملين والمجاهدين، وإنّ الإرتباط بالله تعالى وحده يؤدّي إلى التماسك والتكاتف والتآزر ورفض الوهن والضعف نتيجة التمزق، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٤٤).

(٤٤) سورة آل عمران:

١٠٣.

(٤٥) سورة الشعراء: ٥٤.

٦ - استصغار الدّعاة

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾^(٤٥).

هذه الأساليب تعبّر عن حالة العجز والوهن والضعف التي تلازم أهل الباطل، فهم لا يملكون الحجّة ولا الأدلة المنطقية لإثبات أحقيتهم، وهم في الوقت نفسه موقنون ببطلان أفكارهم ومواقفهم للجوئهم إلى مثل هذه الأساليب.

وأمام هذه الوسائل والأساليب الواهية ينبغي ممارسة الحكمة لمواجهتها، فهي الكفيلة بإعادة المخدوعين إلى طريق الاستقامة الفكرية والسلوكية، فإنّ المنهج الإلهي منهج فطريّ تتقبله العقول

وتركن إليه النفوس إن دُعي إليه بحكمة، وموعظة حسنة،
وأسلوب شيق.

قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (٤٦).

وحيثما هددهم فرعون بقطع الأيدي والأرجل والصلب
أجابوه بثبات واطمئنان ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا
نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧).

فالسحرة كانوا ينتظرون الأجر ولم يكونوا أصحاب عقيدة،
ولكنهم تأثروا بالحق فانقلبوا على واقعهم، فأصبحوا من المؤمنين
في لحظات قصار.

وهذه تجربة ينبغي استثمارها من قبل المجاهدين في كل
مكان، فأغلب جنود الكفر عناصر مأجورة أو عناصر جاهلة، ولا
غرابة أن ينقلبوا على واقعهم إن وجدوا الإعلام الواعي وهذا
يتطلب أن يقوم المجاهدون بحملة إعلامية لاستهواء قلوب
الأعداء، والحديث معهم بلغتهم لكي ينقلبوا على واقعهم.

٧ - المنّ بالفضل الكاذب

استخدم فرعون أسلوب المنّ على نبيّ الله موسى عليه السلام محاولاً
تبيان فضله عليه، كما ورد في الآية: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا
وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (٤٨).

فالطغاة يلتجأون إلى هذا الأسلوب لخداع البسطاء، وإيهامهم
بأنهم متفضلون على الدعاة إلى الله أو المعارضين لهم، ممّا يولّد
في نفوسهم شعوراً بأنّ الدعاة أو المعارضون ينكرون ويتنكرون

(٤٦) سورة الشعراء:

٤٦ - ٤٨.

(٤٧) سورة الشعراء:

٥٠ - ٥١.

(٤٨) سورة الشعراء: ١٨.

للفضل عليهم، وهذه محاولة للتقليل من شأنهم لكي لا تجد دعوتهم أذن صاغية.

وهذا ديدن الطغاة حيث يمتنون بتقديم الخدمات الثقافية، والاقتصادية، والصحية، وغيرها، متناسين جرائمهم بحق الناس، وأيسرها مصادرة الحريات، ناهيك عن القتل والتهجير، وما شابه ذلك.

وكان جواب نبي الله موسى عليه السلام: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٤٩).

وقد فسرت هذه الآية بأكثر من تفسير منها: «أنك لو كنت لا تستعبد بني إسرائيل ولا تقتل أبناءهم لكانت أمتي مستغنية عن قذفي في اليمِّ، فكأنك تمن علي بما كان بلاؤك سبباً له» (٥٠).

٨ - العلاقة بين القائد وأتباعه

إن العلاقة بين أهل الحق هي علاقة تعاون وتآزر واحترام متبادل بين القائد وأتباعه، فلكل مسؤوليته، فلا انفصال بينهما، إذ يقوم الجميع بمهام تبليغ الدعوة إلى الله تعالى وإلى تحكيم منهجه في الحياة الإنسانية، فهي علاقة تآزر وتظافر وإسناد.

قال تعالى - مخاطباً نبيه موسى عليه السلام - ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥١).

ومن مصاديق التعاون والمشاركة في المسؤولية والأعمال والنشاطات، قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ (٥٢).

(٤٩) سورة الشعراء: ٢٢.

(٥٠) تفسير مجمع البيان،

الفضل بن الحسن

الطبرسي: ج ٤، ص ١٨٧.

(٥١) سورة الشعراء:

١٥ - ١٦.

(٥٢) سورة الشعراء: ٥٢.

فالتسير كتمارسة وعمل ميداني اشترك فيه نبي الله موسى عليه السلام مع أتباعه، فكانت مشاركة ميدانية بين القائد المنصب من الله تعالى وأتباعه.

بينما العلاقة بين أهل الباطل مجرد أوامر تصدر من القائد إلى الأتباع، وهذا هو الظاهر من الآيات الكريمة التي تتحدث عن أوامر فرعون، ومنها: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾^(٥٣).

ومن مظاهر العلاقة هي: التواضع من قبل القائد، كما في الآية الكريمة: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥٤).
أي: «ألنّ جانبك، وتواضع لهم، وحسن أخلاقك معهم»^(٥٥).

أمّا علاقة قائد الباطل مع أتباعه، فهي علاقة الاستخفاف والاحتقار: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^(٥٦).
وقادة الحق لا يفرقون بين الطبقات على أساس المستوى الاقتصادي، أو الواجهة الاجتماعية، فالقائد يزن الناس بميزان الإيمان، ولا يطلب منهم شيئاً إلا الإيمان.
أمّا قادة الباطل وأتباعه، فإنهم يتصفون بالكبرياء والمصالح القائمة على العلاقات المزيفة.

قال تعالى: ﴿قَالُوا أَنْزَلْنَاكَ مِنَ السَّمَاءِ أَنْزَلَ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنَّ حَسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(٥٧).

فأهل الباطل يخاطبون قادة الحق: «إن أتباعك أراذلنا وفقراؤنا وأصحاب الأعمال الدنيّة والمهن الخسيّة، فلو اتبعناك لصرنا مثلهم ومعدودين في جملتهم»^(٥٨).

(٥٣) سورة الشعراء: ٤٩.

(٥٤) سورة الشعراء: ٢١٥.

(٥٥) تفسير مجمع

البيان، الشيخ الطبرسي:

ج ٤، ص ٢٠٦.

(٥٦) سورة الزخرف:

٥٤.

(٥٧) سورة الشعراء:

١١١ - ١١٥.

(٥٨) تفسير مجمع البيان،

الشيخ الطبرسي: ج ٤،

ص ١٩٤.

وكان جواب القائد (النبي): «ما أعلم أعمالهم وصنائعهم، ولم أكلف ذلك، وإنما كُلفت أن أدعوهم إلى الله وقد أجابوني إليه... ما أنا بالذي لا يقبل الإيمان من الذين تزعمون أنهم الأردلون لأنني لست إلا نذيراً»^(٥٩).

٩- الفن الهادف والعبثي

قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾^(٦٠).

ميّزت الآيات القرآنية بين لونين من الفن وهو الشعر، فاللون الأول منه يكون شعراؤه «في كل فن من الكذب يتكلمون، وفي كل لغو يخوضون، يمدحون ويذمّون بالباطل... يقولون من لغو وباطل وغلو في مدح وذم»^(٦١).

وهذه صفات الشعراء التابعين للمنهج الباطل، فقد استثنى القرآن الكريم الشعراء المؤمنين الذين عملوا الصالحات وذكروا الله تعالى، وانتصروا «أي ردّوا على المشركين ما كانوا يهجون به المؤمنين»^(٦٢).

فالإسلام لا يحارب الفن (الشعر) لذاته وإنما يحارب المنهج الخاطئ الذي يسير عليه؛ فالمذموم منه هو منهج الأهواء والإثارة ومنهج الأوهام والخرافات واستخدامه لفتّ تآزر المؤمنين، والممدوح منه فهو منهج أهل الواقع المؤمنين بالله والعاملين بالصالحات والذين يذكرون الله وهو الحصن الأعظم الذي يحصّن شعرهم وقولهم.

(٥٩) تفسير مجمع

البيان، الشيخ الطبرسي:

ج ٤، ص ١٩٦.

(٦٠) سورة الشعراء:

٢٢٤ - ٢٢٧.

(٦١) تفسير مجمع

البيان، الشيخ الطبرسي:

ج ٤، ص ٢٠٨.

(٦٢) تفسير مجمع

البيان، الشيخ الطبرسي:

ج ٤، ص ٢٠٨.

والشعر هو سلاح الصراع الفكري والسياسي الذي يستعمله الطرفان: أهل الحق، وأهل الباطل.

١٠ - مستقبل القيادة

منهج الحق وهو منهج الله تعالى في الأرض يمتد بامتداد الزمان، فلا ينحصر بمرحلة من مراحل الحياة، ولن يتوقف في أحدها، بل أريد له الدوام والاستمرار، ولا يتحقق ذلك إلا باستمرار القيادة التي تمثل دور القدوة وقيادة الإنسانية قيادة نموذجية في تصوراتها ومواقفها وعلاقتها لتستمر حركة التكامل. أما قيادة المنهج الباطل فإنها لا تفكر إلا بالمرحلة التي تعيشها، ففرعون الذي يقود الباطل لا يفكر بمستقبل أتباعه، لأنه يدعي الربوبية فلا يفكر بالموت لكي ينصب قائداً من بعده، لأنه لا يتحمل التفكير بقيادة غيره، ولذا لم يشر القرآن الكريم إلى أن طاغوتاً عين طاغوتاً آخر من بعده من أجل إدامة منهجه، وما نراه من قيام الطواغيت بتعيين غيرهم، فإنهم يقدمون على ذلك من أجل مصالح أبنائهم فقط دون التفكير بالمنهج المتبع لديه ودون التفكير بمصالح أتباعهم.

(٦٣) سورة الشعراء:

٢١٤.

وتتضح حقيقة تفكير أهل الحق وقادة الحق بمستقبل الرسالة من خلال معرفة نزول الآية الكريمة: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٦٣). فبعد السنة الثانية من الدعوة الإسلامية نزلت الآية فأخبر رسول الله ﷺ الإمام علياً عليه السلام بذلك فجمع أبرز رجال بني عبد المطلب، فتكلم عليه السلام ثم قال: «فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم»، فأحجم القوم عنها

جميعاً، فقام - الإمام - علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: «أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه».

فأخذ برقبة علي عليه السلام ثم قال: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا».

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: «قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»^(٦٤).

فالله تعالى أمر نبيه بإعلان القيادة المستقبلية لكي تستمر الحركة الرسالية من بعده.

نتائج البحث

إن للصراع بين الحق والباطل والإيمان والكفر سُنناً ثابتة وقوانين لا تقبل التغيير ولا التبديل، ومن أهم هذه السُنن: انتصار الحق واندحار الباطل؛ لأنَّ الحقَّ ثابت مبدأه خالق الكون المهمين على حركة الحياة، أمَّا الباطل فليس له مبدأ وليست له جذور في الوجود، ومن ثم فهو زائل وهالك، وكلُّ من يتبعه أو يصدر عنه ذاهب وزائل وهالك كذلك.

والحقُّ بما أنه ممتد في الزمان ولا ينحصر بوقت معيَّن أو مرحلة معينة، وإن الله تعالى قادر على إخضاع أهل الباطل للحقِّ بآية سماوية. قال تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(٦٥). ولكنه تعالى أراد أن ينقذ أهل الباطل من الضلالة والانحراف باختيارهم.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى العقوبات في آخر المطاف بعد إلقاء الحجَّة: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٦٦).

(٦٤) تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري: ج ٢، ص ٣١٩، الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج ٢، ص ٦٣. تاريخ أبي الفداء، أبي الفداء: ج ١، ص ١٧٥. (٦٥) سورة الشعراء: ٤. (٦٦) سورة الشعراء: ٦.

ويتوجه الصراع في النهاية نحو إنتصار الحق وأهله وإنحذار
الباطل وأهله، فقد أنجى الله تعالى نبيّه موسى عليه السلام ومن معه:
﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (٦٧).

وأنجى الله تعالى نبيّه نوح عليه السلام ومن معه: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ
فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ (٦٨).
وأهلك الله تعالى عاد: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٦٩).

وأنزل الله تعالى العذاب على ثمود: ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٧٠).

وأنزل الله تعالى العذاب على قوم لوط: ﴿فَجَاجَبْنَاهُ وَأَهْلَهُ
أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ (٧١).

وأنزل الله تعالى العذاب على قوم شعيب: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ
عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٧٢).

والهلاك والعذاب والدمار يسبقه الإنذار: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ
قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذَرُونَ﴾ (٧٣).

وفي الأحوال جميعها فإن الله تعالى يرسل الأنبياء لإصلاح الناس بعد
تمردّهم على فطرتهم، حينما يواجهون الأنبياء بالتكذيب والاستهزاء
والاتهام والتهديد دون أن يمارسوا الحجج والبراهين، بمعنى أنهم
تمردّوا على الآيات البيّنات بحيث لا يبقى في نفوسهم خير وصلاح،
فيصبحون خطراً يهدّد الدّين والحقّ ويهدّد المؤمنين، وتكون النتيجة
النهائية للصراع هي الدّمار والعذاب والهلاك لهم لأنّه آخر الحلول.

(٦٧) سورة الشعراء:

٦٥- ٦٦.

(٦٨) سورة الشعراء:

١١٩ - ١٢٠.

(٦٩) سورة الشعراء:

١٣٩.

(٧٠) سورة الشعراء:

١٥٨.

(٧١) سورة الشعراء:

١٧٠ - ١٧٣.

(٧٢) سورة الشعراء:

١٨٩.

(٧٣) سورة الشعراء:

٢٠٨.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١- الطبرسي، الحسن بن الفضل، تفسير مجمع البيان، تحقيق: لجنة من العلماء، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت لبنان، ط الأولى: ١٩٩٥.

٢- مركز الرعاية للدراسات التربوية، بغداد - ٢٠٠٧م، المؤتمر الصارخة.

٣- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت لبنان.

٤- ابن الأثير، علي بن محمد الكامل في التاريخ، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر - دار بيروت، المطبعة: دار صادر - دار بيروت ١٩٦٦م.

٥- أبي الفداء، تاريخ أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر)، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان، المطبعة: شركة علاء الدين للطباعة والتجليد.

٦- أبو زيد، أحمد محمود، موقع الألوكة الثقافية، مقال (الوحدة الإسلامية) (البيع) المخيف، تاريخ النشر ٢٠٠٧/٩/٣م).

الشواهد القرآنية للبصيرة في السيرة النبوية

* عضو هيئة التدريس
في جامعة المصطفى
العالمية.

❖ طالب في جامعة
المصطفى العالمية في
المرحلة الدكتوراه فرع
التفسير المقارن.

الشيخ الدكتور اسكندر لولو *

حجة الإسلام السيد بهادر علي الزبيدي ❖

المقدمة

تعدُّ كلمة البصيرة من الكلمات التي استعملت كثيراً في النصوص الدينية - القرآن والسنة - وقبل أن نتطرق إلى النصوص التي ذُكرت فيها، سنقف على تعريف تلك المفردة عند أهل اللغة، إذ يذكرون لها معاني كثيرة، منها: الإدراك، والفتنة، والحجة، والنظر النافذ إلى خفايا الأشياء، والعلم، والخبرة^(١).

والبصيرة - وإن كان اشتقاقها من البصر - غير البصر فهي، أهم وأدق وأوسع وأشمل من البصر، لأن البصر ما هو إلا وسيلة لنقل الصور الخارجية إلى الذهن، مثله مثل وسيلة السمع والشم واللمس والذوق وهو ما يقال عنها الحواس الخمس.

ويقال لقوة القلب المدركة: بصيرة، و البصر يقال للجارحة.

وجمع البصر أبصار وجمع البصيرة بصائر^(٢).

ووردت كلمة (البصيرة) مفردة ونكرة غير معرفة ب (ال)

التعريف في القرآن الكريم مرتين: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(٣)، ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾^(٤).

ووردت بصيغة الجمع (بصائر) خمس مرات: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ

بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ

بِحَفِيفٍ﴾^(٥)، وفي الأحاديث الشريفة وردت البصيرة في المواقع

الآتية:

أ - في توصيف كمال العقل: ففي الحديث النبوي الشريف: «قَسَمَ

العقل على ثلاثة أجزاء، فمن كانت فيه كَمُلَ عقله، ومن لم

(١) غريب القرآن،

الأصفهاني: ج ١، ص ٤٩.

(٢) المعجم العربي

الأساسي، مجموعة من

اللغويين العرب: ص ١٥٩.

(٣) يوسف: ١٠٨.

(٤) القيامة: ١٤ - ١٥.

(٥) الأنعام: ١٠٤.

تكن فيه، فلا عقل له: حسن المعرفة بالله عزّ وجلّ، وحسن الطاعة له، وحسن البصيرة على أمره»^(٦).

ب - في مقام دور البصيرة في الهداية: فعن الإمام الصادق عليه السلام: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق لا يزيده سرعة السير إلاّ بعداً»^(٧).

ج - في مقام تفضيلها على البصر: ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ذهاب البصر خير من عمى البصيرة»^(٨).

د - في مقام الدعاء لله تعالى: فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله «اللهم إنّي أسالك... أن تجعل النور في بصري، والبصيرة في ديني، واليقين في قلبي»^(٩).

وقد عُرِّفَت البصيرة على أنها: قوة خفيّة أو ملكة وهبها الله للإنسان لإدراك حقائق الأشياء، أو إدراك الجوانب الخفيّة من الموضوعات، ولا يأتي ذلك إلا بعد الإحاطة بجوانب الموضوعات جميعها. والبصيرة تأتي عن طريق قوة الملاحظة والقدرة على التمييز بين الموضوعات والنفوذ إلى الفوارق الدقيقة بين المتشابهات في المواضيع. وهي في نوعها مثل القوى والملكات الموهوبة إلى الإنسان منها ما هو قويّ، ومنها ما هو ضعيف، أي: أنها تتقارب في درجات القوّة والضعف.

وتفاوتت من شخص إلى آخر، بل أنها تتفاوتت عند الشخص الواحد في المواضيع. فنجد شخصاً ما بصيراً في السياسة، ولكنه غير بصير في الاقتصاد، أو بصيراً في شؤون الزراعة وليس كذلك في شؤون الصناعة^(١٠).

(٦) الخصال، الشيخ

الصدوق: ص ١٠٢.

(٧) المحاسن، البرقي:

ص ١٩٨.

(٨) عيون الحكم

والمواعظ، الواسطي:

ص ٢٥٦.

(٩) بحار الأنوار، الشيخ

المجلسي: ج ٧٣، ص ٩٦.

(١٠) فن التوجيه، محمد

عصمت، مجلة النبأ:

العدد ٣٧.

وإذا ألقينا نظرة على حياة النبي الأكرم ﷺ نجد موارد عديدة تكشف عن بصيرته في سيرته التبليغية. ولا شك أن هذه الموارد جميعها لها شواهد قرآنية، إذ أن حياته ﷺ مدعمة بالرصيد القرآني، فالقرآن الكريم جعل النبي ﷺ أسوة وقدوة للمؤمنين في الحياة، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١١)، وقال تعالى حاكياً عن لسان نبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(١٢).

وتتناول المقالة الماثلة بعض جوانب البصيرة في حياة النبي ﷺ، وفي الجوانب الآتية: إظهار الدعوة، التوحيد، الدعوة إلى الوحدة، الجدل بالأحسن، شؤون الحياة والموت، كيفية استخدام الوسيلة، والزهد.

المصطلحات الأساسية: البصيرة، السيرة التبليغية.

المفاهيم العامة:

السيرة: هي الطريقة والهيئة والحالة^(١٣).

وكذلك تطلق على السنة والمذهب والأسلوب والسلوك والعادات والتقاليد والطريقة^(١٤)، ويقول الراغب الأصفهاني: «السيرة: الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره - غريزياً كان أو مكتسباً - يقال: فلان له سيرة حسنة، وسيرة قبيحة، وقوله تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾^(١٥)، أي: الحالة التي كانت عليها من كونها عوداً»^(١٦).

وبالنظر إلى معاني السيرة في اللغة من السنة والأسلوب والمذهب والهيئة والحالة والطريقة فإنه يمكن القول: إن معنى السيرة هو السلوك وأسلوب وطريقة الحياة^(١٧).

(١١) سورة الأحزاب: ٢١.

(١٢) سورة يوسف: ١٠٨.

(١٣) معجم مقاييس

اللغة، ابن فارس: ج ٣،

ص ١٢١. مجمع

البحرين، الطريحي:

ج ٣، ص ٣٤٠. تاج

العروس، الزبيدي: ج ٣،

ص ٢٨٧.

(١٤) أساس البلاغة،

الزمخشري: ص ٢٢٦.

أقرب الموارد،

الشرطوني: ج ١، ص ٥٦٢.

(١٥) سورة طه: ٢١.

(١٦) المفردات في

غريب القرآن، الراغب

الأصفهاني: ص ٢٤٧.

(١٧) انظر: سيره نبوي

منطق عملي، مصطفى

دلشاد تهراني: ص ٣٩.

ضرورة وأهمية البحث في السيرة النبوية:

ليان ضرورة البحث في السيرة النبوية يجب أن نتناول ابتداءً مكانة البحث وأهميته، وحاجة الإنسان للقدوة والأسوة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١٨)، يعني: «أن النبي ﷺ هو مصدرٌ ومعدنٌ ومركز يمكن للمسلمين أن يستخرجوا جميع أعمالهم وسلوكهم ووظائفهم منه»^(١٩).

يقول العلامة الطباطبائي: «والأسوة التي في مورده ﷺ هي تأسسهم به واتباعهم له، وكونه تكليفاً ثابتاً مستمراً. ومن حكم رسالة الرسول وإيمانكم به أن تتأسسوا به في قوله وفعله»^(٢٠).

مجالات البصيرة في سيرة النبي الأكرم ﷺ وجوانبها

١- الدعوة إلى الإسلام:

لأجل أن يجعل الله تعالى رسوله ﷺ أسوة لأتباع البرهان والدليل أبلغه أن الاستدلال المحض لا يكون دائماً مفيداً، بل أمره - فضلاً عن طريق الاستدلال - إلى دعوة الناس بالحق عن طريق الموعظة الحسنة والحكمة أيضاً، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢١).

وقد جعل الله تعالى هذه الطرق الثلاث منهجاً لأمة أسوتها الرسول الأكرم ﷺ وبناءً على ذلك، فإن وظيفة المفكرين الإسلاميين دعوة الناس إلى الحق بأسلوب الحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن أسوة برسول الله ﷺ.

(١٨) سورة الأحزاب: ٢١.

(١٩) أفعال الرسول

ودلالاتها على أحكام

الشرعية، محمد سليمان

الأشقر: ج ١، ص ١٨٩-

٢٠١.

(٢٠) الميزان في تفسير

القرآن، العلامة

الطباطبائي: ج ١٦، ص

٢٨٨.

(٢١) سورة النحل: ١٢٥.

٢- التوحيد:

المتأمل في سيرة النبي الأعظم ﷺ في دعوته إلى التوحيد يجد أنه يحمل بصيرة ووعياً وبرهاناً لتدعيم دعوته حتى استطاع إقناع أهل الجاهلية بصحة دعوته ونبوته.

يقول آية الله الشيخ مكارم الشيرازي: «للتوحيد أربعة أقسام: التوحيد في الذات، والتوحيد في الصفات، والتوحيد الأفعالي، والتوحيد في العبادة»^(٢٢).

ولكنني أرى أنّ التقسيم الأفضل أن نقول: إن التوحيد على قسمين: التوحيد النظري، والتوحيد العملي؛ والتوحيد النظري يقسم إلى ثلاثة أقسام:

التوحيد في الذات، والتوحيد في الصفات، والتوحيد في الأفعال. وأما التوحيد العملي، فهو التوحيد في العبادة، والتوحيد في الطاعة، والحاكمية، والتوحيد في الولاية والتوكل، والتوحيد في الدعاء والإبتهال، والتوحيد في الشكر والحمد، والتوحيد في المحبة والمودة، والتوحيد في الخوف والرجاء. وأما التوحيد في الذات، فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأحدي، والواحدي، والوحداني.

والتوحيد في الصفات، يقسم إلى قسمين: عينية الصفات مع الذات، واتحاد الصفات.

وأما التوحيد الأفعالي، فينقسم إلى ستة أقسام: الخالقية، الربوبية، المالكية، الرازقية، الهداية، المشيئة. وفي هذه الأقسام جميعها دعا رسول الله ﷺ إليها عن طريق البرهان والدليل والحجة الدامغة.

(٢٢) انظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ مكارم الشيرازي: ج ٢٠، ص ٥٦٠.

التوحيد في الذات:

نداء سورة الإخلاص:

أنزل الله تعالى سورة الإخلاص المباركة لنفي أي نوع من اتخاذ الزوجة والولد لله تعالى لنفي الاتحاد والحلول.

وهذه السورة ردّ على كل من يقول بالضدّ والنّد لله تعالى. بعضهم كان يقول بوجود إلهين كل منهما ضد الآخر؛ أحدهما: النور. والآخر: الظلمة، فقال القرآن: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢٣).

فقد تحدثت سورة التوحيد عن واحدية الله تعالى وعن أحديته، حيث ورد فيها: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ﴾^(٢٤)، فعندما لا يكون لله نظير ولا زوجة ولا شبيه فهو واحد.

إن هذه السورة تنفي وجود ضدّ لله تعالى وتردّ زعم من يقول بذلك؛ لأنّ القائلين بالنور والظلمة كانوا يقولون بالضد لله تعالى، وإنّ القائلين بالآلهة الكاذبة كانوا يعتقدون بالنّد والمثل لله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾^(٢٥)، وهناك بعض الناس اختار نظراء لله تعالى وهم يحبّونهم كحبّ الله تعالى.

وقد طرح الوثنيون في الحجاز خرافات في توجيه عبادتهم للأصنام، إذ كانوا يقولون: نحن لا نعبد الحجر والخشب والتراب والطين في الحقيقة، وإنما نعبد الله تعالى، إذ أنّ الله تعالى حلّ في مظاهر من كبار البشر، وصارت تلك الموجودات محللاً لحلول الله تعالى، ونحن في الحقيقة نعبد ذلك الذي حلّ في روح الأصنام (الحال) وليس المحل.

(٢٣) سورة الإخلاص: ١.

(٢٤) سورة الإخلاص: ٤.

(٢٥) سورة البقرة: ١٦٥.

وقال آخرون: لقد مات بعض عظمائنا وكانوا يحظون بالقرب الإلهي، وحيث إن التقرب إليهم مفيد لتكريمهم فإننا صنعنا لأجسامهم تماثيل، ولأجل أن نتذكر قداستهم فنحن نخضع ونخشع لها!

وقال آخرون: إن الله تعالى خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود، ونحن أبناء آدم أولى بالسجود من الملائكة أمام آدم، إذ أننا لم نكن آنذاك موجودين لسجد لآدم، فصنعنا تمثالاً لآدم لسجد أمامه؛ لنكون في الواقع أولى بالسجود أمام آدم، كما أنكم تسجدون أمام الكعبة وتسجدون نحو الكعبة في مدنكم ومساجدكم.

جواب النبي الأكرم ﷺ:

لقد كانت سيرة النبي الأكرم ﷺ أنه لا يقطع كلام أحد أثناء كلامه، وبعد سماعه لكلامهم قال في جوابهم: لا يمكن لله تعالى أن يحلّ في موجود مادي...؛ وذلك لأنه تعالى أزليّ وقديم، فلا يمكن أن يحلّ في الموجودات المادية...، ثم قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٢٦).

وقال الرسول الأكرم ﷺ مخاطباً عبدة الأوثان الذين عدّوا سرّ عبادتهم لها هو تجليل وتقديس الرجال العظام والمقربين: إذا خضعتم أمام هذه الأصنام ووضعتم أشرف عضو وهو الوجه والجبهة على التراب أمامها فماذا أبقيتم لله تعالى من العظمة والجلالة؟ ومن الذي أمركم أن تخضعوا أمام الأصنام؟

وقال ﷺ للقسم الثالث الذين عدّوا عبادة الأصنام سجوداً لحضرة آدم عليه السلام وعدّوه قضاءً لما فاتهم: إذا أراد الإنسان طاعة

الله تعالى فيجب أن يكون ذلك بأمر الله تعالى، وإذا لم يصلنا منه أمرٌ فلا يحق للإنسان أن يشرع ويتدع أمراً عبدياً؛ لأن هذا العمل عبادة للهوى وليس عبادة لله تعالى.

إن أصل عبادة الله تعالى هو العقل، ويؤيده الوحي، ولكن طريقة العبادة يجب أن نأخذها من الله تعالى، وقد أمرنا الله تعالى، فقال: ﴿حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (٢٧).

وبناء على ذلك، فالكعبة مسجودٌ إليها وليس مسجوداً لها. ولهذا فإن التوجه إلى الكعبة ليس شرطاً في جميع العبادات (٢٨).

٣- الدَّعوة إلى الوحدة الإنسانية والإسلامية:

لقد بشر جميع الأنبياء ﷺ بالرسول الأكرم ﷺ، وإن من أبرز التعاليم الإسلامية هو الإيمان والاعتقاد بالأنبياء والكتب السماوية جميعها: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرُسُلِهِ﴾ (٢٩).

إن الآية المذكورة تدعو الموحدين جميعهم في العالم إلى الاتحاد والوحدة، وعلينا أن نسعى لتحقيق الوحدة في جبهتين:

الأولى: الوحدة بين المسلمين، فيصير أكثر من مليار مسلم متوحدين في صف واحد كالبنان المرصوص - بعدهم أمة إسلامية..

الثانية: إذا فرغنا من الجهة الأولى، فعلياً أن نخطو خطوة أخرى إلى الأمام فنُقدم على تأمين الوحدة بين موحدَي العالم، ليتحدَّ المسلمون جميعهم مع جميع من عنده كتاب سماوي، ويقفوا بوجه الملحدين في العالم؛ لأن الإلحاد وانكار ما وراء الطبيعة وحصر الوجود في المادة وإنكار الوحي، والرسالة،

(٢٧) سورة البقرة:

١٤٤.

(٢٨) انظر: التفسير

الموضوعي للقرآن

الكريم، آية الله

الجوادِي الأملِي: ج ٨،

ص ١٠٨-١١٣.

(٢٩) سورة البقرة:

٢٨٥.

والقيامة، والمعاد، والنبوة، والمعجزة وسائر المعارف الغيبية، لها آثار ونتائج مَرَّة ومصاعب جَمَّة لا يمكن تحمّلها.

ولهذا تجد الله تعالى - فضلاً عن دعوة المسلمين إلى الوحدة - دعا موحدي العالم إلى الاتحاد: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (٣٠).

وعليه، فإن الله تعالى دعا - على لسان نبيه ﷺ - الأمة الإسلامية نحو الجدل الأحسن وعلمهم الدعوة إلى الاتحاد مع موحد العالم. وهذا لا يعني زرع العداة والبغضاء وقطع الصلة والارتباط والحوار مع سائر الديانات غير السماوية أو إيجاد اصطفاة دينية وقومية في المجتمع، فهناك مبدأ حاكم على الجميع غرسه القرآن الكريم والنبي ﷺ في الأمة الإسلامية، وهو مبدأ التعايش السلمي والاجتماعي، وربما هو الكفيل لتعزيز مبدأ الأخوة الدينية بين سائر الديانات السماوية.

٤- الجدل بالتي هي أحسن:

من الأساليب القرآنية النبوية الجدل بالتي هي أحسن، إذ لم يمتدح الجدل في القرآن إلا في بضعة موارد مقيداً بالتي هي أحسن، وهناك فرق واضح بين الجدل وحده، فهو مذموم، وبين الجدل الحسن وبين الجدل بالتي هي أحسن الذي جاء بصيغة (أفعل التفضيل)، والذي أمر به القرآن هو الأخير.

وعليه، فإن الجدل بالأحسن هو أن لا يقول المجادل إلا الحق ولا يقبل إلا الحق، وعليه أن لا يستغل الضعف الفكري عند الخصم، بل عليه أن يتكلم كلاماً محكماً سديداً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(٣٠) سورة آل عمران:

آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٣١﴾.

إنَّ الله تعالى علّم رسوله ﷺ أن يكون الاحتجاج طبقاً لمحور البرهان، وإنَّ الله تعالى رغب النبي ﷺ في أصل الاحتجاج في الاستماع إلى قول الآخر، وأمره أن لا يقول باطلاً ولا يقبل باطلاً.

وعليه، فإنَّ الجدل بالأحسن هو أن تكون مقدماته حقّة ومبرهنة، وأن تكون مقبولة عند الطرف الآخر.

وسئل الإمام الحسن العسكري عليه السلام: هل أن رسول الله ﷺ جادل أم لم يجادل؟ فنقل الإمام عن الإمام الصادق عليه السلام: أنه إذا كان هناك شك في شيء فإنه لا يمكن الشك أبداً في أن رسول الله ﷺ كان تابِعاً لأمر الله تعالى، فعندما أمره تعالى أن يجادل بالأحسن فلا ريب أنه عليه السلام امتثل أمر الله تعالى وجادل بالتي هي أحسن. ثم ذكر عليه السلام الآيات المباركة في سورة «يس» كأنموذج على ذلك، ثم ذكر: إنَّ الإمام الصادق عليه السلام روى عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ عدّة من أصحاب المذاهب المختلفة حضروا عند رسول الله ﷺ وتكلّم كلٌّ بكلامٍ وقد نقل القرآن الكريم أقوالهم: ﴿تِلْكَ أَمَانِيهِمْ﴾، أي: أنهم يتكلّمون بالأمنيات وليس بالبرهان والمنطق، ثم قال: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٢) (٣٣).

والمقصود من البرهان أعم من الحكمة والجدال بالأحسن، وليس المراد خصوص البرهان المصطلح في المنطق، فإذا لم تكن الدعوى إلى جانب الدليل فتلك الدعوة باطلة وتلك الدعوى كاذبة (٣٤).

(٣١) سورة الأحزاب: ٧٠.

(٣٢) سورة البقرة: ١١١.

(٣٣) انظر: تفسير

البرهان السيد هاشم البحراني: ج ٢، ص ٣٨٨.

(٣٤) انظر: التفسير

الموضوعي للقرآن الكريم: آية الله

الجوادى الآملي: ج ٨،

ص ٨٥ (ذكر ذلك

بالتفصيل من ص ٨٥

إلى ١٢٢).

٥ - أمور الحياة والموت:

لقد جعل الله تعالى رسوله الكريم أسوة ودعا الآخرين للتأسي به في شتى المجالات الحياتية. فعلى مراجعة السيرة النبوية ليتعرف أتباع الرسالة والنبوة والولاية على طريقته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته وأخلاقه وسلوكه وعزوفه عن الدنيا وإقباله على الآخرة وذكره للموت وتذكيره به، ثم يتأسون به في منهاجه الحياتي واليومي، ولا يمكن تخصيص الاقتداء بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا بما خصه الله تعالى به. يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٣٥). وقال القرآن الكريم حاكياً عن لسانه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦)، فقد كانت حياته كلها لله وفي سبيل الله ومن أجل الله تعالى، وهذا هو الإخلاص المطلق... ومن أهم المفردات الحياتية التي تواجه الانسان هي:

الصبر والعفو:

لقد تربى النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتربية القرآن الكريم، فكانت أخلاقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطابقة ومنسجمة مع القرآن الكريم. فقد ربى الله تعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأخلاق المثالية حتى أصبح مثلاً وقدوة، فقد أمره بعدة أمور ومن المعلوم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتخلف عن أوامر الله ونواهيه، ومن تلك الأخلاق التي أمره بها:

١ - قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٧). فأمره بمداراتهم وقبول عذرهم ودعوتهم إلى المعروف وأن يعرض عن الجاهلين وأن لا يخاصمهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ (٣٨).

- (٣٥) سورة الأحزاب: ٢١.
- (٣٦) سورة الأنعام: ١٦٢.
- (٣٧) سورة الأعراف: ١٩٩.
- (٣٨) سورة النساء: ١٠٥.

٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٣٩).

٣ - قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ (٤٠).

٤ - قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤١).

٥ - قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٤٢).

ثم أكمل الله تعالى ظاهره وباطنه، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤٣).

لقد كان للنبي ﷺ صبر ومقاومة واستقامة كبيرة أمام الأذى الكبير لمعارضيه، وكان له حلم وثبات أمام أراجيف الجاهلين ولم يتزلزل في تلك المسيرة أبداً فحصل على نتائج باهرة.

روى القاضي عياض في كتاب (الشفاء): أن النبي ﷺ في معركة أحد كسرت ربايعته وشقَّ وجهه، فانزعج الصحابة كثيراً وطلبوا من النبي ﷺ أن يدعو على الأعداء، فقال لهم: «إني لم أبعث لُعَانًا ولكني بُعِثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً». ثم دعا لهم بعد ذلك فقال: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» (٤٤).

وفي رواية أخرى: إن أحد الصحابة قال للنبي ﷺ: يا رسول الله! إن نوحاً ﷺ دعا على قومه، فقال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٤٥) ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا، فلقد وطىء ظهره، وأدمى وجهه، وكسرت ربايعته، فأبيت أن تقول إلا خيراً، فقلت: «اللهم اغفر

(٣٩) سورة النحل: ٩٠.

(٤٠) سورة لقمان: ١٧.

(٤١) سورة المائدة: ١٣.

(٤٢) سورة فصلت: ٣٤.

(٤٣) سورة القلم: ٤.

(٤٤) الشفا بتعريف

حقوق المصطفى، عياض

بن موسى اليحصبي: ج ١،

ص ٢٢١.

(٤٥) سورة نوح: ٢٦.

لقومي فإنهم لا يعلمون». ذكر القاضي عياض بعد ذلك: إن النبي ﷺ بما كان يتحلّى به من القيم الأخلاقية، والإحسان، وحسن الخلق، والصبر، والحلم، والاستقامة، لم يكتف بالسكوت، بل تعامل بلطف مع الأعداء ودعا لهم، وأظهر علة محبته لهم من خلال تعبيره بـ «قومي»، ثم اعتذر لهم بأنهم جاهلون^(٤٦).

٦ - كيفية استخدام الوسيلة:

بين الهدف والوسيلة نسخة تامة، فلا يمكن الوصول إلى المقاصد الإلهية بوسائل غير إلهية، ولا يمكن أن نحصد الحق من بذور الباطل، ولا يمكن إقامة العدل بواسطة الظلم.

و لم يأذن الله تعالى باستخدام الوسائل غير النقيّة والمشروعة للوصول إلى الأهداف السامية، ولا بالتمسك بالوسائل اللامشروعة لأجل الوصول إلى المقاصد المشروعة، فإن الغاية لا تبرّر الوسيلة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾^(٤٧).

و مع أنّ الآية الكريمة تتحدث عن الله تعالى ونفيه الاعتماد على الضالين فإنّ الله تعالى لا يحتاج إلى مُعين ومساعد، فضلاً عن كونه من الضالين؛ إلا أنّ هذا درس لطلاب الحق والحقيقة وهو أن لا يجعلوا الوسائل غير الصحيحة والأفراد الضالين عوناً لهم في سبيل الوصول إلى الأهداف السامية^(٤٨).

إنّ الذين تربّت أرواحهم بالتربية القرآنية طلبوا الحق عن طريق الحق وارتبطوا به، ولم يغفل رسول الله ﷺ - الذي كان خلقه القرآن - عن مراعاة هذا الأصل في حياته المباركة، وهذه من أعظم الدروس التي يجب أن نتعلّمها من سيرة النبي الأكرم ﷺ.

(٤٦) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض اليحصبي: ج ١، ص ٢٢١.

(٤٧) سورة الكهف: ٥١.

(٤٨) انظر: تفسير

الأمثل، الشيخ مكارم

الشيرازي: ج ١٢،

ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

إن رسول الله ﷺ لم يخرج أبداً عن الطريق الذي يوصله إلى هدفه المطلوب، سواء أكان في العقيدة أم في العمل، ولم يتخذ وسيلة باطلة لتعينة وتساعهده.

فالرسول ﷺ لم يخطئ في الطريق الذي ينتهي به إلى هذا الهدف^(٤٩)، قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٥٠).

ويبين الله تعالى أن رسوله ﷺ كان يلتزم دائماً بطريق الحق ولا ينحرف أبداً في القول والعمل^(٥١).

وكل أمر من أموره منطبق مع الحق، ليس فقط ما يقوله، بل سيرته وسنته أيضاً منطبقة مع الوحي الإلهي والحق^(٥٢).

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفتاح لما انغلق والمعلن الحق بالحق»^(٥٣).

وهو عليه السلام بهذا يعلم الناس كيف يصلون على النبي الأكرم ﷺ. فالرسول الأكرم ﷺ أقام الحق بالحق وأظهر دين الله بالقول الحق والثابت والصحيح.

ولم يتعد عن الحق أبداً ولم يرفع يده عن الحق لأجل الوصول إلى الهدف، وعمل باستمرار في طريق الحق بصدق وثبات.

وقد قال رسول الله ﷺ بأنه لم يعمل إلا بأمر الله تعالى، وقد أورد السيوطي: بأن رسول الله ﷺ أمر يوماً بأن تغلق أبواب البيوت التي تؤدي إلى داخل المسجد النبوي (سوى باب بيت علي عليه السلام).

وقد ثقل هذا الأمر على المسلمين حتى أن حمزة عم النبي ﷺ

(٤٩) انظر: تفسير الميزان،

السيد محمد حسين

الطباطبائي: ج ١٩، ص ٢٧.

(٥٠) سورة النجم: ٢-٤.

(٥١) انظر: تفسير الأمل

(الفارسي) الشيخ مكارم

الشيرازي: ج ٢٢، ص ٧٤٩.

(٥٢) تفسير الأمل

(الفارسي): ج ٢٢، ص

٤٨١.

(٥٣) نهج البلاغه،

خطب الإمام علي عليه السلام،

الخطبة: ٧٢.

اشتكى إلى النبي ﷺ بأنه كيف أغلقت، باب بيت عمك وأبي بكر، وعمر، والعباس، ولكنك تركت باب دار علي مفتوحاً (ورجحت علياً على الآخرين)؟ وعندما عرف النبي ﷺ ثقل ذلك عليهم دعاهم إلى المسجد وخطب فيهم خطبةً فريدةً في تمجيد الله وتوحيده، ثم قال: «أيها الناس ما أنا سدوتها ولا أنا فتحتها، ولا أنا أخرجتكم وأسكنته، ثم قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٥٤)(٥٥).

وهذا الحديث بين المنزلة السامية لأمير المؤمنين علي عليه السلام بين الأمة الإسلامية بعد النبي ﷺ، وهو يشير إلى أن أقوال النبي ﷺ ليست هي على طبق الوحي فقط، وإنما أعماله وتصرفاته أيضاً كذلك (٥٦).

إن رسول الله ﷺ لم يستخدم قط الوسائل غير الإلهية للوصول إلى الأهداف الإلهية. فقد كان دائماً يراعي الحق. ويذكر المحدثون وأصحاب السير بهذا الشأن: إن الرسول ﷺ كان يراعي الحق في سيرته حتى لو كان الحق عليه وعلى أصحابه. فقد قيل له يوماً: بأن يستعين بالمشركين لحرب المشركين، ولكنه - مع حاجته إلى الشخص الواحد في تحقيق الهدف الإلهي - لم يقبل هذا الاقتراح وقال: «لا أستنصر بمشرك» (٥٧).

وقد قيل له هذا الكلام في معركة أحد، حيث كان ﷺ بأمرس الحاجة إلى النصر. وقال الأنصار لرسول الله ﷺ: «ألا تستعين باليهود الذين تحالفوا معنا؟» فقال ﷺ: «لا حاجة لنا لهم» (٥٨).

(٥٤) سورة النجم: ١-٤.

(٥٥) الدر المنثور،

السيوطي: ج ٦، ص ١٢٢.

(٥٦) انظر: تفسير الأمل

(الفارسي) الشيخ مكارم

الشيرازي: ج ٢٢، ص ٤٨٢.

(٥٧) المحجة البيضاء،

الفيض الكاشاني: ج ٤،

ص ١٢٤. سنن ابن ماجه،

محمد القزويني: ج ٢،

ص ٩٤٥. وفي جوامع

السيرة النبوية لابن

حزم الأندلسي: ص ٣٣.

إحياء العلوم، الغزالي:

ج ٢، ص ٣٣٢.

(٥٨) سيرة ابن هشام،

ابن هشام: ج ٣، ص ٨.

وذكر الواقدي: أنه عندما وصل النبي ﷺ إلى بداية «الثنية»^(٥٩) واجه مجموعة من المقاتلين يتقدمون وهم يصيحون، فقال ﷺ: من هؤلاء؟ فقالوا: هم الحلفاء اليهود لابن أبي، فقال ﷺ: «لا يستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك»^(٦٠).

وذكر مثل هذه الرواية ابن سعد أيضاً^(٦١). وهذا درسٌ للجميع بأن لا يستعينوا لأجل الوصول إلى أهدافهم ومقاصدهم بأية وسيلة كانت^(٦٢).

فلم يظهر رسول الله ﷺ أي مرونةٍ مقابل المشركين. وروي عن ابن عباس: أن جماعة من ممثلي قبيلة «ثقيف» حضروا عند النبي ﷺ وقالوا له: نحن نؤمن بك ونباعك بثلاثة شروط: الأول: أن تأذن لنا بعدم الصلاة والركوع والسجود والإنحناء أمام الله تعالى.

الثاني: أن لا تأمرنا بتحطيم أصنامنا بأيدينا. الثالث: أن تمهلنا إلى سنة نعبد فيها الأصنام ثم نسلم. فقال لهم رسول الله ﷺ: الشرط الأول لا نقبله، فالدين الذي ليس فيه صلاة وركوع وسجود لا قيمة له. وأما الشرط الثاني، فنقبله فنأمر المسلمين الآخرين أن يحطّموا أصنامكم. وأما الشرط الثالث، فلا نأذن لكم أبداً بعبادة اللات^(٦٣).

وماذا سيحصل لو قبل النبي ﷺ شروطهم؟ إن الإسلام مدرسة التوحيد ولا يتلائم أبداً مع الشرك؛ ولا يأذن لأحد من أجل الوصول إلى الحكم والسلطة أن يستخدم الأساليب غير الإلهية.

(٥٩) «ثنية الوداع»: اسم عَقَبَة مُشْرِفَة على المدينة والذي يذهب إلي مكة يجب أن يمر بها: مراد من الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صفي الدين البغدادي: ج ١، ص ٣٠١. (٦٠) المغازي، الواقدي: ج ١، ص ٢١٥-٢١٦.

(٦١) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج ٢، ص ٣٩. (٦٢) وقد سار الإمام الخميني ﷺ متأسبياً بالنبي ﷺ عندما قيل له في باريس: هل يمكن لكم أن تتحدوا مع الماركسيين اتحاداً تكتيكياً لأجل إسقاط الشاه؟ فقال: لا، نحن لا نتحد مع الماركسيين حتى لأجل إسقاط الشاه... وإذا وصلوا يوماً إلى السلطة فسوف يؤسسون نظاماً دكتاتورياً.. صحيفة نور:

ج ٢، ص ٤٥. (٦٣) انظر: المناقب، ابن شهر آشوب: ج ١، ص ٥٧. بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ١٨، ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٦٤) نقل في هذا المجال عدة أقوال. راجع: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج ١، ص ١٤٠-١٤٢. المراسيل، أبو داود السجستاني: ص ٣٠٨. سيره نبوي منطوق عملي، مصطفى دلشاد: ص ١٥٨. (٦٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج ١، ص ١٣٨-١٤٠. أنساب الأشراف، البلاذري: ج ١، ص ٤٠١-٤٥٢. الكافي، الشيخ الكليني: ج ٣، ص ٢٦٢-٢٦٣. أسد الغابة، ابن الأثير: ج ١، ص ٤٩-٥٠. بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٢٢، ص ١٥٧. (٦٦) سورة النحل: ١٢٥.

إن رسول الله ﷺ لم يستخدم الوسائل غير المشروعة من أجل نشر الدين والعقيدة وتحكيم سلطته وحكمه. وعندما توفي إبراهيم ابنه سنحت الفرصة للاستفادة من الوسيلة غير المقدسة في سبيل تحقيق الأهداف المقدسة في المجتمع، ولكن رسول الله ﷺ وقف بشدة أمام ذلك وأغلق باب نفوذ ذلك. فقد كان إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من «مارية» القبطية وكان ﷺ يحبه كثيراً وتوفي وله من العمر ١٨ شهراً^(٦٤)، وقد تأثر رسول الله ﷺ - الذي كان معدناً للرحمة والعاطفة - جداً وبكى وقال: «إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وأنا بفراقك لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضي ربنا»^(٦٥). وقد حزن المسلمون جميعهم بسبب حزن رسول الله ﷺ، وقد كسفت الشمس في ذلك اليوم، فقال المسلمون: إن كسوف الشمس حصل نتيجة توافق العالم العلوي مع العالم السفلي ومع رسول الله ﷺ.

وبالنتيجة صارت هذه الحادثة سبباً لاشتداد عقيدة الناس وإيمانهم بالنبي ﷺ، إلا أن النبي ﷺ لم يكن يريد الاستفادة من نقاط ضعف الناس وجهلهم لأجل هدايتهم، وذلك لأن القرآن قد أمره قائلاً: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٦٦).

ولذلك فالنبي ﷺ لم يسكت أزاء تلك المشاعر ولم يقل إن الناس فهموا الأمر هكذا، وعليه فأنا أسكت أيضاً. بل أن النبي ﷺ خطب الناس ووضح لهم: أن الشمس قد كسفت،

ولكن لم يكن سبب ذلك وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ، وبهذا سدّ الباب على هذا المنطق والتفكير^(٦٧).

هكذا كانت السيرة العملية لرسول الله ﷺ والمنطق العملي له، وقد مشى على هذا المنوال جميع من تربّى في مدرسة النبي ﷺ، ولم يستعملوا الوسائل غير المقدسة للوصول إلى الأهداف المقدسة؛ ولم يتخذوا الشرّ للوصول إلى الخير، ولم يعتمدوا على الظلم لتحقيق العدالة، ولم يعملوا بالاستبداد من أجل استحكام سلطتهم، ولم يركنوا إلى الظالمين للتقدّم في الأمور، ولم يتمسكوا بالأساليب الباطلة^(٦٨).

٧- الزهد والبساطة في العيش:

لقد كان الزهد في الدنيا من أبرز مظاهر حياة الأنبياء وأوصيائهم. ويعجب الإنسان لبساطتهم في السلوك والمعاشرة وجوانب الحياة جميعها.

فقد عدّوا البساطة في العيش أصلاً أساسياً، وكانوا ينزعجون من مظاهر الجلال والأبهة الظاهرية، وقد كانت بساطتهم في العيش وزهدهم في الحياة قد ملأت القلوب حباً لهم.

وقد امتازت سيرة نبينا الأكرم ﷺ بذلك فكانت محلاً للإتباع والإقتداء، ولذلك قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٦٩).

وهذا يعني أن النبي ﷺ مصدرٌ للمسلمين يمكن لهم أن يستخرجوا من سلوكه الأعمال والسلوك والواجبات في حياتهم^(٧٠).

(٦٧) انظر: سيره نبوي منطوق عملي (فارسي)، مصطفي دلشاد: ص ١٣٥.
(٦٨) انظر: سيره نبوي منطوق عملي (فارسي)، مصطفي دلشاد: ص ١٣٦.
(٦٩) سورة الأحزاب: ٢١.
(٧٠) انظر: أفعال الرسول ودلالاتها على أحكام الشريعة، محمد سليمان الأشقر: ج ١، ص ١٨٩-٢٠١.

لقد كان رسول الله ﷺ أنموذجاً كاملاً للبساطة في العيش، وقد وصفه الإمام علي عليه السلام فقال: « ولقد كان في رسول الله ﷺ كافٍ لك في الأسوة، ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها، وكثرة مخازيها ومساوئها، إذ قبضت عنه أطرافها، ووطئت لغيره أكنافها، وفُطم عن رضاعها، وزوي عن زخارفها»^(٧١).

لقد كانت البساطة صفة لحياة رسول الله ﷺ وكان يعيش بعيداً عن التظاهر بالمظاهر، وكان يقول: « آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد، فإنما أنا عبد»^(٧٢).

الخلاصة والنتيجة:

بعد دراستنا لحياة النبي الأكرم ﷺ نصل إلى النتيجة الآتية: وهي أنّ حياة النبي ﷺ كانت فيها موارد عديدة حول البصيرة، وهذه الموارد جميعها مستندة إلى القرآن الكريم، ولم يعمل النبي ﷺ عملاً من نفسه، وإنما طرح القرآن الكريم سيرته باعتبارها أسوة حسنة، ولهذا كانت حياته في المراحل جميعها تعطينا البصيرة والفهم، وعلى سبيل المثال: الوسائل اللازمة في الدعوة إلى الإسلام، ضرورة الدعوة إلى الاتحاد، والجدال بالأحسن، وفي شؤون الحياة والموت، وكيفية استخدام الوسائل المشروعة للوصول إلى الأهداف النبيلة، وضرورة الزهد في الحياة.

وهناك موارد كثيرة للبصيرة في حياته ﷺ لم نذكرها تجنباً للإطالة.

(٧١) نهج البلاغة،

خطب الإمام علي عليه السلام،

الخطبة ١٦٠.

(٧٢) الطبقات الكبرى،

ابن سعد: ج ١، ص ٣٧١،

شرح ابن أبي الحديد

المعتزلي، هبة الله

المعتزلي: ج ٩، ص ٢٣٤.

المصادر والمراجع

- ١ - الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، صحح بإشراف عبد العزيز عز الدين، دارالقلم، بيروت.
- ٢ - الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت.
- ٣ - ابن الأثير الجزري، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٤ - الأشقر، محمد سليمان، أفعال الرسول ودلالاتها على أحكام الشريعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨ هـ.
- ٥ - الخوري الشرتوني، سعيد، أقرب الموارد، أوفست مكتبة المرعشي النجفي، ١٤٠٣ هـ.
- ٦ - البلاذري، أبو الحسن بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩٤ هـ.
- ٧ - المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- ٨ - الزبيدي، محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٦٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- ٩ - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ١٠ - الجوادى الأملي، تفسير موضوعي قرآن كريم.. مركز نشر إسرائ، ط ٣٠، ١٣٨٢ هـ ش.
- ١١ - الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل (نمونه فارسي)، ط ١٦٠، ١٣٧٨ هـ ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.

- ١٢ - الاندلسي، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، جوامع السيرة النبوية، الطبعة الثالثة، دار الجيل، بيروت.
- ١٣ - السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الدر المنثور في تفسير المأثور، دار الفكر، بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ١٤ - القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٥ هـ.
- ١٥ - القمي، الشيخ عباس، سيرت پیامبر أعظم ومهربان، المترجم: الأستاذ محمدي اشتهاردي، ط ١٠، ١٣٨٥ ش.
- ١٦ - ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، سيرة النبي ﷺ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- ١٧ - دلشاد، مصطفى، سيره نبوي منطق عملي، منظمة الطبع والنشر في وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، ط ١٠، ١٣٧٤ ش.
- ١٨ - المعتزلي، عز الدين هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١٠، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٣٧٨ هـ.
- ١٩ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٥ هـ.
- ٢٠ - الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨ هـ.
- ٢١ - الطريحي، فخر الدين بن محمد، مجمع البحرين، المكتبة المرتضوية، طهران، ١٣٦٢ ش.
- ٢٢ - الفيض الكاشاني، محمد بن مرتضي، المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط ٢٠، دفتر انتشارات اسلامي.

- ٢٣- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، المراسيل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨ هـ.
- ٢٤- ابن فارس، أبو الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ط ٢٠، شركة ومطبعة الحلبي، مصر ١٣٨٩ هـ.
- ٢٥- أبو عبد الله محمد بن عمر، المغازي، تحقيق: مرسدن جونز، ط ٣٠، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٠٩ هـ.
- ٢٦- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م.
- ٢٧- ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- ٢٨- الهاشمي الخوئي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، مؤسسة دار العلم، قم، ١٣٧٩ هـ.
- ٢٩- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتب الإسلامية، قم، ١٣٩٣.
- ٣٠- نهج البلاغة، كلام أمير المؤمنين عليه السلام، ترجمة، الأستاذ عزيز الله كاسب، ط ٤٠، نشر محمد، ١٣٨٦ هـ. ش.
- ٣١- البحراني، السيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة - قم.
- ٣٢- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، الناشر: دار الكتب المصرية، ١٣٦٤.
- ٣٣- الصدوق، محمد بن علي، الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣ هـ.
- ٣٤- البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن تحقيق: السيد جلال الدين

- الحسيني، الناشر: دار الكتب الإسلامية طهران، ١٣٣٠ش.
- ٣٥- الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني، الناشر: دار الحديث، ط ١.
- ٣٦- محمد عصمت، فن التوجيه، مجلة النبأ، العدد ٣٧، جمادي الثانية، ١٤٢٠هـ.
- ٣٧- اليحصبي، عياضي الشفا بتعريف حقوق المصطفى، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.
- ٣٨- الغزالي، أبو حامد، إحياء العلوم، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت.
- ٣٩- البغدادي، صفى الدين، مرصد الاطلاع عن أسماء الأمكفة والبقاع.
- ٤٠- الواقدي محمد بن عمر، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: نشر دانش اسلامي، ١٤٠٥هـ.
- ٤١- الخميني، روح الله، صحيفة نور.
- ٤٢- ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الناشر: الحيدرية - النجف الأشرف - ١٩٥٦م.
- ٤٣- المعجم العربي الأساسي، مجموعة من اللغويين العرب.

١٠

موقف الذكر الحكيم
من رؤية الله تعالى / ق ٣

الشيخ أحمد المحمداوي
باحث إسلامي

المقدمة

إن المسائل العقديّة يستدلُّ عليها بالأدلة القطعية لا بالقراءات العابرة التي لا يحتج بها على الحكم الشرعي فضلاً عن العقدي، وإن إقامة البراهين العقلية الرصينة التي لا تهتز لمجرد الاحتمالات والإيرادات هو المراد والمطلوب في إثباتها النادر أو الشاذ، وأما الاحتجاج بالكلام فهو لا يسمن ولا يغني عن جوع، ولا سيما في الأمور العقديّة، وقد لاحظنا أدلة المثبتين للرؤية كيف انهارت أمام ردّ النافين، وفي هذا البحث سوف نكمل بقية الآيات التي تشبّثوا بها لإثبات ما ذهبوا إليه من رؤية الله تعالى.

آيات اللقاء:

استدلّ القائلون بالرؤية بآيات قرآنية أخرى، منها:

(١) سورة الكهف: ١١٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٣.

(٣) سورة الأحزاب: ٤٤.

(٤) سورة البقرة: ٢٤٩.

١ - قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ

مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

٣ - قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا

كَرِيمًا﴾^(٣).

٤ - قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ

قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٤).

يعني: من كان يؤمن بأنه مبعوث فإن وعد الله لآتٍ من الثواب والعقاب، فاللقاء هنا ليس بالرؤية، واللقاء هو: البعث وهو السميع لأقوال العباد العليم بعقائدهم وأعمالهم، ومن جاهد نفسه

عن اللذات والشهوات والمعاصي فإنما يجاهد لنفسه؛ لأن منفعته لها أن الله لغني عن العالمين فلا حاجة به إلى طاعتهم.

وعن الإمام علي عليه السلام في حديث طويل «وقد سأله رجل عن آيات من القرآن وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾^(٥) يعني بقوله: «من كان يؤمن بأنه مبعوث فإن وعد الله لآت من الثواب والعقاب، فاللقاء ههنا ليس بالرؤية، واللقاء هو البعث فافهم جميع ما في كتاب الله من لقاءه فإنه يعني بذلك البعث»^(٦).

وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ﴾ مشتمل على إجمال الدعوة الدينية وهو العمل الصالح لوجه الله وحده لا شريك له، وقد فرّعه على رجاء لقاء الرب تعالى وهو الرجوع إليه، إذ لولا الحساب والجزاء لم يكن للأخذ بالدين والتلبس بالاعتقاد والعمل موجب يدعو إليه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(٧).

«وقد رتب على الاعتقاد بالمعاد العمل الصالح وعدم الإشراك بعبادة الرب؛ لأن الاعتقاد بالوحدانية مع الإشراك في العمل متناقضان لا يجتمعان فالإله تعالى لو كان واحداً، فهو واحد في جميع صفاته ومنها المعبودية لا شريك له فيها»^(٨).

وقد رتب الأخذ بالدين على رجاء المعاد دون القطع به، لأن احتمال كافي في وجوب التحذر منه لوجوب دفع الضرر المحتمل، وربما قيل: إن المراد باللقاء لقاء الكرامة وهو مرجو لا مقطوع به.

(٥) سورة العنكبوت: ٥.

(٦) الميزان في تفسير

القرآن، العلامة

الطباطبائي: ج ١٦، ص ٥٦.

(٧) سورة ص: ٢٦.

(٨) الميزان في تفسير

القرآن، العلامة

الطباطبائي: ج ١٢، ص

٢١١.

وقد فرّع رجاء لقاء الله على قوله: ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾، لأن رجوع العباد إلى الله سبحانه من تمام معنى الألوهية فله تعالى كل كمال مطلوب وكل وصف جميل، ومنها فعل الحق والحكم بالعدل وهما يقتضيان رجوع عباده إليه والقضاء بينهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾^(٩).

وعن ابن عباس قال: كان جندب بن زهير إذا صَلَّى أو صام أو تصدَّق فذكر بخير ارتاح له فزاد في ذلك لمقالة الناس، فلامه الله، فنزل في ذلك ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١٠).

أقول: وورد نحو منه في روايات أخرى من غير ذكر الاسم، وينبغي أن يحمل على انطباق الآية على المورد، فمن المستبعد أن ينزل خاتمة سورة من السور لسبب خاص بنفسها.

وعن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر في الآية قال النبي ﷺ: «إِنْ رَبِّكُمْ يَقُولُ: أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِيَ فِي عَمَلِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِي تَرَكْتُ الْعَمَلَ كُلَّهُ لَهُ، وَلَمْ أَقْبَلْ إِلَّا مَا كَانَ لِي خَالِصًا، ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾»^(١١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ مِنْ أَشْرَكَ بِي فِي عَمَلِهِ لَمْ أَقْبَلْهُ إِلَّا مَا كَانَ لِي خَالِصًا»^(١٢).

(٩) سورة ص: ٢٧-٢٨.

(١٠) الدر المنثور،

السيوطي: ج ٤، ص ٢٥٥.

(١١) المصدر السابق.

(١٢) الكافي، الكليني:

ج ٢، ص ٢٩٥. الميزان

في تفسير القرآن،

العلامة الطباطبائي: ج

١٦، ص ٥٦.

بعد هذا البيان المختصر والذي وضحنا من خلاله أن اللقاء لا يُقصد منه الرؤية وهو بعيد كل البعد عنها.
ولكن الغالبية إذا لم نقل جميع مفسري أبناء العامة قد ذهبوا إلى القول بالرؤية اعتماداً على جملة من الأخبار الضعيفة كما جاء في محله.

ولنأخذ نماذج من تفاسير المثبتين للرؤية، في تفسير آيات اللقاء، وهي على سبيل المثال لا الحصر لكي لا يطول بنا المقام أكثر. ولنبدأ بتفسير الألوسي، حيث قال: «وقيل: اللقاء على حقيقته والكلام على حذف مضاف أيضاً، أي: من كان يؤمل لقاء ثواب ربه فيعمل... وقيل: المراد منه رؤيته سبحانه، أي: من كان يؤمل رؤيته تعالى يوم القيامة وهو راض عنه فيعمل...».
وأما (تفسير الرازي) فقد فسّر آيات اللقاء في موارد عدة من تفسيره، فقال: «بقي هنا مسألتان:

(١٣) سورة التوبة: ٧٧.

(١٤) سورة الفرقان: ٦٨.

(١٥) سورة البقرة: ٢٢٣.

المسألة الأولى: استدل بعض الأصحاب بقوله: ﴿مَلَأُوا رِبَّهُمْ﴾ على جواز رؤية الله تعالى، وقالت المعتزلة: لفظ اللقاء لا يفيد الرؤية، والدليل عليه الآية، والخبر، والعرف. أما الآية، فقوله تعالى: ﴿أَعْبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾^(١٣)، والمنافق لا يرى ربه، وقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾^(١٤) وقال تعالى في معرض التهديد: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾^(١٥)، فهذا يتناول الكافر والمؤمن، والرؤية لا تثبت للكافر فعلماً أن اللقاء ليس عبارة عن الرؤية.

وأما الخبر فقوله عليه السلام «من حلف على يمين ليقتطع بها مال

امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان»^(١٦) وليس المراد رأى الله تعالى؛ لأن ذلك وصف أهل النار، وأما العرف، فهو قول المسلمين فيمن مات: لقي الله، ولا يعنون أنه رأى الله عز وجل، وأيضاً فاللقاء يراد به القرب ممن يلقاه على وجه يزول الحجاب بينهما. ولذلك يقول الرجل إذا حجب عن الأمير: ما لقيته بعد، وإن كان قد رآه، وإذا أذن له في الدخول عليه يقول: لقيته، وإن كان ضريباً، ويقال: لقي فلان جهداً شديداً ولقيت من فلان الداهية. ولاقى فلان حمامه، وكل ذلك يدل على أن اللقاء ليس عبارة عن الرؤية. ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾^(١٧).

وهذا إنما يصح في حق الجسم ولا يصح على الله تعالى. قال الأصحاب: اللقاء في أصل اللغة عبارة عن وصول أحد الجسمين إلى الآخر بحيث يماسه بمسطحة يقال: لقي هذا ذاك إذا ماسه واتصل به، ولما كانت الملاقة بين الجنسين المدركين سبباً لحصول الإدراك فحيث يمتنع إجراء اللفظ على المماسه وجب حمله على الإدراك، لأن إطلاق لفظ السبب على المسبب من أقوى وجوه المجاز.

فثبت أنه يجب حمله لفظ اللقاء على الإدراك أكثر ما في الباب أنه ترك هذا المعنى في بعض الصور لدليل يخصه فوجب إجراؤه على الإدراك في البواقي، وعلى هذا التقرير زالت السؤالات.

أما قوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾^(١٨)،

(١٦) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج ١، ص ٤٢٦.
(١٧) سورة القمر: ١٢.
(١٨) سورة التوبة: ٧٧.

والمناقق لا يرى ربه. قلنا: فلأجل هذه الضرورة المراد إلى يوم
يلقون حسابه وحكمه، إلا أن هذا الإضمار على خلاف الدليل وإنما
يصار إليه عند الضرورة. ففي هذا الموضع لما اضطررنا إليه اعتبرناه.
«وأما في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ مُّلاقُوا رَبِّهِمْ﴾ لا ضرورة في
صرف اللفظ عن ظاهره ولا في إضمار هذه الزيادة، فلا جرم
وجب تعليق اللقاء بالله تعالى لا بحكم الله، فإن اشتغلوا بذكر
الدلائل العقلية التي تمنع من جواز الرؤية بيّنا ضعفها وحينئذ
يستقيم التمسك بالظاهر من هذا الوجه»^(١٩) وفي موضع آخر قال:
(ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ وأعلم أن الدلائل المذكورة
كما تدلّ على وجود الصانع الحكيم فهي أيضاً تدلّ على صحة
القول بالحشر والنشر؛ لأن من قدر على خلق هذه الأشياء
وتدبيرها على عظمتها وكثرتها فلأن يقدر على الحشر والنشر
كان أولى.

يروى: أن رجلاً قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «أنه تعالى كيف
يحاسب الخلق دفعة واحدة، فقال: كما يرزقهم الآن دفعة
واحدة، وكما يسمع نداءهم ويجيب دعاءهم الآن دفعة واحدة.
وحاصل الكلام: أنه تعالى كما قدر على إبقاء الأجرام الفلكية
والنيرات الكوكبية في الجو العالي وإن كان الخلق عاجزين عنه،
وكما يمكنه أن يدبر من فوق العرش إلى ما تحت الثرى بحيث
لا يشغله شأن عن شأن، فكذلك يحاسب الخلق بحيث لا يشغله
شأن عن شأن، ومن الأصحاب من تمسك بلفظ اللقاء على رؤية
الله تعالى، وقد مرّ تقريره في هذا الكتاب مراراً وأطواراً»^(٢٠).

(١٩) مفاتيح الغيب
(تفسير الرازي) الرازي:
باب ٤٦، ج ٢، ص ٧٢.
(٢٠) المصدر نفسه الباب
الثاني: ج ٩، ص ١٣٦.

وفي مورد آخر ذكر: «لقاء الله عبارة عن رؤيته بدليل أنه يقال: لقيت فلاناً، أي: رأيته، فإن قيل: اللقاء عبارة عن الوصول، قال تعالى: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾^(٢١) وذلك في حق الله تعالى محال، فوجب حمله على لقاء ثواب الله، والجواب: أن لفظ اللقاء، وإن كان في الأصل عبارة عن الوصول والملاقاة إلا أن استعماله في الرؤية مجاز ظاهر مشهور، والذي يقولونه: من أن المراد منه لقاء ثواب الله، فهو لا يتم إلا بالإضمار، ومن المعلوم أن حمل اللفظ على المجاز المتعارف المشهور أولى من حمله على ما يحتاج معه إلى الإضمار»^(٢٢).

ويقول في مكان آخر:

المسألة الثانية: المجسمة تمسكوا بقوله تعالى: ﴿لِقَاءَنَا﴾ أنه جسم، وقالوا: اللقاء هو الوصول، يقال: هذا الجسم لقي ذلك، أي: وصل إليه واتصل به، وقال تعالى: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾^(٢٣) فدلّت الآية على أنه سبحانه جسم.

والجواب على طريقتين:

الطريق الأول: طريق بعض أصحابنا، قال: المراد من اللقاء هو الرؤية، وذلك لأن الرائي يصل برؤيته إلى حقيقة المرئي فسمي اللقاء أحد أنواع الرؤية.

والنوع الآخر الاتصال والمماسّة، فدلّت الآية من هذا الوجه على جواز الرؤية.

الطريق الثاني: وهو كلام المعتزلة، قال القاضي: تفسير اللقاء برؤية البصر جهل باللغة، فيقال في الدعاء: لقاك الله الخير.

(٢١) سورة القمر: ١٢.

(٢٢) مفاتيح الغيب

(تفسير الرازي) الرازي:

باب ١٠٢، ج ١٠، ص ٢٥٤.

(٢٣) سورة القمر: ١٢.

وقد يقول القائل: لم ألق الأمير وإن رآه من بُعد أو حجب عنه، ويقال في الضرير: لقي الأمير إذا أذن له ولم يحجب، وقد يلقاه في الليلة الظلماء، ولا يراه، بل المراد من اللقاء ههنا هو المصير إلى حكمه حيث لا حكم لغيره في يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً لأن رؤية البصر، وأعلم أن هذا الكلام ضعيف لأننا لا نفسر اللقاء برؤية البصر، بل نفسره بمعنى مشترك بين رؤية البصر، وبين الاتصال والتماسه، وهو الوصول إلى الشيء، وقد بينا أن الرائي يصل برؤيته إلى المرئي واللفظ الموضوع لمعنى مشترك بين معان كثيرة، ينطلق على كل واحد من تلك المعاني فيصح قوله: لقاك الخير، ويصح قول الأعمى: لقيت الأمير، ويصح قول البصير: لقيته بمعنى رأيته وما لقيته بمعنى ما وصلت إليه، وإذا ثبت هذا فنقول: قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ مذكور في معرض الذم لهم، فوجب أن يكون رجاء اللقاء حاصلًا، ومسمى اللقاء مشترك بين الوصول المكاني، وبين الوصول بالرؤية، وقد تعذر الأول فتعين الثاني، وقوله المراد من اللقاء الوصول إلى حكمه صرف للفظ عن ظاهره بغير دليل، فثبت دلالة الآية على صحة الرؤية، بل على وجوبها، بل على أن إنكارها ليس إلا من دين الكفار»^(٢٤).

لكن هذا الاستدلال ممكن أن يلاحظ عليه:

إن اللقاء كما أضيف في هذه الآيات إليه سبحانه، كذلك أضيف إلى غيره في سائر الآيات، فتارة أضيف إلى لفظ الآخرة، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾^(٢٥)،

(٢٤) مفاتيح الغيب
(تفسير الرازي)، الرازي:
باب ٢١ ج ١١ ص ٤٠٥.
(٢٥) سورة الأعراف:
١٤٧.

وقال: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ (٢٦).
 وأخرى إلى لفظ اليوم، قال سبحانه: ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ
 وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ (٢٧)، وقال سبحانه: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ
 نَنسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ (٢٨).

وعلى ذلك يكون المراد من الجميع هو لقاء الناس يوم
 الجزاء، بمعنى حضور الناس في يوم القيامة للمحاسبة والمجازاة،
 إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وإنما سمي هذا بلقاء الرب أو لقاء
 الله لما تعلقت مشيئته على مجازاة المحسنين والمسيئين في ذلك
 اليوم، فبما أنه سبحانه يجزي المحسن والمسيء في ذلك اليوم
 فكانهم يلقونه سبحانه فيه لا قبله.

وفي الآيات نفسها التي استدل بها ذلك قرينة واضحة على أن
 المراد من الآيات هو الحضور يوم القيامة، وهي أنه سبحانه يأمر
 لمن يرجو لقاء الرب بالعمل الصالح ويقول: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو
 لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾، أي: فليستعد لذلك اليوم بالعمل
 الصالح، كما أنه في آية أخرى يأمر بتقديم شيء لهذا اليوم ويقول:
 ﴿وَقَدِّمُوا لأنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ (٢٩)، وذلك
 لأن مقتضى العلم بالحشر في ذلك اليوم والمحاسبة والمجازاة هو
 تقديم الأعمال الصالحة.

والذي يدل على أن المراد من اللقاء ليس هو الرؤية، هو أن
 الرؤية تختص بالمؤمنين ولا تعم الكافرين، مع أنه سبحانه يعمم
 اللقاء بالمؤمن والكافر، فيقول: ﴿فَاعْقِبْهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ
 يَلْقَوْنَهُ﴾ (٣٠)، فلو كان المراد من لقاء الله هو مشاهدته ورؤيته

(٢٦) سورة المؤمنون:

٣٣.

(٢٧) سورة الزمر: ٧١.

(٢٨) سورة الجاثية: ٣٤.

(٢٩) البقرة: ٢٢٣.

(٣٠) سورة التوبة: ٧.

فيلزم أن يكون المنافق مشاهداً له، فلم تبق أي فضيلة للمؤمنين، مع أن القائلين بالرؤية يزعمون بأن الرؤية فضيلة وزيادة تختص بالمؤمنين.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعَيَانِ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ» ^(٣١).

وفي الختام نقول: إن منزلة آيات اللقاء هي منزلة آيات الرجوع إلى الله، قال سبحانه: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ^(٣٢) ولم نر سلفياً أو أشعرياً يستدل بها على رؤية الله سبحانه، مع أن وزان الجميع واحد.

آية الحجب:

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ^(٣٣).

ثم قال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾. «قال الحسن وقتادة: هم محجوبون عن إحسانه. وقيل: عن كرامته. وقيل: لممنوعون. وأصل الحجب المنع. ومنه قولهم: الإخوة تحجب الأم عن الثلث إلى السدس» ^(٣٤).

فقال: «إن الله تعالى لا يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عنه فيه عباده، ولكنه يعني أنهم عن ثواب ربهم محجوبون» ^(٣٥).

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ «ردع عن كسب الذنوب الحائلة بين القلب وإدراك الحق، والمراد بكونهم محجوبين عن ربهم يوم القيامة: حرمانهم من كرامة

(٣١) نهج البلاغه،

خطب الإمام علي عليه السلام

الخطبة رقم ١٧٩، ص ٢٥٨.

(٣٢) سورة البقرة: ١٥٦.

(٣٣) سورة المطففين:

١٤-١٧.

(٣٤) التبيان في تفسير

القرآن، الطوسي: ج ١،

ص ٢٩٠.

(٣٥) تفسير نور الثقلين،

الحويزي: ج ٥، ص ٦٦.

القرب والمنزلة ولعله مراد من قال: إن المراد كونهم محجوبين عن رحمة ربهم»^(٣٦).

١ - تفسير الطبري^(٣٧):

إذ يقول في تفسير هذه الآية في القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾. «يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يقول هؤلاء المكذبون بيوم الدين، من أن لهم عند الله زُلْفَةً، إنهم يومئذ عن ربهم لمحجوبون، فلا يرونه، ولا يرون شيئاً من كرامته يصل إليهم.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، فقال بعضهم: معنى ذلك: إنهم محجوبون عن كرامته.

حدثني علي بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن خليد، عن قتادة: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.. هو لا ينظر إليهم، ولا يزيكهم، ولهم عذاب أليم...

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنهم محجوبون عن رؤية ربهم. أقول: كشف الحجاب الذي يقول به أين دليله في الآية، وهي تتحدث عن أناس عصوا وتمردوا على أوامر الله وكيفية عذابهم وهم أحوج الخلق إلى رحمة الله سبحانه وتعالى في يوم الحساب هذا اليوم الذي يتحدث عنه القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٣٨) فهم في أمس الحاجة إلى رحمة الباري، ولكن الرين الذي انبنى

(٣٦) تفسير الميزان،

العلامة الطباطبائي:

ج ٢٠، ص ١٢٠.

(٣٧) تفسير الطبري،

الطبري: ج ٢٤، ص ٢٩٠.

(٣٨) سورة الحج: ٢.

على تلك القلوب العاصية حجبتهم عن هذه الرحمة المنشودة. ثم يكمل فيقول: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم أنهم عن رؤيته محجوبون. ويُحتمل أن يكون مراداً به الحجاب عن كرامته، وأن يكون مراداً به الحجاب عن ذلك كله، ولا دلالة في الآية تدلّ على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى منه دون معنى، ولا خبر به عن رسول الله ﷺ قامت حجته.

فالصواب أن يقال: هم محجوبون عن رؤيته، وعن كرامته إذ كان الخبر عاماً، لا دلالة على خصوصه» (٣٩).

ويمكن أن يقال له: كما أنه لا دلالة على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة حال هؤلاء الذين تقول بحجبهم، ولا يوجد معيّن على تخصيص الآية بذلك، بل المعنى الراجح لسياق الآيات التي سبقتها والتي تلتها هو أنهم عن رحمة الله وكرامته وإحسانه لمحجوبون، والسورة تتحدث عن يوم الحساب الذي يجتمع فيه المؤمن والكافر على حدّ سواء، ولا يوجد فيه استثناء في الآية لأحد فمن أين التخصيص والحجب عن رؤية الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٢ - تفسير الآلوسي:

إذ قال (٤٠): ﴿كَلَّا﴾ ردّع وزجر عن الكسب الرائن، أو بمعنى حقاً ﴿أَنَّهُمْ﴾، أي: هؤلاء المكذبين ﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَّحْجُوبُونَ﴾ لا يرونه سبحانه وهو عزّ وجلّ حاضر ناظر لهم بخلاف المؤمنين، فالحجاب مجاز عن عدم الرؤية، لأن المحجوب

(٣٩) تفسير الطبري،
الطبري: الباب ١٨،
ج ٢٤، ص ٢٩٠.
(٤٠) تفسير الآلوسي،
الآلوسي: باب ١٨،
ج ٢٢، ص ٢٧٠.

لا يرى ما حجب، أو الحجب المنع والكلام على حذف مضاف، أي: عن رؤية ربهم لممنوعون، فلا يروونه سبحانه واحتج بالآية مالك على رؤية المؤمنين له تعالى من جهة دليل الخطاب وإلا فلو حجب الكل لما أغنى هذا التخصيص.

وقال الشافعي: لما حجب سبحانه قوماً بالسخط دلَّ على أن قوماً يروونه بالرضا. وقال أنس بن مالك: لما حجب عزَّ وجلَّ أعداءه سبحانه فلم يروه تجلَّى جلَّ شأنه لأوليائه حتى رأوه عزَّ وجلَّ ومن أنكر رؤيته تعالى كالمعتزلة قال: إن الكلام تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم؛ لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم إلا الأذنياء المهانون عندهم، كما قال:

إذا اعتروا باب ذي عيبة رجبوا والناس من بين مرجوب ومحجوب
وعن مجاهد، تقدير ذلك، وعن ابن كيسان تقدير الكرامة لكنهم أرادوا عموم المقدر لرؤية وغيرها من أطفاه تعالى، والجار والمجرور متعلق بـ (محجوبون) وهو العامل في يومئذ، والتنوين فيه تنوين عوض والمعوض عنه هنا ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ السابق، كأنه قيل: إنهم لمحجوبون عن ربهم يوم إذ يقوم الناس لرب العالمين».

ولو تمعنا في هذا الكلام كلَّه نجده مبني على الاحتمالات، وهو تحكّم وليس عليه دليل تركز النفس إليه ويتخذ كعقيدة ويكفر من لم يؤمن بها، بل هو مجرد آراء انتجته بعض الأفكار التي تؤمن بهذا المذهب لا غير!!

٣- تفسير الرازي^(٤١):

قال: «أما قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ فاعلم أنهم ذكروا في ﴿كَلَّا﴾ وجوهاً: أحدها: قال صاحب (الكشاف): «﴿كَلَّا﴾ ردع عن الكسب الرائن عن قلوبهم».

وثانيها: قال القفال: «إن الله تعالى حكى في سائر السور عن هذا المعتدي الأثيم أنه كان يقول إن كانت الآخرة حقاً، فإن الله تعالى يعطيه مالا وولداً، ثم إنه تعالى كذبه في هذه المقالة، فقال: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾^(٤٢)، وقال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِحَسَنِي﴾^(٤٣)، ولما كان هذا مما قد تردد ذكره في القرآن ترك الله ذكره ههنا وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، أي: ليس الأمر كما يقولون: من أن لهم في الآخرة حسنى، بل هم عن ربهم يومئذ لمحجوبون.

وثانيها: أن يكون ذلك تكريراً، وتكون ﴿كَلَّا﴾ هذه هي المذكورة في قوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ﴾ أما قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، فقد احتج الأصحاب على أن المؤمنين يرونه سبحانه قالوا: ولولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة، وفيه تقرير آخر وهو: أنه تعالى ذكر هذا الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار، وما يكون وعيداً وتهديداً للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمن، فوجب أن لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمن.

(٤١) مفاتيح الغيب
(تفسير الرازي)، الرازي:
باب ٧ ج ١٦ ص ٤٠٨-٤٠٩.
(٤٢) سورة مريم: ٨٧.
(٤٣) سورة فصلت: ٥٠.

أجابت المعتزلة عن هذا من وجوه: أحدها: قال الجبائي: المراد أنهم عن رحمة ربهم محجوبون، أي: ممنوعون، كما يقال في الفرائض: الإخوة يحجبون الأم عن الثلث، ومن ذلك يقال: لمن يمنع عن الدخول هو حاجب، لأنه يمنع من رؤيته.

وثانيها: قال أبو مسلم: ﴿لَمَحْجُوبُونَ﴾، أي: غير مقربين، والحجاب الرّد وهو ضد القبول، والمعنى: هؤلاء المنكرون للبعث غير مقبولين عند الله وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ (٤٤).

وثالثها: قال القاضي: الحجاب ليس عبارة عن عدم الرؤية، فإنه قد يقال: حجب فلان عن الأمير، وإن كان قد رآه من البعد، وإذا لم يكن الحجاب عبارة عن عدم الرؤية سقط الاستدلال، بل يجب أن يحمل على صيرورته ممنوعاً عن وجدان رحمته تعالى. ورابعها: قال صاحب (الكشاف): «كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم، لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للمكرمين لديهم، ولا يحجب عنهم إلا المهانون عندهم.

والجواب: لا شك أن من منع من رؤية شيء يقال: إنه حجب عنه، وأيضاً من منع من الدخول على الأمير يقال: إنه حجب عنه، وأيضاً يقال: الأم حجبت عن الثلث بسبب الإخوة، وإذا وجدنا هذه الاستعمالات وجب جعل اللفظ حقيقة في مفهوم مشترك بين هذه المواضع دفعاً للاشتراك في اللفظ، وذلك هو المنع.

ففي الصورة الأولى حصل المنع من الرؤية، وفي الثاني حصل المنع من الوصول إلى قربه، وفي الثالثة: حصل المنع من استحقاق

(٤٤) سورة آل عمران:

الثالث، فيصير تقدير الآية: كلاً إنهم عن ربهم يومئذ ممنوعون، والمنع إنما يتحقق بالنسبة إلى ما يثبت للبعد بالنسبة إلى الله تعالى، وهو إما العلم، وإما الرؤية، ولا يمكن حمله على العلم، لأنه ثابت بالاتفاق للكفار، فوجب حمله على الرؤية.

أما صرفه إلى الرحمة، فهو عدول عن الظاهر من غير دليل. ويمكن أن يلاحظ على هذه الأقوال:

إن الآية بصدد تهديد المجرمين وإنذارهم، وهذا لا يحصل إلا بتحذيرهم وحرمانهم من رحمته، وتعذيبهم في جحيمه، وأما تهديدهم بأنهم سيحرمون عن رؤيته تبارك وتعالى، فلا يكون مؤثراً فيمن غلبت على قلبه آثار المعاصي والمآثم، فلا يفكر يوماً بالله ولا برؤيته، ثم إن هذا تحصيل حاصل فإنهم لم يروا الله (تبارك وتعالى) حتى يريدون رؤيته اليوم وهذا الذي جرّأهم على ارتكاب أبشع الجرائم وأشنعها وإنما بغيتهم آنذاك هو تخليصهم وانقاذهم من ذلك الموقف الرهيب والذي هم في أمس الحاجة إليه والذي يصفه القرآن الكريم بصفات مهولة ومذهلة، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٤٥)، فهم بحاجة إلى منقذ ولا منقذ في ذلك اليوم إلا الله تعالى ورحمته.

وعلى ذلك، فالمراد أن هؤلاء محجوبون يوم القيامة عن رحمته وإحسانه وكرمه وكرامته، وبعدها منعوا من الثواب والكرامة يكون مصير هؤلاء إلى الجحيم، ولذلك رتب على

خبيثهم وحرمانهم قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

هذه جملة الآيات التي استدلت بها القوم على الرؤية وقد لاحظنا الوهن والضعف في الاستدلالات التي طرحت كأدلة.

نظرة إلى أدلة النافين للرؤية من كتاب الله (عز وجل) الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٤٦).

وقد مرّ الكلام عنها بشيء من التفصيل ورأينا مواقع الوهن والضعف في أجوبة المثبتين وأنه لا دلالة فيها على ما اعتقدوا به، وذهابهم إلى غير ما أرادته الآية المباركة، وأضيف على ذلك كلام موجز للمحقق الحلي رحمته الله في كتابه الموسوم بـ (المسلك في أصول الدين)^(٤٧) تنميماً للفائدة، إذ يقول رحمته الله: «وجه الاستدلال أنه تمدح بنفي الرؤية، وكلّ صفة تمدح بنفيها فإثباتها نقص.

أما التمدح، فلأن ذلك ورود بين مدحين في أول الآية وآخرها، ومن البين قبح إدخال ما ليس بمدح بين مدحين، وإنما قلنا إنه يفيد نفي الرؤية، لأن الإدراك إذا قرن بالبصر أفاد الرؤية، ضرورة أنه لا يجوز سلب الرؤية معه، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٤٨)، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٤٩)، فلا يقال: أدركت ببصري شيئاً ولم أره.

وأما أن كلّ صفة تمدح بنفيها، فإثباتها نقص فإنه ظاهر، كما تمدح بنفي صاحبة ونفي الشريك»^(٥٠).

(٤٦) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٤٧) المسلك في أصول

الدين، المحقق الحلي:

ص ٦٧-٦٨.

(٤٨) سورة الأنعام: ١٠٢.

(٤٩) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٥٠) المسلك في أصول

الدين، المحقق الحلي:

ص ٦٧.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(٥١).

إن الآية تتركب من جزئين:

الأول: قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

الثاني: قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾. والضمير المجرور في قوله: (به) يعود إلى الله سبحانه.

ومعنى الآية: الله يحيط بهم لأنه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ويكون معادلاً لقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ولكنهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾. ويساوي قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾.

وأما كيفية الاستدلال، فبيانها: إن الرؤية سواء أوقعت على جميع الذات أم على جزئها، فهي نوع إحاطة علمية من البشر به سبحانه، وقد قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(٥٢).

ولكن الرازي لأجل التهرّب من دلالة الآية على امتناع رؤيته سبحانه قال: إن الضمير المجرور يعود إلى قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، أي: لا يحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم، والله سبحانه محيط بما بين أيديهم وما خلفهم.

وهذا نص كلامه إذ يقول: (قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ وفيه مسائل: الضمير في قوله: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ عائد إلى الذين يتبعون الداعي ومن قال إن قوله: ﴿مَنْ أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ المراد به الشافع. قال: ذلك الضمير عائد إليه والمعنى لا تنفع شفاعة الملائكة والأنبياء إلا لمن أذن له الرحمن في أن تشفع له الملائكة والأنبياء، ثم قال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾

(٥١) سورة طه: ١١٠.

(٥٢) رؤية الله في ضوء العقل والكتاب والسنة، الشيخ السبحاني: ص ٦٣.

يعني ما بين أيدي الملائكة كما قال في آية الكرسي، وهذا قول الكلبي ومقاتل وفيه تفريع لمن يعبد الملائكة ليشفعوا له. قال مقاتل: يعلم ما كان قبل أن يخلق الملائكة وما كان منهم بعد خلقهم.

ثم قال في المسألة الثالثة: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ وجهين: الأول: إنه تعالى بين أنه يعلم ما بين أيدي العباد وما خلفهم. ثم قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، أي: العباد لا يحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم علماً.

الثاني: المراد لا يحيطون بالله علماً، والأول أولى لوجهين: أحدهما: إن الضمير يجب عوده إلى أقرب المذكورات والأقرب هنا قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

وثانيهما: إنه تعالى أورد ذلك مورد الزجر ليعلم أن سائر ما يقدمون عليه وما يستحقون به المجازاة معلوم لله تعالى^(٥٣).

أقول: إن الآية تحكي عن إحاطته العلمية سبحانه يوم القيامة، بشهادة ما قبلها ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(٥٤)، وعندئذ يكون المراد من الموصول في قوله

سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ هو الحياة الأخروية الحاضرة، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ هو الحياة الدنيوية الواقعة خلف الحياة

الأخروية، وحينئذ لو رجع الضمير في قوله ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ إلى الموصولين يكون مفاد الآية عدم إحاطة البشر بما يجري في النشأتين، وهو أمر واضح لا حاجة إلى التركيز عليه، وهذا بخلاف ما إذا رجع إلى الله، فستكون الآية بصدد التنزيه ويكون المقصود أن الله يحيط بهم علماً وهؤلاء لا يحيطون كذلك، على غرار سائر الآيات.

(٥٣) مفاتيح الغيب

(تفسير الرازي) الرازي:

باب ١٠٥، ج ١٠، ص

٤٧١-٤٧٢.

(٥٤) سورة طه: ١٠٩.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾^(٥٥).

قال الله في محكم كتابه ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥٦).

و معنى الآية على ما يستفاد من ظاهر نظمها: أنه ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ الذي وقتناه له (وكلمه ربه) بكلامه (قال)، أي: موسى ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ أي: أرني نفسك أنظر إليك أي: مكني من النظر إليك حتى أنظر إليك وأراك فإن الرؤية فرع النظر، والنظر فرع التمكين من الرؤية والتمكّن منها، (قال) الله تعالى لموسى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ أبدأ ﴿وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ وكان جبلاً بحياله مشهوداً له أشير إليه بلام العهد الحضورى ﴿وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ أي: لن تطيق رؤيتي فانظر إلى الجبل فإني أظهر له فإن استقر مكانه وأطاق رؤيتي فاعلم أنك تطيق النظر إليّ ورؤيتي ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى﴾ وظهر ﴿رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ﴾ بتجليه ﴿دَكًّا﴾ مدكوكاً متلاشياً في الجو أو سائحاً ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ ميتاً أو مغشياً عليه من هول ما رأى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ رجعت إليك مما اقترحتة عليك ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنك لا ترى.

هذه ظاهر ألفاظ الآية^(٥٧).

لقد استدّل - بهذه الآية - كل من النافي والمثبت، رغم أن

(٥٥) سورة الأعراف:

١٤٣.

(٥٦) سورة الأعراف:

١٤٣.

(٥٧) الميزان في تفسير

القرآن، العلامة

الطباطبائي: ج ٨ ص ١٣٢.

ليس لها إلا مدلول واحد، فكان بين القولين تناقض واضح، ومرد ذلك إلى أن أحد المستدلين لم يتجرّد عن هواه حينما استدل بالآية، وإنما ينظر إليها ليحتج بها على ما يتبناه، وهذا من قبيل التفسير بالرأي الذي نهى النبي ﷺ عنه بالخبر المتواتر، وبالتالي قلّ من نظر إليها بموضوعية خالية عن كل رأي مسبق.

ومن الملاحظ أن:

١ - الإجابة بالنفي المؤبد: لما سأل موسى رؤية الله تبارك وتعالى أجيب بـ ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، والمتبادر من هذه الجملة أي قوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ هو النفي الأبدي الدال على عدم تحققها أبداً. والدليل على ذلك هو قول اللغويين، لما يأتون لكلمة (لن) هذه فإن مفاد كلامهم هو أنّ (لن) تفيد التأييد، ولكن هذا التأييد مرّة يكون مطلقاً ولم يحدّد بزمان أو مكان كما نحن فيه ومرّة يحدّد بزمان أو مكان ويجعل عليه قرينة، كقوله تعالى ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أَكْلَمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾^(٥٨)، وقد جاءت كلمة (لن) في (٥٩) مورد.

والملاحظ في هذه الآيات أنها كلها تفيد التأييد، وسوف نورد جملة منها بعد إنهاء بحث الآية إن شاء الله تعالى.

إذا عرفت هذا نقف على وهن ما نقله (الرازي) عن (الواحدي) من أنه قال: «ما نقل عن أهل اللغة إن كلمة (لن) للتأييد دعوى باطلة، والدليل على فساده قوله تعالى في حق اليهود: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(٥٩)، قال: وذلك لأنهم يتمنون الموت يوم القيامة بعد دخولهم النار، قال سبحانه: ﴿وَنَادُوا

(٥٨) سورة مريم: ٢٦.

(٥٩) سورة البقرة: ٥٩.

يَا مَالِكٍ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثُورٌ ﴿٦٠﴾، فإن المراد من (ليقض علينا) هو القضاء بالموت»^(٦١).

ومن ذلك يظهر وهن كلام آخر وهو: أنه ربما يقال: إن (لن) لا تدل على الدوام والاستمرار بشهادة قوله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾^(٦٢) إذ لو كانت (لن) تفيد تأييد النفي لوقع التعارض بينها وبين كلمة (اليوم) لأن اليوم محدّد معيّن، وتأييد النفي غير محدّد ولا معيّن، ومثله قوله سبحانه على لسان ولد يعقوب: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾^(٦٣)، حيث حدّد بقاءه في الأرض بصدور الإذن من أبيه^(٦٤). تارة يكون الكلام غير محدّد بظرف خاص ولا تدلّ عليه قرينة حالية ولا مقالية فعندئذ يساوق التأييد المعدوم المطلق. وأخرى يكون الكلام محدّداً بزمان حسب القرائن اللفظية والمثالية، فيكون التأييد محدّداً بهذا الظرف أيضاً، ومعنى قول مريم: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ هو النفي القاطع في هذا الإطار، ولا ينافي تكلمها بعد هذا اليوم.

والحاصل: إن ما أُثير من الإشكال في المقام ناشئ من عدم الإمعان فيما ذكرنا من الأمرين، فتارة حسبوا أن المراد من التأييد هو الاستحالة فأوردوا بأنه ربما يكون المدخول أمراً ممكناً كما في قوله: ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾^(٦٥)، وأخرى حسبوا أن التأييد يلازم النفي والمعدوم المطلق، فناقشوا بالآيات الماضية التي لم يكن النفي فيها نفيّاً مطلقاً، ولو أنهم وقفوا على ما ذكرنا من الأمرين لسكتوا عن هذه الاعتراضات.

(٦٠) سورة الزخرف: ٧٧.

(٦١) مفاتيح الغيب

(تفسير الرازي)، الرازي:

ج ١٤، ص ٢٢٧.

(٦٢) سورة مريم: ٢٦.

(٦٣) سورة يوسف: ٨٠.

(٦٤) انظر: النحو الوافي،

عباس حسن: ج ٤، ص

٢٨١. وكما في كتاب

رؤية الله للدكتور أحمد

بن ناصر.

(٦٥) سورة التوبة: ٨٣.

٢ - إن الآية صريحة في عدم احتمال الطبيعة البشرية لذلك الأمر الجلل ولذلك أمره أن ينظر إلى الجبل عند تجليته، فلما اندك الجبل خراً موسى مغشياً عليه من الذعر، ولو كان عدم الرؤية مختصاً بالحياة الدنيا لما احتاج إلى هذا التفصيل، بل كان في وسعه سبحانه أن يقول: لا تراني في الدنيا ولكن تراني في الآخرة فاصبر حتى يأتيك وقته، والإنسان مهما بلغ كمالاً في الآخرة فهو لا يخرج عن طبيعته التي خلق عليها، وقد بين سبحانه أنه خلق ضعيفاً.

٣ - إنه علق رؤيته بما يستحيل كونه والشيء إذا علق كونه بما يستحيل حصوله استحال، كقوله في الكفرة: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاجِ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(٦٦)، فكذلك لما علق رؤيته بما يستحيل كونه وهذا استقرار الجبل في حال الدكة إذ محال سكون الشيء في حال تحركه وذلك يوجب استحالة رؤيته، فلما اندك الجبل عند سؤاله ذلك كان فيه غاية الإنكار إذ كان ذلك مما أوعد بأنه يكاد أن يحدث عند زعمهم أن الله ولداً قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾^(٦٧) وبين أن القول بالرؤية يضاهي القول باتخاذ الولد بل يزيد عليه، إذ قال في اتخاذ الولد: تكاد، وفي الرؤية صار واقعاً وحقيقة فكم بين الأمرين فرقاً؟ فإذا انتفى المعلق عليه (بقاء الجبل على حاله) ينتفي المعلق، وهذا النوع من التعليق في كلامهم، طريقة معروفة حيث يعلقون وجود الشيء على ما يعلم عدم وقوعه وتحققه،

(٦٦) سورة الأعراف: ٤٠.

(٦٧) سورة مريم:

٨٨-٨٩-٩٠.

والله سبحانه بما أنه يعلم أن الجبل لا يستقر في مكانه - بعد التجلي - فعلق الرؤية على استقراره، لكي يستدل بانتفائه على انتفائه.
٤ - تنزيهه سبحانه بعد الإفاقة عن الرؤية:

إن موسى عليه السلام بعد أن أفاق قال: (تبت إليك) في حين أنه لم يرتكب إثماً أو معصية، لأن هذا الطلب كان من جانب بني إسرائيل، وكان طرحه بتكليف من الله، فهو أدى واجبه إذن، ثم إذا كان هذا الطلب لنفسه وكان مراده الشهود الباطني لم يحسب هذا العمل إثماً؟؟

ولكن يمكن الجواب على هذا السؤال من جانبين:

الآخر: إن موسى عليه السلام وإن كان مكلفاً بأن يطرح طلب بني إسرائيل، ولكنه عندما تجلى ربه للجبل واتّضحت حقيقة الأمر، انتهت مدة هذا التكليف، وفي هذا الوقت لا بدّ من العودة إلى الحالة الأولى يعني الرجوع إلى ما قبل التكليف، وإظهار إيمانه حتى لا تبقى شبهة لأحد، وقد بين ذلك بجملة، ﴿سُبْحَانَكَ تَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦٨). إنه أول المصدقين بأنه لا يرى بتاتاً.

قال ابن شهر اشوب: «قوله تعالى ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ ليس في مسألة الشيء دلالة على صحة وقوعه ولا جوازه؛ لأن السائل يسأل عن الجائز والمحال مع العلم وفقد العلم لأغراض مختلفة، ثم إنه سأل لقومه بعد ما أجابهم فلم يرتدعوا فاختر السبعين الذين حضروا الميقات ليكون سؤاله بمحضر منهم قوله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ

(٦٨) سورة الأعراف:

بِظْلَمِهِمْ»^(٦٩)، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ»^(٧٠)، وقوله: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِيَّاي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا»^(٧١)، إضافة ذلك إلى السفهاء يدل على أنه كان بسببهم وأنهم سألوه ما لا يجوز عليه»^(٧٢).

إذا عرفنا هذا وسألنا سائل: إذن لماذا طلب الكليم ﷺ الرؤية؟ كان الجواب على هذا السؤال هو: أن المفسرين ذكروا أجوبة مختلفة على هذا السؤال، ولكن أوضح الأجوبة هو: أن موسى ﷺ طرح مطلب قومه، لأن جماعة من جهلة بني إسرائيل أصرّوا على أن يروا الله حتى يؤمنوا ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ»^(٧٣)، وقد أمر موسى ﷺ من جانب الله أن يطرح مطلب قومه هذا على الله سبحانه حتى يسمع الجميع الجواب الكافي، وقد صرح بهذا في الرواية المروية عن الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ في كتاب عيون أخبار الرضا ﷺ^(٧٤).

ومن القرائن الواضحة التي تؤيد هذا التفسير ما نقرأه في الآية (١٥٥) من هذه السورة نفسها، من أن موسى ﷺ قال بعدما حدث ما حدث: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا»^(٧٥)، فيتضح من هذه الجملة أن موسى ﷺ لم يطلب لنفسه مثل هذا الطلب إطلاقاً. ولو تنزلنا وقلنا موسى ﷺ طلب لنفسه الرؤية، فهل يعقل أنه طلب الرؤية البصرية ويريد أن يعاين الله سبحانه وتعالى بحاسته البصرية؟

(٦٩) سورة النساء: ١٥٣.

(٧٠) سورة البقرة: ٥٥.

(٧١) سورة الأعراف:

١٥٥.

(٧٢) متشابه القرآن، ابن

شهر آشوب: ج ١،

ص ١١٩-١٢٠.

(٧٣) سورة النساء: ١٥٣.

(٧٤) انظر: عيون أخبار

الرضا ﷺ، الشيخ

الصدوق: ج ١، ص ١٧٨.

(٧٥) سورة الأعراف:

١٥٥.

إن السؤال الذي قاله نبي الله موسى عليه السلام إنما كان عن رؤية القلب دون رؤية البصر المستحيل عليه تعالى بأي وجه تُصوّر، وحاشا مقام الكليم عليه السلام أن يجهل من ساحة ربه المنزهة ما هو من البداهة على مكان وهو يسمي القوم الذين اختارهم للميقات سفهاء إذ سألوا الرؤية إذ يقول لربه: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ فكيف يقدم هو نفسه على ما سماهم سفهاء؟
وأما الآيات التي تفيد التأيد، فهي:

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (٧٦).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٧).

٣ - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٨).

٤ - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٧٩).

٥ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ (٨٠).

(٧٦) سورة البقرة: ٥٥.

(٧٧) سورة البقرة: ٦١.

(٧٨) سورة البقرة: ٨٠.

(٧٩) سورة البقرة: ١١١.

(٨٠) سورة آل عمران:

١٠.

٦ - قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٨١).

٧ - قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَكْفِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾^(٨٢).

٨ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾^(٨٣).

٩ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلَ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾^(٨٤).

١٠ - قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٨٥).

١١ - قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٨٦).

١٢ - قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونَ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَبَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾^(٨٧).

١٣ - قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾^(٨٨).

١٤ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

(٨١) سورة آل عمران ٢٣.

(٨٢) سورة النساء ١٧٢.

(٨٣) سورة المائدة ٢٢.

(٨٤) سورة الأنعام ١٢٤.

(٨٥) سورة التوبة ٥١.

(٨٦) سورة هود ٣١.

(٨٧) سورة يوسف ٦٦.

(٨٨) سورة الكهف ١٤.

وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٨٩﴾.

١٥ - قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ

أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٩٠).

١٦ - قوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ

التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ

وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩١).

١٧ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ (٩٢).

١٨ - قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ

الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٩٣).

١٩ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا

وَسَيَحِبُّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٩٤).

٢٠ - قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَعَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا

ذُرُونًا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ

مَنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٩٥).

٢١ - قوله تعالى: ﴿لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ

اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٩٦).

٢٢ - قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ يَفْضَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٩٧).

٢٣ - قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ

لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٩٨).

(٨٩) سورة طه: ٧٢.

(٩٠) سورة الأحزاب: ١٦.

(٩١) سورة الحج: ٣٧.

(٩٢) سورة فاطر: ٢٩.

(٩٣) سورة الجاثية: ١٩.

(٩٤) سورة محمد: ٣٢.

(٩٥) سورة الفتح: ١٥.

(٩٦) سورة المجادلة: ١٧.

(٩٧) سورة الممتحنة: ٣.

(٩٨) سورة المنافقون: ٦.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

- ١- الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، بشرح محمد عبدة.
- ٢- آل حمد، أحمد بن ناصر بن محمد، رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها، سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٣- الألوسي البغدادي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، تفسير الألوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، ضبط وتصحيح: علي عبد الباري عطية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٤- الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٥- السبحاني، جعفر، رؤية الله في ضوء الكتاب والسنة والعقل، مركز الابحاث العقائدية.
- ٦- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير المأثور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٧- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، عيون أخبار الرضا عليه السلام. تحقيق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٨- الطباطبائي، محمد حسين علم الهدى، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي بيروت لبنان.
- ٩- الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

- ١٠- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- ١١- الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، تفسير التبيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان.
- ١٢- عباس حسن، النحو الوافي، نسخ وتنسيق مكتبة مشكاة الإسلامية.
- ١٣- الفيض الكاشاني، محسن، تفسير الصافي، مكتبة الصدر، طهران، ايران الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.
- ١٤- الحويزي الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي، تفسير نور الثقلين، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع - قم.
- ١٥- ابن شهر آشوب، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، متشابه القرآن، الناشر: بيدار، قم ١٣٢٦هـ.
- ١٦- المحقق الحلي، جعفر بن الحسن، المسلك في أصول الدين، تحقيق: رضا الاستادي، المطبعة: مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية مشهد - ايران، ط٢، ١٤٢١ هـ.

